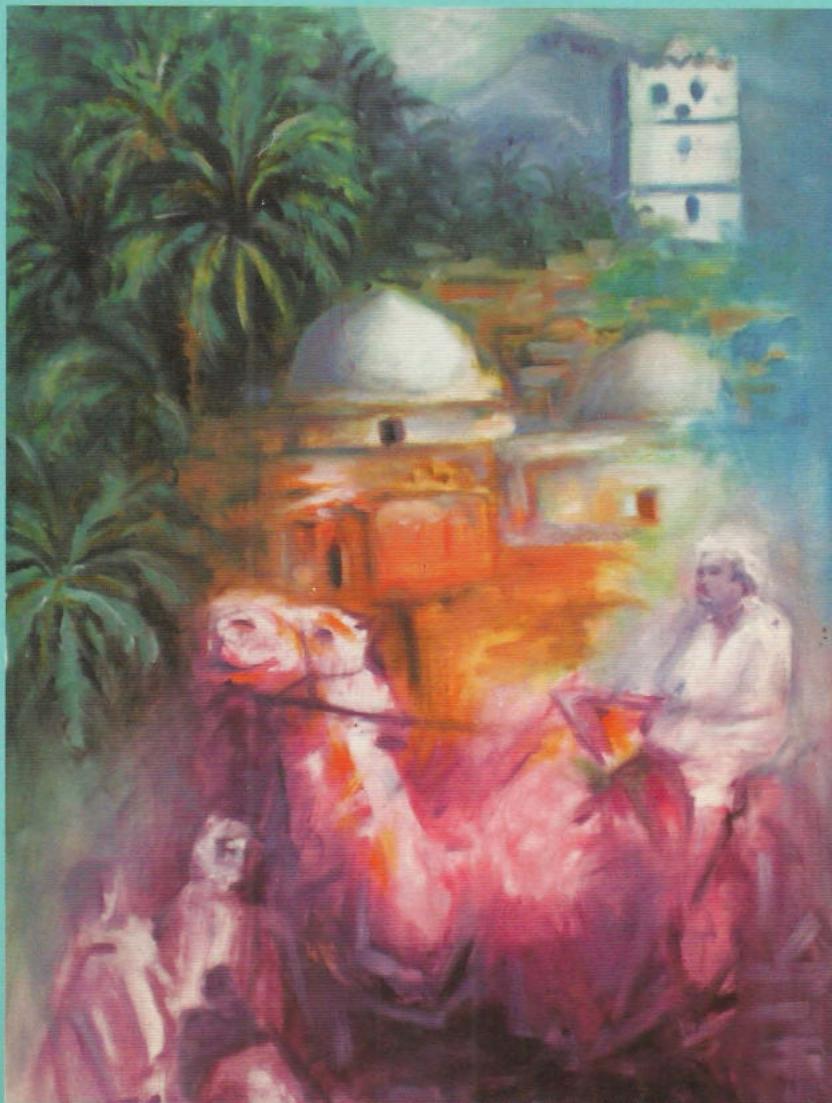




محمد ضيف الله

الحادي عشر من نهر زانج



تونس 2008

المزيد من الكتب الجديدة زوروا موقع جديد الكتب

<http://booksjadic.blogspot.com>

رابط الفيس بوك

<http://www.facebook.com/booksjadic>

نوفاذه على
تاریخ نفزاوه

محمد ضيف الله

نوافذ على تاريخ نفزاوة / محمد ضيف الله / تونس: المغاربية للطباعة

أوت 2008. 232 ص 24 سم.

ردمك: 0-9973-0468-978

1- تاريخ تونس. 2- تاريخ المجتمعات المحلية. 3- الجنوب

التونسي

صورة الغلاف:

برئاسة: الأستاذ رضا شنوف، بتاريخ 2000

© جميع الحقوق محفوظة

محمد ضيف الله



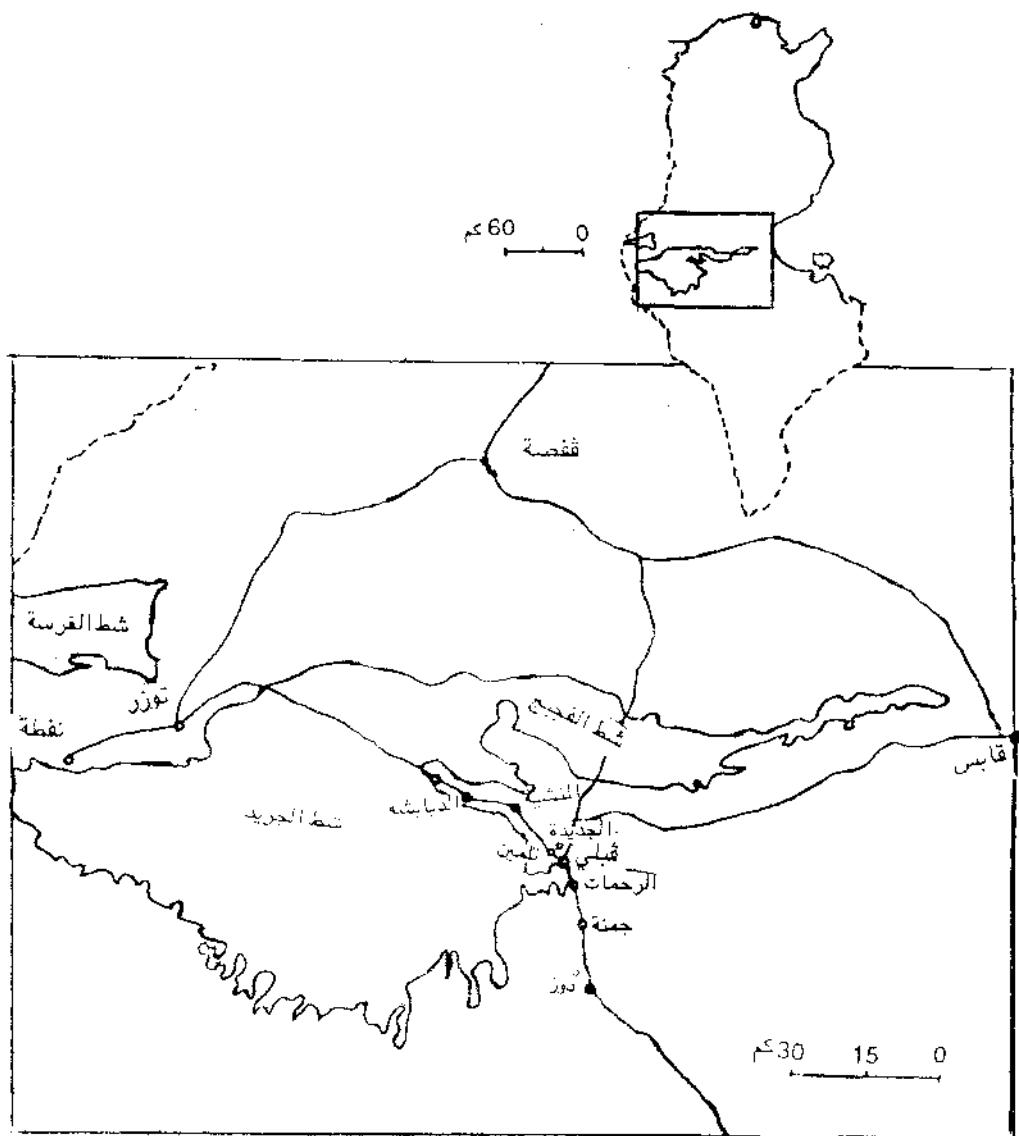
١٧٥٦١ -



نواخذة على

تاريخ نفزاوة





بعض قرى نفزاوة وأهم المدن القريبة من المنطقة

الفهرس

7500894

١٧٥٦١



7	المقدمة
13	الفصل الأول : نفراوة قبيلة ومنطقة
25	الفصل الثاني : عصور ما قبل التاريخ
29	الفصل الثالث : نفراوة في العصور القديمة
43	الفصل الرابع : فتح نفراوة (ق ١ هـ / 7 م)
49	الفصل الخامس : نفراوة الخارجية وعلاقتها بالقيروان (ق 2-5 هـ / 8-11 م)
67	الفصل السادس : نفراوة من الزحف الهمالي إلى سقوط الدولة الخصبة
81	الفصل السابع : الحياة الاقتصادية والاجتماعية بنفراوة (ق 4-10 هـ / 10-16 م)
91	الفصل الثامن : نفراوة في العصر الحديث

الفصل التاسع :

بعض الجوانب السياسية بنفزاوة (1881-1956) 105

الفصل العاشر :

التحولات الاقتصادية والبشرية (1881-1956) 131

موسوعة نفزاوة 153

الخاتمة 219

المصادر والمراجع 223

المقدمة

نفزاوة هو اسم قبيلة ببرية بترية أطلق على المنطقة التي كانت تتخذها مجالاً لظعنها واستقرارها في أزمنة لا قاع لها. وفي حين تفرعت تلك القبيلة إلى بطون وعشائر تفرق بعضها في كامل شمال إفريقيا وصولاً إلى بلاد الأندلس كما سُنرى، وتعرّب من بقي منها بالمنطقة، استقبلت نفزاوة عناصر بشرية جديدة اتخذتها مستقرة وملجأ في فترات مختلفة من التاريخ، مستفيدة من أهمية موقعها البعيد عن المسالك الكبرى والمحمي وراء الشطوط والمغاراث وكثبان الرمال.

وفضلاً عن ذلك فإن هذه المنطقة اكتسبت أهميتها التاريخية والاستراتيجية وحتى البشرية من عنصريين أساسيين يمكن اعتبارهما أصل الحياة وسر الوجود وهو الماء والنخيل. فإذا كان الله قد جعل من الماء كل شيء حي، فإن تلك الحياة تصبح ذات نكهة خاصة بالنسبة لمنطقة صحراوية جافة ومنعزلة إذ تحيط بها سباح الملح شمالاً وغرباً وكثبان الرمال جنوباً. وكانت عيون نفزاوة الكثيرة وراء غراسة النخيل ونشوء الواحات. وبالفعل يمكن اعتبار النخيل شاهداً رئيسياً على تاريخ المنطقة وعلى الوجود البشري بها، إذ حماها خلال الأزمنة الغابرة من كثير من المساغب والمجاعات التي كانت وثيرتها أكبر في مناطق أخرى غير بعيدة.

ولعله من المفارقة أن منطقة بمثل هذه الإمكانيات لم تستطع إلى وقت قريب أن تغري المؤرخين والباحثين للكتابة عنها، وذلك يعود في اعتقدنا إلى أندرس المعالم وشح المصادر نظراً لبعد المنطقة عن المراكز الحضرية الكبرى حيث تصنع الأحداث ويكتب التاريخ. أما أول من كتب دراسة تاريخية شاملة حول منطقة نفزاوة فهو الفرنسي بيير مورو (Pierre Moreau) ضمن كتابه حول المنطقة والذي ظهر عام 1947، وبذلك فقد فتح مورو باباً كان موصداً تماماً، ويسجل له قصب السبق في هذا المجال. ومع ذلك، فإن تلك الدراسة على أهميتها تستوجب منا إيداء الملاحظتين التاليتين:

أن مورو لم يعتمد على العديد من المصادر الهامة، ولعل ذلك يعود إلى حاجز اللغة من جهة وعدم إتاحة بعض تلك المصادر نظراً لعدم طبعها ونشرها من جهة أخرى، بما حال دون اطلاعه على العديد منها، ويكفي أن نشير في هذا المجال إلى المصادر الإباضية التي لم يطلع عليها البته.

أن دراسة بيار مورو اصطبغت بنظرة استعمارية واضحة، إذ حاول أن يبين أن نفزاً ولة لم تعرف الإزدهار إلا في العهد الروماني ثم في العهد الاستعماري الفرنسي، وقد فصلت بينهما الفترة العربية الإسلامية التي تميزت بالفوضى والاضطراب والظلم.

غير أن إبداء تينيك الملاحظتين لا يؤثر البته على القيمة المصدرية لكتاب بيار مورو الذي يعتبر بالفعل أحد المصادر المهمة لكل ما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية لنفزاً ولة خلال الفترة المعاصرة وصولاً إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وهو من هذه الناحية بالذات يعتبر مكملاً للدراسات الأنثropolégique أو التوبيخات (Notices) التي أعدها ضباط الجيش الفرنسي عن المنطقة خلال العهد الاستعماري، وخاصة منهم نانسي (Nancy) ودمبريجيو (Deambrogio) وبيشفال (Bechevel).

أما المتفقون من أبناء المنطقة، فتعود أول محاولة لهم لكتابة تاريخ المنطقة، إلى أواسط ستينيات القرن العشرين، عندما قام عدد من المعلمين في إطار "لجنة البحوث التربوية بقلبي" بإعداد دراسة شاملة حول نفزاً ولة، لكن هذه المحاولة كانت تشكو بعض الضعف إذ :

أنها تفتقد إلى التحليل، فاكتفت بجمع بعض الأحداث الواردة كشذرات في المصادر التاريخية المعروفة وسردها متسللة، ثم أنها تخطت مراحل وفترات تاريخية هامة، من ذلك أنها لم تتعرض ولو بالإشارة إلى فترة الوجود الإباضي بالمنطقة.

أنها تأثرت بمنهج وتحيطه كتاب بيار مورو السالف الذكر فلم تقتصر على الجانب التاريخي للبحث، وإنما غطت جوانب أخرى مثل جغرافيا المنطقة والحياة الاقتصادية بها.

لكن الأهم من ذلك أن المنطقة بدأت تلفت نظر الباحثين الجامعيين منذ مطلع ثمانينات القرن العشرين، وقد بلغ عدد الرسائل الجامعية التي قدمت بأقسام التاريخ بالجامعة التونسية السابعة، كان أولها البحث الذي قدمه سنة 1982 جمال بن طاهر لنيل شهادة الكفاءة في البحث وكان تحت عنوان : "الملكيّة بنفزاوة من خلال دفاتر القانون (1852-1862)". وتلاه بعد عشر سنوات البحث الذي قدمه بلقاسم بن حسن، وهو من أبناء المنطقة، حول موضوع : "الأوضاع العامة بنفزاوة في عهد محمد الصادق باي من 1859 إلى 1882". وفي سنة 2003-2004 قدم بحثان لنيل شهادة الدراسات المعمقة أحدهما لحسن بن علي حول "واحة قبلي وعلاقتها بالسلطة المركزية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، والأخر لصولة رجب حول "قبيلة نفزاوة ودورها في تاريخ المغرب الوسيط، من الفتح إلى القرن الخامس الهجري 7-11م". وفي السنة المولية 2004-2005 قدم بحثان في إطار الماجستير من قبل كل من محمد الزيرياوي وموضوعه: "تحو إنشاء متحف للتراث الشعبي بواحات نفزاوة" وبلقاسم بنخالد حول : "بلاد نفزاوة في العصر الوسيط : دراسة تاريخية أثرية". وفي سنة 2007 قدم إبراهيم الزاهد، بحثاً لنيل شهادة الماجستير أيضاً تناول فيه "العلاقات بين المجتمعات الواحية بين الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري فـي القرن التاسع عشر". كذلك فإن بعض المؤرخين الجامعيين من أبناء المنطقة قاموا بالعديد من البحوث حولها في العهدين الحديث والمعاصر، ومن بينهم د. الشيباني بنبلغيث ود. عميرة علية الصغير بالإضافة إلى ما كتبناه شخصياً.

وفي نفس الإطار لا يفوتنا أن نشير إلى أن الدعوة لعقد ندوة علمية بمدينة قبلي في بداية 2001 حول "نفزاوة الأرض والتاريخ"، قد لقيت استجابة من أكثر من عشرين باحثاً جامعياً ينتهيون إلى اختصاصات متعددة، ولو قدر لها أن تتعقد آنذاك لساهمت في تعزيق تاريخ المنطقة في مختلف العهود التاريخية. ولا شك أن تعليق هذه الندوة إلى أجل غير مسمى وبدون أي مبرر يذكر، يعتبر خسارة للبحث العلمي والمنطقة معاً غير أنه لم يؤدّ بطبيعة الحال إلى إيقاف حركة البحث حول تاريخ نفزاوة، والدليل على ذلك البحوث الجامعية والأسماء التي أشرنا إليها أعلاه، فضلاً عن نفاد كتابنا هذا من السوق، وإن الطلب عليه هو الذي جعلنا نطبعه للمرة الثانية. وقد رأينا أن تكون هذه الطبعة مزيدة ومنقحة اعتباراً لما صدر منذ طبعته الأولى سنة 2000 من كتابات

جديدة معمرة، فضلاً عما وصلنا من ملاحظات عديدة حول تلك الطبعة إن في الشكل أو في المضمون.

لقد أردنا لهذا الكتاب أن يكون شاملاً وعاماً يرسم الخطوط العريضة للتاريخ نفزاًًةً منذ ما قبل التاريخ إلى سنة 1956. وقد جعلنا الفصل الأول منه بمهدياً إذ يحاول التعريف بنفزاًًةً القبيلة ببطونها وعشائرها وتحركات هذه القبيلة الضخمة وتتبعها إلى مساريها الجديدة، كما حاولنا أن نضع نفزاًًةً كمنطقة تاريخية في جغرافيتها.

أما الفصلان الثاني والثالث فقد خصصناهما للفترة السابقة للتاريخ العربي الإسلامي وهي فترة يتدخل فيها ما قبل التاريخ مع التاريخ القديم. وهي من جهة أخرى تؤكد على قسم الوجود البشري بالمنطقة، إذ وجد الإنسان البدائي بها بل إن أقدم آثار بشرية وجدت بالبلاد التونسية تم اكتشافها بهذه المنطقة، كما خضعت نفزاًًةً لتأثيرات حضارية شرقية ثم للوجود الروماني.

وخصصنا الفصول الرابع والخامس والسادس والسابع لنفزاًًةً العربية الإسلامية، وهي فترة أجرينا على تحديدها بالقرن 10هـ / 16م، تعرضنا فيها بأكثـر ما يمكن من التفصيل إلى جوانب أغفلها غيرنا وهي خاصة : فتح نفزاًًةً وخصوصها للمذهب الخارجي وكذلك الحياة الاقتصادية بها حتى القرن 10هـ / 16م.

أما الفصول الثامن والتاسع والعشر فهي تغطي التاريخ الحديث والمعاصر، وقد أفردنا الأول من بينها للفترة العثمانية منذ القرن 10هـ / 16م إلى 13هـ / 19م. كما خصصنا الفصلين الموالين للجوانب السياسية والاقتصادية والبشرية لنفزاًًةً المعاصرة (1856-1956)، غير أن التاريخ الحديث والمعاصر يبقى قابلاً لمزيد البحث والإثراء والإضافة، وذلك اعتماداً على ما يمكن أن توفره أرصدة الأرشيف الوطني وغيره من الأرشيفات الفرنسية من وثائق تهم المنطقة. وقد أنجزت في هذا الإطار عدة بحوث من قبل جامعيين تونسيين أشرنا إلى بعضها أعلاه.

لقد أحـقنا بذلك الفصول قاموساً وجـيراً (Lexique) يتضمن التعريف بالأعلام والجماعات والأماكن وغيرها، بما من شأنه أن يلقي أصنـاء مكملة لما ورد في هذا الكتاب.

أخيراً، عندما يذكر تاريخ نفزاوة لا بد من الإشارة إلى أن عدداً من أبنائها شغفوا به، فحفظوا البعض من فقراته ورددوها في المقاهي والتوادي، ويكتفي أن نذكر منهم المرحومين المنوبي الغزابي وأحمد بن سليمان بلاغة، وكذا الهاشمي بن سوف ومحمد ميلود... ولعلني بهذا البحث أكون قد وصلت رسالتهم وحققت البعض من أحلامهم، ولا يفوتي أن أقدمه لهم هدية متواضعة؛ كما أتمنه ببعض المعمرين الذين شغفت بمرافقتهم وتصفح المكتبة التي يشكلونها وخاصة منهم المرحوم الحاج الطاهر بن خالد ورشيد شمام والمرحوم محمد شمام (بابا) وغيرهم.

كما أهدي هذا الكتاب خاصة إلى روح أستاذي البشير يعقوب الذي تفضل بقراءة المسودة الأولى، وكذلك إلى أخي علي بن حمادي الذي اطلع هو أيضاً على تلك المسودة وحرص على أن يرى هذا الكتاب النور، وساهم بالتعريف به بعد ذلك، كما أهديه إلى روح الأستاذ إبراهيم الأسود وسيدي مصطفى الصغيرون وأستاذي العربي بن حمادي على مؤازرتهم لي، وإلى والدي علي بن ضيف الله، وإلى زوجتي سميرة وإلى بناتي بلقيس وملأك وندى.



الفصل الأول

نفزاوة قبيلة ومنطقة

ماذا نقصد بنفزاوة؟ هل هي القبيلة ذات الحدود المفتوحة والتي تتسع أو تتحسر بعها لحدة سيوف رجالها ورماهم؟ أم هي المنطقة التي تحمل هذا الإسم منذ عدة قرون والتي تقع جنوب وجنوب شرق الجريد؟ تلك هي الإشكالية التي تفرض نفسها في بداية هذا الكتاب. ولا شك أن معالجتها ليست سهلة ولا ميسورة، نظراً إلى إغضان المصادر والمراجع في كثير من الأحيان عن المنطقة والقبيلة معاً، ولا تكاد تجود علينا إلا ببعض الجمل الشحيحة والمقتضبة. ومن هنا فإن مهمتنا تمثل في القيام بحفيارات في تنظيم اجتماعي منقرض وفي منطقة جغرافية معينة ومحددة ولكنها بعيدة عن المراكز الحضرية.

١- نفزاوة القبيلة :

حملت منطقة نفزاوة اسم القبيلة التي كانت تتخذها موطننا ونقطة ارتکاز . وفي هذا الإطار يذكر التجاني ويجراريه في ذلك الوزير السراج أن نفزاوة هي "اسم نقل إلى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في أول الدهر" (١) وفي ذلك إشارة إلى قدم هذه القبيلة من جهة واتخاذها من المنطقة مجالاً ووطناً من جهة أخرى، غير أنها بارحته فيما بعد لأسباب مختلفة، واستقرت في مناطق من بلاد المغرب والأندلس.

ولكن قبل ذلك متى ذكرت هذه القبيلة للمرة الأولى؟ يبدو أن ذلك وقع فعلاً في بداية القرن الأول للميلاد، إذ في سنة 29-30 ب.م أي في عهد الإمبراطور الروماني تiberius (37-41 ب.م) وقع تحديد أرض قبيلة النجاشي قرب شط

(١) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التجاني، تقديم ح.ج. عبد الوهاب، تونس 1981، ص 143 وكذلك الوزير، (محمد السراج)، الحال السندينية في الأخبار التونسية، ج ١، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970، ص 383.

الفجيج، وحملت البلدة التي استقر بها أو حولها زعيم القبيلة اسم Nybgeniorum Civitas⁽²⁾؛ ويبدو أن قبيلة النجني هذه هي نفسها قبيلة نفزاوة المعروفة منذ بداية العصور الإسلامية، وإنما تحول حرفًا الباء والجيم في الكلمة الأولى إلى فاء وزاي. ويذهب أحد الباحثين في هذا الإتجاه ليرجح أن اسم قبيلة النجني كان ينطق، منذ ذلك العهد من قبل سكان المنطقة، نفراوني⁽³⁾.

أما في الكتابات العربية، فقد احتلت قبيلة نفزاوة مكانة هامة ضمن شجرة القبائل البربرية، إلا أن الاختلاف كان حول أصولها، وفي هذا الإطار، برع اتجاهان:

الاتجاه الأول : ومن بين ممثليه التجاني الذي اعتبر أن نفزاوة هم بنو نفزاو بن بر بن قيس عيلان بن الياس بن مصر بن نزار، وبشيء من الاختلاف يذكر الوزير السراج هذا النسب⁽⁴⁾. وهذا الاتجاه في نسب نفزاوة يرجع أصولها الجغرافية إلى بلاد المشرق والإثنية إلى العرب المستعربة وتحديداً إلى عدنان. وفي هذا الاتجاه يذكر التجاني أن زناته كلها تفرعت من نفزاوة وأنهم "في الأصل عرب، وإنما تبرروا بمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم"⁽⁵⁾. ومهما يكن أمر هذه الاتجاه، فإننا نبدي إزاءه الملاحظتين التاليتين:

1- أن الروايات التي تحاول أن ترتكز على الأصل العربي لقبيلة نفزاوة أو بطن من بطونها أو حتى البربر بصفة عامة قد تكون محاولة من السكان الأصليين للاندماج في العنصر العربي الفاتح وذلك بإرجاع العنصريين إلى أصل واحد.

2- أن قوم أوائل السكان إلى شمال إفريقيا من المشرق أمر منطقي خاصة بالنسبة للجزء الشرقي منها نظراً للامتداد الجغرافي بين الرقعتين، ولعله في هذا الإطار قدم الفينيقيون منذ نهاية الألف الثانية ق.م، كما جاء بنو هلال وسليم في القرن 5هـ/11م.

Carton (L), "Nybgenii et Nefzaoua", in, *Revue Tunisienne*, 1914, I, pp: 209- -⁽²⁾
210.

Ibid, p : 213.⁽³⁾

⁽⁴⁾ التجاني، الرحلة...، نفس المصدر، ص 143 ؛ وكذلك : الوزير السراج، الحل، ج.1، ص 383.

⁽⁵⁾ التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 143.

الاتجاه الثاني : ومن بين من يمثله ابن خلدون الذي أورد عديد الروايات التي ترجع البربر إلى أصل عربي ثم انتقدها جميعاً واستنتج أنها مجرد مزاعم "والحق الذي شهد به المواطن والعمجم أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسبة العرب في صنهاجة وكتامة وعندى أنهم من إخوانهم والله أعلم" ⁽⁶⁾. وبالنسبة لنفزاوة تحديداً لم يربطها ابن خلدون بجد عربي، وإنما اكتفى بنسبتها إلى "تطوفت أو توطفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك" ، وعند التعرض إلى بطون هذه القبيلة ذكر من بينها مكلاتة وأضاف ما يلي : "ويقال إن مكلاتة من عرب اليمن وقع إلى توطفت صغيراً فتباه وليس من البربر" ⁽⁷⁾ ، وهو بذلك يفرق بين أصول البربر والعرب، ويصنف قبيلة نفزاوة ضمن القبائل البربرية. أما عن الأصول الجغرافية للبربر عموماً فيذكر : "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح" ، وقد قدموا إلى المغرب من الشام بعد هزيمتهم أمامبني إسرائيل . وهو بذلك يلتقي مع المؤرخ البيزنطي بروكبيوس القيصري [Procopius de Caesare] (ق 6م) الذي يذكر أن الموربيين [Maurousiri] أي سكان المغرب ينحدرون من القبائل الكعنانية التي تركت سواحل الشام بعد غزوها من قبل اليهود بقيادة الملك يوشع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ⁽⁸⁾ . وفي نفس الاتجاه أيضاً ينقل الوزير السراج عن الشريف الإدريسي رواية مفادها أن جالوت الذي قتلته النبي داود إنما هو ضرليس بن الأصغر بن نفزاو ⁽⁹⁾ ، وهو ما يعني أن نفزاو فلسطيني، ثم قدم أحفاده من هناك إلى شمال إفريقيا.

من جهة أخرى تحل نفزاوة مكانة بارزة ضمن شجرة القبائل البربرية كما ذكرنا، وقد نسبها ابن خلدون إلى زحيك بن مادغيس الأبتر جد البربر البتر، ومنه انحدرت

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، ص 97.

⁽⁷⁾ ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعمجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، ص 114.

⁽⁸⁾ Procopius of caesarea, *History of the wars IV*, 10.13-29. cité par : Stieglitz (R) "Neith, Athena and Tinnit: Cultural Diffusion and the Maghreb Antiquity", in, *Les Cahiers de Tunisie*, T39, N°117-118, 3^e et 4^e trim. 1981, p. 469.

ويبدو أن بروكبيوس وابن خلدون قد اعتمدا على نفس المصادر اليهودية.

⁽⁹⁾ الوزير السراج، الحل، نفس المصدر، ص 383.

أربعة بطون هي : نفوسه وأداسة وضريسة وبنو لوا . ولمعرفه موقع نفراوة في هذه الشجرة، فمما بوضع الجدول الثاني اعتمادا على روایات صاحب العبر (ج 6، ص 89 وما بعدها) :

بطون البرير		
المستوى الثالث	المستوى الثاني	المستوى الأول
	1-سفارة، 2-ضريبة، 3-ادارة، 4-هزولة، 5-هداغة، 6-وطبيطة، 7-ترهنة	1.أداسة
	1-بنو زمور، 2-بنو مكسور، 3-ماتطوسة	2.نفوسه
	1-مضخفة، 2-لماية، 3-دينة، 4-كومية، 5-مديةونة، 6-معفلاة، 7-طمطاطة، 8-ملزورة، 9-مكناة، 10-دونة	3.ضريسة
1-ولهاصنة، 2-خشasse، 3-زهيلية، 4-ورسيف، 5-زانيمية، 6-محرة، 7-مكلاتة، 8-وركول، 9-مرنيسة، 10-ورد، 11-وردن	1-نفراوة	4-بنو لوا الأكبر
1-سدراتة، 2-مزاته	2-لواته	
	-هوارة	البرانس
	1-ازداجة، 2-مصمودة، 3-اوربية، 4-عجبسة، 5-كتامة، 6-صنهاجة، 7-أوريغة، 8-لمطة، 9-هسكورة، 10-كزولة	

من خلال ما سبق ذكره، يمكن التأكيد على أن الاهتمام بنسب نفزاوة وبطونها في الكتابات العربية نقلًا عن النسابيين البربر يدل على أهميتها كقبيلة في تاريخ المغرب الإسلامي، وإن لم تبلغ أهمية قبائل أخرى مثل كاتمة وصنهاجة اللتين ناصرتا الفاطميين أو لمتونة التي أقامت الدولة المرابطية.

أما بالنسبة لمجالات قبيلة نفزاوة؛ فقد كانت مثل القبائل البترية الأخرى تعيش على التنقل والترحال في المناطق الصحراوية والحرارة عموماً بشمال إفريقيا؛ ويؤكد هذا المعنى ابن خلدون إذ يذكر أن "إفريقيا وطرابلس كانت دياراً لنفزاوة ويني يفرن ونفوسه ومن لا يحصى من قبائل البربر" ⁽¹⁰⁾. وقد كانت القبائل البترية عموماً تتخذ من المغرب الأدنى وطنًا لها، لكن يبدو أن بعض بطون نفزاوة توغلت غرباً حتى وصلت بلاد الأندلس فضلاً عن المغاربة الوسط والأدنى، ويمكن تبيين ذلك من خلال تحركات بطونها استناداً إلى ابن خلدون دائمًا ⁽¹¹⁾:

- ورجومة: وهي تحدى من ولهاصة، كانت في القرن 2هـ بجبل أوراس، ومن هناك هجمت على الفيروان سنة 140هـ، ثم استقرت لفترة وجيزة في المغرب الأوسط بمدينة طبنة، لكن بعد عدة انتفاضات افترقت هذه القبيلة وتشتت جموعها بين الأندلس والمغرب الأوسط إذ استقر :

- بعضها بالأندلس ووصل أفراد منها إلى مكانة هامة بقرطبة.

- واستقر البعض الآخر بالمغرب الأوسط بمرماجة وخاصة على السواحل الغربية والشرقية معاً. إذ كان هناك فرع بساحل تلمسان يرأسه في أواسط ق 8هـ ابن عبد المكلف؛ كما نجد بني عريف بساحل عنابة، والذين يذكر ابن خلدون أنهم تعلموا إذ أنهم "يركبون الخيل ويأخذون مذاهب العرب في زيهם ولغتهم وسائر شعائرهم".

- زاتيمة: بساحل برسك.

- غساسة: بساحل بطورية بالمغرب الأقصى.

⁽¹⁰⁾ ابن خلدون، *نفس المصدر*، ص 103.

⁽¹¹⁾ المصدر نفسه، ص 115-116.

-4- زهيلة : بنواحي بادس بال المغرب الأوسط، ومنها ينحدر الولي أبو يعقوب البادسي.

-5- منيسة : بإفريقية.

-6- سوماته : بنواحي القيروان، وقد عرف من بينهم منذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة في القرن 4هـ، وهو أحد ستة مشهورين بالعلم في البربر حسب تصنيف ابن خلدون ⁽¹²⁾.

وبالتالي فقد كانت قبيلة نزاوة مشتتة في كامل المغرب الإسلامي والأندلس، إذ اختارت أهل بطنونها المغامرة والتوجه نحو أراضي جديدة ومراعي أخصب. أما من بقي منها فلا يعرف لها حسب تعبير ابن خلدون في القرن 8هـ "حي ولا مواطن إلا القرى الظاهرة المقدرة المسير المنسوبة إليهم" ⁽¹³⁾، وربما نضيف إلى ذلك منطقة نفزة في الشمال الغربي التونسي.

من جهة أخرى، لم تبق منطقة نزاوة حكراً على القبيلة وإنما سكنتها قبائل أخرى ذكر من بينها :

- 1. بعض القبائل البربرية التي تجاور قبيلة نزاوة ⁽¹⁴⁾ وخاصة منها مزاتة التي كان قسم منها مستقراً جنوب شط الجريد بقلعة درجين ⁽¹⁵⁾؛

- 2. بعض القبائل العربية من بني سليم وخاصة الشريد وزغب وذلك منذ قدومها من المشرق العربي في القرن 5هـ، وينتسب ابن خلدون من استقر منهم بنزاوة بأهلهم كل من عجز عن الطعن وملكوا بها القوار والمياه وكثُرت نفزاوة وهم لهذا العهد عامة "أهلها" ⁽¹⁶⁾، وفي ذلك إشارة إلى إتمام تعریف المنطقة في ق 8هـ، وإلى امتدادها

⁽¹²⁾ المصدر نفسه، ص 106.

⁽¹³⁾ المصدر نفسه، ص 116.

⁽¹⁴⁾ ابن حوقل (أبو القاسم)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1979، ص 94-93.

⁽¹⁵⁾ معمر (علي يحيى)، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة : الإباضية في تونس، بيروت 1966، ص 143.

⁽¹⁶⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج.6، ص 116.

جغرافيا في اتجاه الجنوب حيث "القفار"، إذ كان سكانها الجدد من الأعراب متشبعين بحياتهم البدوية التي ترتكز على رعاية الإبل والأغنام.

- 3. أوربيون من أصل سرياني⁽¹⁷⁾ حافظوا بعد الفتوحات الإسلامية الأولى وإلى ق 8هـ على الأقل على دينهم المسيحي مقابل جزية كانوا يؤدونها للمسلمين، ولكن لا نعلم أهميتهم العددية ولا تاريخ اندماجهم بعد ذلك في المجتمع المحلي.

لقد كانت نفزاوة، في القرن 8هـ/14م مزيجا من العناصر البشرية المختلفة، ولم تبق حكرا على القبيلة أو بعض بطنونها وإنما أصبحت تفتقد صبغتها القبلية منذ ذلك الحين، بل لم يعد هناك فيما بعد من ينسب نفسه إلى قبيلة نفزاوة.

2- نفزاوة المنطقة.

ما هي الحدود الجغرافية لمنطقة نفزاوة؟

يبعد أن حدود المنطقة استمدتها في البداية من حدود القبيلة المتحركة، ولم تكن وبالتالي ذات حدود معينة. ويبعد أن المرة الأولى التي حددت فيها الأراضي التابعة لنفزاوة كانت سنة 29-30 بـم. ومن الممكن أن ذلك تم على حساب القبيلة وقد تجلت هذه المسألة في عهد ترايانوس (98-117)، إذ وقع تحديد أراضيها من جديد وانحرست الرقعة التي كانت قد حددت لها قبل سبعين عاما وأصبحت حدودها تمر شمالا بجبل العسكر أي على بعد 51 كم تقريبا من قصبة و46 كم من بلدة نفزاوة، أما مع قابس فإن الحد يقع إلى 60 كم غربي هذه المدينة⁽¹⁸⁾. وإذا لم يقع توضيح الحدود الجنوبيّة والغربيّة فلأن الهدف من عملية المسح هو تعين الحدود مع قلبس وقصبة الرومانيتين وتوفير إمكانات وأراضي أهم لهما على حساب الملكية القبلية. أما قبيلة نفزاوة فقد بقيت مفتوحة على الأراضي الجرداء في اتجاه الجنوب والغرب، ومن المؤكد أنها كانت تسيطر على شبه الجزيرة التي تقع بين شطى الفجيج والجريد.

أما في الكتابات العربية، فإن حدود نفزاوة تختلف من مصدر لآخر، إلا أنه يمكن تصنيف تلك المصادر إلى مجموعتين:

⁽¹⁷⁾ المصدر نفسه، ص 116 وكذلك ص 419.

⁽¹⁸⁾ Carton, art. cité, p : 210

- **المجموعة الأولى** : هي مصادر ت quamها في بلاد الجريد، وحيث تأخذ بلاد الجريد مفهوما واسعا يتجاوز المفهوم المعاصر له، ونكتفي هنا ببيان ثلاثة مصادر هي :

أ- كتاب صبح الأعشى لأبي العباس أحمد الفقشندى (756-821هـ/1355-1418م) : يعتبر هذا المؤلف أن بلاد الجريد تضم إضافة إلى ققصة وتوزر مدن أخرى مثل المسيلة وبسكرة بال المغرب الأوسط وطرا بنفزاوة وغدامس بالصحراء⁽¹⁹⁾، وبالتالي فهي تمتد غربا وجنوبا.

ب- كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان المعروف بجان ليون الإفريقيي (ق.10هـ/16م) كان مفهومه لبلاد الجريد أقل اتساعا إذ اعتبرها تضم خمس مدن هي ققصة وتوزر والحامة وقبس ونفزاوة⁽²⁰⁾، وبالتالي فهي تضم كل مناطق الواحات بجنوب إفريقية.

ج- كتاب الوصف العام لإفريقيا لدى مارمول De Marmol (ق.10هـ/16م) اعتبر أن إفريقيا تنقسم إلى ستة أجزاء، أحدها بلاد الجريد التي تمتد على المناطق المنتجة للتمور، أي أنها تضم جنوب المغرب الإسلامي من بلاد السوس على المحيط الأطلسي غربا إلى مصر شرقا. أما بلاد الجريد في حد ذاتها فهي تضم خمس مدن من بينها توزر وقصصة ونفزاوة، والملاحظ هنا أن دي مارمول استثنى نفطة إذ اعتبرها تابعة لبلاد الزاب⁽²¹⁾.

غير أن هذا الإتساع في مفهوم الجريد يدل على عدم معرفة بالمنطقة، إذ أن أولئك الجغرافيين لم يزوروا المنطقة البتة، ومن هنا تأتي ضرورة الاعتماد على مصادر أخرى.

- **المجموعة الثانية** : وهي المصادر التي كانت أكثر اطلاعا على المنطقة وأدق وصفا لها، فكانت أقرب إلى الواقع ونورد منها ثلاثة مصادر هي :

⁽¹⁹⁾ الفقشندى (أبو العباس أحمد)، كتاب صبح الأعشى، ج.5، القاهرة 1915، ص 108.
L'Africain (J.L) *Description de l'Afrique*, traduit de l'italien par A. Epaulard, ⁽²⁰⁾

2T, Paris 1956,T1, p : 8.
De Marmol, *Description générale de l'Afrique*, Trad. de Nicolas Perrot sieur ⁽²¹⁾
d'Ablancourt, Paris 1667, Vol. 2, p : 24-25.

أ- كتاب المسالك لأبي عبيد البكري (ق.5هـ) الذي لم يزور المنطقة ولكن يبدو أنه نقل عن مصادر دقيقة، يذكر أن نفزاوة مدينة وهو يتفق في ذلك مع جغرافيين آخرين من بينهم ابن حوقل، لكن تلك المدينة غير تابعة لبلاد قسطنطيلية إذ يفصلهما شط الجريدي الحالي، يقول البكري : "ومن نفزاوة تسير إلى قسطنطيلية وبينها أرض سواحة"، ويضيف أن من مدن قسطنطيلية توزر والحامة ونفطة (22)، ولم يذكر غيرها من المدن بما يجعلها تتطبق على منطقة الجريدي الحالية.

ب- رحلة التجاني الذي زار نفزاوة والجريدي في بدلاية القرن الثامن هـ، يذكر أنه يفصل بينهما سبخة تاكمرت (شط الجريدي) (23)، ويعتبر أن لنفزاوة قاعدتان هما بشري وطرة، وينقل عن ابن شباط قوله إنها تشتمل على بلاد كثيرة، فهل كانت نفزاوة حينئذ تمتد على المنطقة التي تقع شمال قبلي فقط؟ أم أنها كانت تمتد إلى جنوبها أيضاً؟ هذا ما لم يفصح عنه التجاني.

ج- كتاب العبر لابن خلدون : يفرق بين بلاد نفزاوة وببلاد الجريدي التي تضم نفطة وتوزر وقصبة. وتسمى هاتان المنطقتان معاً بلاد قسطنطيلية، ذلك لأن نفزاوة كانت في ق 8هـ تابعة إدارياً إلى توzer (24). غير أنه تجر الإشارة هنا إلى أن قسطنطيلية عند ابن حوقل هي مدينة توzer.

وبالتالي فقد كانت نفزاوة منطقة معروفة بذاتها وإن تبعـت إدارياً في فترة أو أخرى بلاد الجريدي. ويبدو أن مما سمح بالفصل بين المنطقتين هو شط الجريدي الذي كان صعب الإجتياز حسب ما تواتر في الكتابات العربية الإسلامية.

فما هي حدود منطقة نفزاوة؟

(22) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيـة والمغرب وهو جـزء من كتاب المسالك والممالك، ط 2، الجزائر 1911، حققه وقدم له بالفرنسية دي سلان De Slanc، ص 48-47.

(23) التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 154.

(24) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 101 وكذلك ص 419.

1- شط الجريد الذي كان في القديم يسمى بحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) (25) ثم سبخة تاكمترت أو فرعون. لعب هذا الشط دور الحد الشمالي والغربي لبلاد نفزاوة، وقد توالت الروايات وحتى الخرافات لوصف صعوبة اجتيازه، مما يدل على حصانة المنطقة من هاتين الجهتين، ولعل من أقدم النصوص في ذلك ما كتبه أبو عبيد البكري في القرن 5هـ/11م : "من نفزاوة تسير إلى بلاد قسطنطيلية وبينها أرض سواخة لا يهتدى للطريق فيها إلا بخشب منصوبة وأدلة تلك الطريق بنو موليت لأن هناك طوابعهم، فإن ضل أحد يمينا أو شمالا عرق في أرض ديماس شبهاً في الرطوبة بالصابون وقد هلكت فيها العساكر والجماعات من دخلها ولم يدر أمرها" (26). ويتحدث الحميري (ق 14م) في نفس المعنى عن صعوبة عبور شط الجريد قائلاً "إذا دخل المسافر هذا الطريق في أيام الصيف يكاد يهلك من حرارة الملح ويرجع ما في الزفاق من الماء العذب ملحاً لا يقدر على شربه إلا أن يمزج بالسكر أو العسل" (27). أما التجاني الذي قطع سبخة تاكمترت في بدالية ق 8هـ فقد كتب ما يلي: "ووجدنا فيها معالم قائمة من جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوك يميناً وشمالاً لأن ما على يمينها وشمالها من الأرض مغائض لا ثبت عليها قدم، ولا يسلكها أحد جاهل بها إلا غاص فيها" (28). ويؤكد ابن خلدون وجود تلك المعالم الخشبية بالسبخة، وقد يكون أحد النساخين أدخل على نصه بعض التحرير فاكتسبه طابعاً خرافياً طريفاً، إذ جاء فيه أن ما يفصل بين قسطنطيلية ونفزاوة "التماسح المشهورة المبالغة في الإعتساف، ولها معالم قائمة من الخشب يهتدى بها السالك وربما يصل فتبليعه" (29). ويروي غيره العديد من الروايات الغربية من ذلك ما نقله الوزير

(25) من بين من دعم التطابق بين بحيرة تريتونيس القديمة وشط الجريد الحالي القبطان روبيير صاحب مشروع البحر الصحراوي، انظر:

Roudaire (E) *La mer intérieure africaine et l'ancienne baie de Triton*, Extrait de, la Nouvelle Revue, du 1er Mai 1884 Paris 1884.

(26) البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 47-48.

(27) الحميري (أبو عبد الله محمد)، ألورض المعتار في خبر الأقطار، ص 535؛ نقلًا عن الموقعي التالي على الإنترنت : <http://www.alwaraq.com/>؛ أما النسخة الورقية فقد حققها إحسان عباس

وصدرت بيروت سنة 1975.

(28) التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 154-155.

(29) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 419.

السراج عن محمد بن إبراهيم بن جامع المرداسي قوله : "سلكته قافلة لنا فيها ألف جمل ففر بغير منها عن الطريق وتبعد باقي الإبل فلم يكن أسرع من أن ساحت الأرض وغاص فيها الألف جمل، ثم عادت الأرض كما كانت وكان لم يكن لتلك الإبل أثر".⁽³⁰⁾

ومثل هذه الروايات تحذر من قطع شط الجريد بما جعل منطقة نفزاوة التي تقع خلفه في مأمن من الأخطار التي قد تأتي من الشمال عن طريق الشط، خاصة وأنه يمتد نحو الشرق بواسطة شط الفجيج وكذلك جبال الشارب.

2- أما شرقاً : فإن ما يفصل منطقة نفزاوة عن قلب مصر هي الحدود، وهي بربة قفر تكاد تتعدم فيها حياة الإستقرار، وقد لاحظ ذلك التجاني وأعتبرها الكومت فيلبي (Comte Filippi) الذي قطعها سنة 1829 الجزء الأخطر من الصحراء⁽³¹⁾ وبالتالي فإن نفزاوة بعيدة عن التهديدات التي يمكن أن تأتيها من الطريق الساحلي.

3- ومن جهة الجنوب والغرب تشكل الصحراء بكثبانها الرملية وقلة مياهها خير حصن أمام ما يمكن أن يتهدد نفزاوة من أخطار.

فمنطقة نفزاوة القديمة تتطبق على جزء كبير من نفزاوة الحالية أي ولاية قبلي. وقد كانت هذه المنطقة تاريخياً ملحاً لعدة مجموعات بشرية، وليس من الغريب عندئذ أن احتفظت جالية مسيحية فيها بدينها حتى القرن 8 هـ.

ولعل من مؤشرات عزلة نفزاوة عن بقية إفريقيا عدم الإطناط عند ذكرها في كتب الجغرافيين والرحالة على عكس بلاد الجريد مثلاً والتي تفتح مباشرة على القิروان، بل إن بعض تلك الكتب تخلط بين هاتين المنطقتين ولعل ذلك يعود إلى :

أ- ارتباط نفزاوة إدارياً في فترة أو أخرى ببلاد الجريد.

ب- الشبه بين المنطقتين في الظروف الطبيعية والاقتصادية والبشرية.

⁽³⁰⁾ الوزير السراج، الحل، نفس المصدر، ص 390-391.

Monchicourt (Ch.), *Relations inédites de Nyssen, Filippi et Calligaris* (1788-⁽³¹⁾ 1829, 1834), Paris 1929, pp. 258-259.

إن موقع نفزاوة المنعزل جعلها في أحيان كثيرة بعيدة عن التبعية المباشرة لإفريقية وعندما كانت تخضع لها لم تكن علاقتهما غالباً مبنية على العنف خاصة وأن حياة الاستقرار بالمنطقة لم تكن تسمح بذلك.

فما هو الدور الذي لعبته في تاريخ إفريقيا؟ وكيف تفاعلت مع الأحداث والتغيرات التي كانت تهز المنطقة في فترة أو أخرى؟ وما هي الصورة التي نقلتها لنا عنها مختلف المصادر؟

عصور ما قبل التاريخ

إن ما يمكن التأكيد عليه في البداية هو صعوبة دراسة فترة ما قبل التاريخ بصفة عامة، ذلك أن المؤرخ لهذه الفترة يقيم بناءه الضعيف على أرض لا استقرار عليها (¹). وإذا كانت المنطقة المدروسة مثل نفزاوة فإن الوضعية تصبح أدق وأصعب، ذلك أن هذه المنطقة بقيت نائية عن العمل المكتف للمنقبين والباحثين رغم الإمكانيات العريضة التي يمكن أن توفرها، ناهيك أن الأدوات ما قبل التاريخية يمكن العثور عليها على سطح الأرض.

لقد بدأ اللتقى إلى فترة ما قبل التاريخ بنفزاوة منذ النصف الأول من القرن العشرين، وكان ذلك باحتشام كبير، وبقيت الصدفة تقوم بدور محدد في هذا الأمر إذ عثر بجنوب المنطقة على أدوات ما قبل تاريخية تتمثل في سهام وشفرات صغيرة (lamelles) حجرية (²)، مما يدل على وجود الإنسان منذ عهود غابرة. وفي بداية الخمسينات قام الباحثان س. آرمبورغ C. Arambourg ور. كوك (R. Coque) بتقنيات في مستوى الفيلافرنشي Villafranchien بعين برمبة بالسفح الغربي لجبل طباقة (³)، على بعد بضعة كيلومترات شمال مدينة قبلي فعثروا على دلائل على وجود سحيق للإنسان بالمنطقة يعود إلى بدليات العصر الحجري القديم الأسفل. ووقع تاريخ الحجارة المنحوتة التي عثر عليها بذلك الموقع بنصف مليون سنة (⁴)، قبل أن يقوم

(¹) جولييان (ش.أ.)، تاريخ إفريقيا الشمالية، جزءان، تعریب محمد مزالی والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر تونس، ج.1، ص.40.

(²) Moreau (P.), Le pays des Nefzaouas, IBLA, Tunis 1947, p54.

(³) Arambourg (C.) et Coque (R.), "Le gisement villafranchien de l'Ain la Brimba (⁴) (Sud Tunisien) et sa faune", in, Bulletin de la Société Géologique de France, 6e. série, 1958.

(⁴) الشريف (محمد الهادي)، تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس 1980، ص 13.

الباحثان عبد الرزاق قرافق و علي مطيميط بتقديم تاريخ أقدم يعود إلى أكثر من مليوني سنة⁽⁵⁾.

أما بالنسبة للعصر الحجري الحديث فقد أشار هذان الباحثان إلى العثور بالمنطقة على أدوات يعود تاريخها إلى عشرين ألف سنة قبل الميلاد أي قبل ظهور الحضارة الفقصية نفسها بآلاف السنين، وتتمثل تلك الأدوات خاصة في شفرات صغيرة لا يتجاوز طولها الخمس سنتيمترات⁽⁶⁾.

وإذ لم توجد عظام بشرية فإن الأدوات الحجرية التي عثر عليها تحمل آثار الفعل البشري، وهي وبالتالي دليل على وجود الإنسان بالمنطقة منذ زمن سحيق يعود إلى بداية العصر الحجري القديم الأسفل، ذلك أن الحجارة التي عثر عليها بعين برمبة وقع تكسيرها بواسطة حجارة أخرى لتصبح ذات حد قاطع يساعد على الصيد ومواجهة الأخطار، وقد وجدت هذه الحجارة مع عظام حيوانات من بينها النمر والفيل العملاق⁽⁷⁾ إضافة إلى الكركدن (*Ceratotherium simum*) والبقر الوحشي (*Alcelaphus*) والغزال (*Antidorcas*) والقردة (*Macaca*) وغيرها⁽⁸⁾.

ووجود مثل هذه الحيوانات يدل على أن المناخ كان حاراً ورطباً ثم أن شط الجريد كان في بداية عصور ما قبل التاريخ بحيرة تتغذى من مياه المطار والعيون العديدة المتواجدة داخلها⁽⁹⁾، وترتاد ضفافها أنواع عديدة من الحيوانات، وكان الإنسان يمارس حولها الصيد وقطف الثمار.

Gragueb (A) et Mtimet (A), *La préhistoire en Tunisie et au Maghreb*, Alif⁽⁵⁾
Edition, Tunis 1989, p32.

Gragueb et Mtimet, *La préhistoire...*, op. cit., pp. 57-58⁽⁶⁾

⁽⁷⁾ قرافق (عبد الرزاق)، "البلاد التونسية في عصور ما قبل التاريخ"، في، كراسات التاريخ للسنة الأولى ثانوي (نشرية خاصة بالأسنانة)، الكراس الأول، 1989-1990، ص 11.

FOURNET (André), "Les gisements à faune villafranchienne de Tunisie", *Notes du Service Géologique de Tunisie*, 1971, p. 56.⁽⁸⁾

⁽⁹⁾ قرافق، "البلاد التونسية...", نفس المرجع، ص 11-12.

كما وجد الإنسان بالمنطقة في بداية العصر الحجري الحديث، وقد وجدت مخلفاته من الشفرات الصغيرة في العديد من المواقع بنفزاوة، وهي جميعها قريبة من مدينة قبلي الحالية حسبما يبينه الجدول التالي (١٠) :

الموضع	البعد عن قبلي (كم)	في اتجاه
المنشية	15	الشمال الغربي
عين القطار	15	الشرق
عين زقراو	21	الشرق
عين العتروس	28	الشمال الشرقي

ويمكن أن نضيف إلى تلك المواقع موضع الصابرية حيث وجدت أدوات صوانية من شفرات صغيرة وأسمهم كانت مغطاة بالرمال آلاف السنين ثم ظهرت على السطح بعد انتقال تلك الرمال إلى مناطق أخرى (١١)، ومن المؤكد أن أدوات أخرى أكثر أهمية مازالت مخبأة إلى حد الآن وهي تدل على أن الإنسان واصل صيد الحيوانات، وهذا النمط من العيش تواصل مدة طويلة بعد ذلك، إذ أن العصر الحجري الحديث بقي حيا ونابضا إلى ما بعد قيوم شعوب ما وراء البحار من فينيقيين ورومان (١٢).

إن ما يمكن التأكيد عليه :

1- أن المعطيات التي تهم فترة ما قبل التاريخ دائمة التجدد ولا يمنع ذلك من أن أقدم أثر بشري إلى حد الآن ببلاد المغرب وجد بعين برمبة بنفزاوة إضافة إلى عين الحنش بالشرق الجزائري.

Gragueb et Mtimet, *La préhistoire...*, op. cit., p. 56 (١٠)

(١١) Morcau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p.54 وفي نفس الإطار كانت شخصيا قد التقطت بعض الأسمهم الصغيرة في موضع خلة قاسمية قرب بلدة بشني التي تقع غربي مدينة قبلي حوالي 40 كلم.

(١٢) جولييان (ش.أ)، *تاريخ إفريقيا الشمالية*، نفس المرجع، ج ١، ص 57.

2- أن المنطقة لم تخضع إلى حد الآن لتنقيبات مكثفة، وقد تفاصي مثل تلك التنقيبات لو تمت إلى نتائج جديدة، بما يلقي مزيداً من الضوء على ما قبل التاريخ المغاربي بصفة عامة.

3- أن مناخ شمال إفريقيا ونفزاوة كجزء منه، اتجه منذ العصر الحجري الحديث نحو الجفاف ومنذ حوالي أواخر الألف الثانية ق.م. لم يتغير المظاهر الجغرافي تغيراً محسوساً⁽¹³⁾، في حين بدأت تتطل على المنطقة بعض التأثيرات الحضارية الخارجية وقد وردت من الشرق أولاً ثم من الشمال.

⁽¹³⁾ المرجع نفسه، ص 40.

الفصل الثالث

نفزاوة في العصور القديمة

١- نفزاوة تحت التأثيرات الشرقية:

إننا عندما نحاول أن نربط بين المعلومات التي لدينا عن التاريخ القديم لنفزاوة، نجد العديد من الفراغات مما يدفعنا إلى التدعيم بمحاجظات معاصرة تسد تلك الفراغات وتساند الوثائق المنفردة. إذ أن المنطقة مليئة بالألغاز والطلاسم، وخلف كل اسم مكانٍ تختفي معلومات وأحداث، وخلف كل ممارسة وإن كانت بسيطة يمكن ماض ر بما يكون سحيقاً، إلا أن النتائج التي نصل إليها قد لا تتجاوز الفرضيات إلى البقين، وعندئذ حسبنا لأننا اجتهدنا.

ومن تلك الألغاز التي قد تضيء محاولة حلها أركاناً مجهرة من الماضي الواحمة المنسوبة لفرعون والتي تقع شمال نفزاوة وبالضبط في أقصى شبه الجزيرة، وقد أشار شارل تيسو (Charles Tissot) في القرن التاسع عشر إلى روایات تربط نشأة تلك الواحة بغزوة شرقية^(١)، وما زالت هذه الروایات متداولة إلى الآن.

إن النظر في تلك الروایات لا يجب أن يتم من باب أنها أسطورة فقط، إذ أن النصوص المصرية القديمة تتحدث عن علاقات اللوبين أي سكان شمال أفريقيا بالمصريين منذ القديم، فقد تعرضت وادي النيل حوالي سنة 3300 ق م لهجمات اللوبين الذين تسميمهم تلك النصوص بالتهنو (Tehenou) أو التمهو (Tamahou) وتظهرهم الصور يحملون أسلحة من الأسمم والعصي القاذفة ويذهب المؤرخ الفرنسي شارل أندرى جولييان إلى أنه قد تكون وجدت مملكة مصرية لوبية في بلاد المغرب، وتصور الآثار المعاーك التي شنها ملوك الأسرة الخامسة على اللوبين منف حوالي

Cité par Monchicourt (Ch.), *Relations inédites...*, op. cit. p. 253.^(١)

سنة 2600 ق.م.⁽²⁾، وفي الفترة الممتدة بين 1732 و 1622 ق م احتل الهاكسوس مصر وأجبروا جماعات عديدة على الفرار منها في اتجاه الغرب حتى وصلوا إلى منطقة الجرييد الحالية وأسسوا بها نفطة. وبعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون طارد الفرعون سيني الأول (Seti 1st) اللوبين ومن بينهم جماعة تسمى المشاوشة (Mashaousha)⁽³⁾، واستطاع ابنه رمسيس الثاني في بدأة القرن الثالث عشر ق م أن يهزّهم. غير أنهم تمكّنوا فيما بعد من الهيمنة على مصر وأسسوا بها في القرن العاشر ق م الأسرة الثانية والعشرين⁽⁴⁾.

إن تلك الأحداث تؤكد الاحتكاك المتواصل بين المصريين واللوبين، وكان من نتائجه أن شمال إفريقيا تعرض للتأثيرات المصرية. ولا شك أن نفزّوا به موقعها القريب من الشرق تكون عندئذ قد خضعت لتلك التأثيرات. لكن ما هي مؤشراتها وما هي حدودها؟

يذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت (484-425 ق.م.) أن اللوبين الذين يعيشون بين مصر وبحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) يعبدون الشمس⁽⁵⁾. وما يدعم ما ذكره هيرودوت بقاء بعض المؤشرات الحية إلى حد الآن على عبادة الشمس، من أهمها أن الطفل بنفراؤة عندما تسقط سنه يقذف بها نحو الشمس ويتووجه إليها فائلاً: "يا أميمة الشمس هاك سن بهيم واعطيني سن غزال"، أي أن تقوم الشمس بإيدال السن اللبنية بأخرى أجمل منها. ولا شك أن هذه القدرة التي منحت للشمس هي قدرة إلهية خارقة، بما يدل أن عبادة الشمس كانت منتشرة بالمنطقة، وقد يكون ذلك بتأثير من مصر القديمة حيث كان يعبد الإله الشمس (رع). وما لا شك فيه أن عبادات أخرى انتشرت بالمنطقة، وكلها ترتبط بمظاهر الطبيعة ولعل من بينها عبادة المياه أو العيون⁽⁶⁾. فهي منطقة صحراوية تحتل مصادر المياه مكانة قدسية حتى كان الناس يقدمون لها بعضاً

⁽²⁾ جولييان (ش.أ.), تاريخ شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص 71.

⁽³⁾ بحلوة (محمد علي)، قصة قديماً وحديثاً، طبع دار الجويني للنشر، تونس 1990، ص 59 و 63.

⁽⁴⁾ جولييان، تاريخ شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص 72.

Hérodote (IV, 168), cité par Lewicki (T.), "Survivances chez les berbères médiévaux d'ère musulmane de cultes anciens et de croyances païennes", in, **Folio Orientalo**, TVIII, 1966-67, p. 11.

Ibid, p 17. ⁽⁵⁾

القرايين الحيوانية، بما يذكر بعادة المصريين في تقديم القراءين البشرية لنهر النيل، وقد بقيت هذه العادة إلى بضعة عقود خلت، من ذلك أن سكان بلدة الجرسين كانوا يذبحون عند العين الطبيعية لبلدهم معزاة سوداء كل سنة.

ومن المؤكد أن التأثير المصري لم يقتصر على المعتقدات الدينية بل تجاوزه إلى مجالات أخرى، ذلك أن سكان بلاد المغرب بصفة عامة اقتبسوا تقنيات الفلاحة وتربيبة الماشية من الشرق⁽⁷⁾ ومن ضمنه البلاد المصرية. وفي هذا الإطار قد تشير تسمية "تخيل فرعون" إلى تأثير مصرى ما بخصوص غراسة النخيل في نفزاوة. وإذا لا نستطيع أن نجزم بذلك، فمن الأكيد أن هذه الشجرة قد أتت من الشرق، عن طريق شعب آخر هم الفينيقيون.

و قبل التعرض إلى التأثير الفينيقي لا بد من الإشارة إلى أن بحيرة تريتونيس التي يرجح أنها شط الحريد قد احتلت مكانة هامة في الأساطير اليونانية القديمة، وكانت بحق بحيرة أسطورية. فكيف تناهى إلى اليونانيين ذكر هذه البحيرة التي اعتبرها أبو الحاج يوسف بن منصور فيما بعد "من غرائب الدنيا التي أغفلها المؤرخون وأهمل وصفها الإخباريون"⁽⁸⁾? هل كان ذلك عن طريق مصر حيث كان للوبين تأثير هام؟ أم هو عن طريق الاتصال المباشر؟

لا بد في البداية من تقديم بعض المعلومات الجغرافية التي تذكرها المصادر اليونانية عن البحيرة والمنطقة، من ذلك :

وجود نهر يسمى تريتونيس يصب في البحيرة التي تحمل نفس الاسم، وقد ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت (480-424 ق.م) والكاتب الروماني بلينيوس (Plinius) (23-79 ب.م.) والرحالة اليوناني سكيلاكس Scylax (ق. 4 ق.م.)⁽⁹⁾. أما العالم والجغرافي بطليموس (ق. 2 م) فقد ذكر أن هذا النهر ينبع من جبل أوسالتون (Ousaleton)، وذكر في فقرة أخرى أن مصبه يقع شمالي قابس (Ousaleton)⁽¹⁰⁾.

⁽⁷⁾ الشريف، تاريخ تونس، نفس المرجع، ص 14.

⁽⁸⁾ الوزير السراج، الحل، نفس المصدر، ج.1، ص 390.

Cité par Guérin (V.), Voyage archéologique dans la régence de Tunis, Paris⁽⁹⁾

1862, T.1, pp. 248-249.

Ibid.⁽¹⁰⁾

- وجود جزيرة ببحيرة تريتونيس سماها هيرودوت فلا Phla، وسماها المؤرخ اليوناني ديدوروس الصقلي (Diodorus) (90-20 ق.م) هسپيرا (Hespera)، أما الجغرافي اليوناني سترابون (60 ق.م - 20 ب.م) فقد ذكر وجود ميناء أو بحيرة تسمى هسپيریداس (Hesperides) قرب بحيرة تريتونيس (¹¹).

- وجود ثلاثة بحيرات ذكرها بطليموس، وهي بحيرة ليبا غربا ثم بحيرة بلاس فبحيرة تريتونيس شرقا (¹²).

ورغم أن ديدوروس الصقلي يذكر أن بحيرة تريتونيس قد اخفت إثر رجة أرضية (¹³)، فإن العديد من الباحثين يعتقدون أنها هي نفسها شط الجريد الحالي، وأن الأرض الأسطورية لزهرة اللوتس هي جزيرة جربة. وقد حاول البعض البحث عن تطابق المعطيات التي تقدمها المصادر القديمة مع منطقة شط الجريد من ذلك أن قرنفيل تأمل نفسها واحدة فرعون (¹⁴)، أما فيليبي فيعتقد أنها المكان المعروف باسم المنصف والذي يوجد داخل شط الجريد (¹⁵). ومن الأساطير التي ارتبطت ببحيرة تريتونيس :

- أنها شهدت ولادة بلاس (Pallas) (¹⁶) ولذلك أطلق عليها لقب تريتوجينيا (Tritogenia) نسبة إلى البحيرة، وعند هوميروس (¹⁷) فإن بلاس هي الإلهة أثينا إلهة الحكمة في الميثولوجيا اليونانية.

- أن البطل الأساطوري جازون (Jason) قاد بهذه البحيرة الأبطال الأرغونووت (Argonautes) (¹⁸).

Herodotus (IV,178), Diodorus (III, 53.4 ff), Strabon (XVII, 3.20), Cités par (¹¹)
Stieglitz (R), "Neith, Athena and Tinnit...", op. cit., p. 466.

Cité par Guérin, Voyage..., op. cit., pp. 248-249. (¹²)

Diodorus, (III, 55.3), cité par Stieglitz, op. cit., p. 467. (¹³)

Cité par Guérin, Voyage..., op. cit., pp. 249-250. (¹⁴)

Monchicourt (Ch.), Relations inédites..., op. cit., p. 255. (¹⁵)

Guérin, Voyage..., op. cit., pp. 249-250. (¹⁶)

Stieglitz, op. cit. p. 467. (¹⁷)

Guérin, Voyage..., op. cit., pp. 249-250. (¹⁸)

- أن الأمازونيات اللوببيات (Les Amazones) - وهن نساء محاربات واجهن هرقلas (Héraclès) فقتل ملكتهن وعد ذلك أحد أعماله الإثني عشر - كن يعشن حسب ديودوروس الصقلي بجزيرة هسبيرا في بحيرة تريتونيس⁽¹⁹⁾.

- حسب سكيلاس كان بالجزيرة التي تقع ببحيرة تريتونيس معبد للإلهة تريتونينا⁽²⁰⁾.

إن ارتباط بحيرة تريتونيس بالميثولوجيا اليونانية يعطي لهذه البحيرة صبغة أسطورية تتلاحم مع مكانتها ضمن "غرائب الدنيا" حسب تعبير أبي الحاج يوسف بن منصور، كما أن توافر الحديث عنها في المصادر اليونانية القديمة يجعلنا نتساءل عن المسلك الذي اتبعه ذكرها حتى وصلت إلى تلك المكانة عند اليونانيين. فهل وقوع التعريف بها عن طريق اللوببيين الذين كان لهم تأثير ونفوذ هامين في بلاد النيل؟ أم عرفت مباشرة من قبل اليونانيين؟ أم عن طريق الفينيقيين؟ ذلك ما لا نستطيع الإجابة عنه مع غياب الوثائق الأثرية خاصة. ويحق لنا أن نتساءل بعد ذلك عن مدى التأثير الفينيقي في المنطقة.

لقد تواجد الفينيقيون بالسواحل الإفريقية منذ القرن 12 ق.م، وأصبح تأثيرهم هاماً بعد ظهور قرطاج وخاصة بعد أن أصبحت إمبراطورية ممتدة الأطراف، لكن نفوذه لم يمتد أبداً إلى منطقة نفزاوة التي بقيت تعيش على هامش العالم البوسي، إذ أن الإمبراطورية القرطاجية كانت بحرية أساساً وحتى عندما توسيعها بالأراضي الداخلية اقتصرت على المناطق الشمالية بالبلاد التونسية. ومع ذلك يمكن التأكيد على أن نفزاوة استفادت من الموانئ الفينيقية القرطاجية منها وهي زيتا (هنشير زيان قرب جرجيس) وجعنتيس Gightis (بوجرارة) وخاصة تكابي (قبس)، وقد يكون من المؤشرات على ذلك :

- وجود النخيل بكل السواحل الجنوبية الشرقية للبلاد التونسية ونفزاوة، وقد ساهم تشابه المناخ في انتشارها بكامل الجنوب التونسي، وإذا لم تكن النخلة قد دخلت

Diodorus, (III, 55.4 ff), cité par Stieglitz, *op. cit.* p. 466. ⁽¹⁹⁾

Scylax, (*Periplus*, 110), cité par Stieglitz, *op. cit.* p. 467. ⁽²⁰⁾

المنطقة بتأثير مصرى، فمن المؤكد أن الفينيقين الذين يعتبرونها رمزا لكمال النعمة هم الذين قاموا بإدخالها⁽²¹⁾.

- أن أول عملية مسح للأراضي بالمنطقة وقعت في القرن الأول للميلاد، وقد جعلت أراضي نفزاوة محدودة من ناحية الشرق بأراضي قابس⁽²²⁾، ولعل ذلك يدل على الاتصال السالب بين المنطقتين إلى أن وصل الأمر إلى ضرورة الفصل بينهما. ومن الأكيد أن ذلك الاتصال يعود إلى العهد الفينيقي.

- أن هناك عادة فينيقية انتشرت بالمنطقة وهي عادة أكل لحوم الكلب التي بقيت منتشرة إلى زمن قريب بقابس وقبلي وحتى توزر، وقد تعرض البكري في القرن 5 هـ إلى وجودها بتوزر إذ قال : "وأهلها يستطيعون لحوم الكلاب ويسمونها في بساتينهم ويطعمونها بالتمر ويأكلونها، وأخبرني من ضاف منهم رجلا فأطعنه لحم استطابه واستحسنه، فسأله عنه، فقال له : "لحم جرو مسمن".⁽²³⁾"

لا شك أن تلك المؤشرات غير كافية لحصر التأثيرات الفينيقية بالمنطقة، وهي في حاجة إلى الدعيم والتعزيق.

لقد تعرضت نفزاوة إلى تأثيرات شرقية مصرية وفيئيقية ستدعم فيما بعد مع الفتح العربي الإسلامي وخاصة مع زحف بني هلال الذين سيكون لهم الدور الحاسم في تعريب المنطقة، لكن قبل ذلك ما هو مدى التأثير الرومانى عليها؟

2- نفزاوة في عهد الرومان :

أ) مشكلة المراجع :

إذا كانت المشكلة الأساسية في كتابة تاريخ نفزاوة تتمثل إلى حد كبير في قلة المصادر والمراجع، فإنها اخذت مع الفترة الرومانية بعدا آخر ؛ إذ تصدى للاهتمام بهذه المنطقة أوربيون في غالبيهم من الفرنسيين، ولم تكن كتاباتهم محليدة أو موضوعية

Moreau (P.), *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 125. ⁽²¹⁾

Carton, "Nybgenii...", op. cit., pp. 209-210. ⁽²²⁾

⁽²³⁾ البكري، المسالك...، نفس المصدر، ص 49.

بل اصطبغت بصبغة عاطفية ووجودانية وعكست أهدافا وغايات إيديولوجية استعمارية وهيمانية، فعبرت عن زمن كتابتها أكثر مما كتبت عن ماضي المنطقة.

وهذه الملاحظة لا تخص بطبعية الحال نفزاً بل تتعداها إلى شمال أفريقيا بصفة عامة كجزء من العالم الروماني القديم، وتطرح إشكاليات عديدة منها علاقة التاريخ وبالأخص علم الآثار بالإستعمار، والحد الفاصل بين الحقيقة التاريخية وتلويتها. وحتى لا نخرج عن الإطار الذي رسمناه لأنفسنا نكتفي بعرض نقدي لبعض ما جاء في ثلاثة نصوص تعرضت لنفزاً بدرجات مختلفة، يعود اثنان منها إلى ما قبل الفترة الاستعمارية، والثالث إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكان الأولان إذن من الكتابات المؤسسة للنظرية الاستعمارية فيما بعد بينما استفاد النص الثالث من كل ما سبقه من كتابات :

1- **نص الكومت فيليبي** (24) قام هذا дипломاسي الذي كان يشغل خطبة قصل سريدينيا بتونس فيما بين 1825 و 1830 بزيارة نفزاً في شهر أبريل 1829، إذ رافق المحلة إلى توزر ثم فارقها هناك قاصداً مدينة قابس فمر بنفزاً ولم يبق بها غير يومين. وكان النص الذي كتبه من أوائل الكتابات ما قبل الاستعمارية التي وصفت البلاد التونسية ولكنه لم يطبع إلا بعد مرور مائة سنة على كتابته مع نصين آخرين يعود أولهما إلى سنة 1788 والأخر إلى سنة 1834.

حاول الكومت فيليبي فيما كتبه استعادة الأسماء القديمة لهذا المكان أو ذلك فنطمين هي المانيا القديمة (Almaena) وليماقس هي ماقس (Maggs). وبذلك أراد أن يansen في غربته بوجود الرومان قديماً في المنطقة. وسيندعم هذا التوجه "التأصيلي" في الكتابات اللاحقة. هذا من جهة أما من جهة أخرى فقد حاول الكومت فيليبي أن يبرز مظاهر الخراب والبؤس التي تعانىها المنطقة، إذ ذكر أن نفزاً كانت تعداد أكثر من مائة قرية فلم يبق منها إلا النصف، ويعيد أسباب ذلك إلى ظالم القياد وغزووات الطوارق. وأما ما بقي من تلك القرى فهو عبارة عن "مداشر سينية وشبه خربة" ومن مظاهر هذا الخراب أيضاً تراجع وجود التعام بالمنطقة.

Monchicourt (Ch.), **Relations inédites...**, op. cit, pp. 253-259. (24)

غير أننا إذا لم نستطع أن ننفي حالة البوس التي كانت عليها المنطقة، فمن الصعب أن نصدق ما ذكره عن وجود المائة قرية. وإن حدث تراجع عمراني فهناك عوامل أخرى يمكن أن تلعب دوراً محدوداً لعل أهمها مشكلة المياه فحيثما يوجد الماء يتجمع البشر وإذا نصب ينزعون نحو مناطق أخرى.

2- نص فيكتور غيران (Victor Guérin) ⁽²⁵⁾ الذي كلفه وزير التعليم العمومي الفرنسي سنة 1860 بمهمة أثرية بالبلاد التونسية، الغاية منها جمع نصوص النقاوش التي يعثر عليها. وقد جمع فعلاً 568 نصاً أغلبها لاتينية. كما قدم في تقريره معطيات أخرى ذات صبغة عسكرية خاصة إذ تحدث عن التحصينات والأسوار... مما قد يتجاوز الغاية المعلنة لمهمته.

وصل هذا الباحث إلى نفزاوة قادماً من قابس في أواخر مارس 1860 وزار عدداً من القرى من بينها بازمة وقبلي والمنصورة وتلمين التي يجمع موقعها شبكة الطرقات بنفزاوة. وفي تقريره حاول أن يربط المنطقة بالماضي الروماني فقبلي هي (Vepillum) القديمة التي أشار إليها بطليموس، دون أن يقدم على ذلك أية أدلة مكتفياً بقوله إن ذلك هو ما ذهب إليه باحثان آخران هما شاو (Shaw) وفرنفيل تمبل (Grenville Temple). وتلمين هي (Turris-Tamalleni) التي وردت في مسالك أنطونينوس ودليله على ذلك اسم البلدة نفسه الذي يشبه الاسم الذي ذكره أنطونينوس وكذلك المسافة التي تفصلها عن قابس. ويبدو أن هذه الأدلة قد أقنعت من كتب في الموضوع بعده، معتبرين كلامه من المسلمات.

وقد رکز غيران في تقريره على ما يمكن تسميته بالشواهد على ذلك الماضي، وخاصة منها الحجارة الضخمة، وكأنها لا يمكن إلا أن تعود إلى العهد الروماني. كما وجد بتلمين نقشتين تتضمن إداحهما تسميتها مونيقبيوم (Municipium) في عهد الإمبراطور الروماني هドريانوس (117-138 ب.م.).

وقد أصبحت مثل هذه النصوص فيما بعد مراجع لا ينطرق إليها الشك لكل من كتب عن الماضي الروماني للمنطقة ومن بينهم بيار مورو.

3- نص بيار مورو : يعتبر أول من كتب بصفة شاملة وموئلية عن نفزاوة، فقد صدر له سنة 1947 كتاب يحمل عنوان : "من بحيرات الملح إلى ركامات الرمل، بلاد نفزاوة"، تعرّض فيه إلى مختلف جوانب الحياة بنفزاوة في عهد الاستعمار إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية وجعل لتاريخ نفزاوة بابا من الأبواب الخمسة للكتاب يمتد على أكثر من ستين صفحة خصص قسما هاما منها للفترة الرومانية.

وبدون التعرض إلى كل هذا النص، نؤكد أن مورو اتبع خلاله منهجية ترتكز على عنصرين :

- تكثيف المعطيات حول الماضي الروماني مستفيدا من عدد كبير مما كتب عن منطقة اليماس (النخوم) الرومانية.

- استخلاص الدروس وال عبر من ذلك الماضي ليستفيد منها الاستعمار الفرنسي.

وقد عقد العديد من المقارنات بين "ماضي" المنطقة الرومانية و "حاضرها" الفرنسي لكي يقتدي بالخلف بالسلف، وفي هذا الإطار :

- يربّر وضع المنطقة ضمن التراب العسكري من قبل الفرنسيين، إذ فعل أسلاقهم الرومان ذلك وهم الذين فهموا الطبيعة العسكرية للمنطقة بسبب تزويق السكان الدائم للهيجان⁽²⁶⁾. وهو بذلك لا يبحث مثل سابقيه عن شرعية تاريخية للوجود الاستعماري فقط، بل يبحث عنخلفية تاريخية لسياسة الشدة التي يسلكها النظام الاستعماري إزاء الأهالي.

- كما حاول أن يؤكد على ازدهار المنطقة في العهد الروماني وبلغها مستوى أرفع مما هي عليه تحت الفرنسيين، ولكنه عزا ذلك إلى قصر الفترة الاستعمارية التي لم تتجاوز الستين سنة⁽²⁷⁾. ومن خلال ذلك حاول بيار مورو رسم أهداف جديدة للاستعمار وربما توجّيهه نحو الاستغلال المباشر للمنطقة، إذ يقول إن "الفترتين الرومانية والفرنسية وحدهما أفادتا من ثروات المياه التحتية، وأنه يجب الاجتهاد بواسطه الأعمال الذكية والاستعمال العقلاني للسائل الثمين، لإرجاع البلاد إلى

Moreau (P.), *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 63. (26)

Ibid., p. 68. (27)

ازدهارها القديم⁽²⁸⁾، وكان نفزاً لم تعرف ازدهاراً في العمود العربية الإسلامية التي تميزت -حسب مورو- بالصراعات المختلفة وأحدثها الصراع بين يوسف وشداد⁽²⁹⁾.

إن ما كتبه مورو يعبر عن الأطماء والأهداف الاستعمارية، وهو كذلك تسويف لنوعية معينة من الكتابات بدأت منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكنها مازالت مهيمنة إلى حد الآن وتؤثر على ما لحقها من كتابات جديدة.

ب) رومنة نفزاً وحدودها :

بنيت نفزاً أكثر من قرن ونصف من وجود الرومان بشمال إفريقيا بعيدة عن هيمانthem، ولكنها منذ القرن الأول دخلت ضمن منطقة الليماس. وقبل تحليل ذلك لا بد من إلقاء الضوء على مفهوم الليماس (Limes) الذي يعتبر جهازاً يهدف إلى الدفاع عن الإمبراطورية الرومانية، وهو يتربّك من ثلاثة عناصر متكاملة الأدوار وهي :

1- الخندق وتنخلله أسوار وأبراج ومحصون ومرآكل محصنة.

2- مرآكل محصنة منفردة أمام الخندق أو وراءه.

3- شبكة من الطرق التي تخضع للضرورة الإستراتيجية⁽³⁰⁾.

وفي هذه التركيبة سنحاول أن نبرز موقع نفزاً.

لقد اقتصر الرومان حتى القرن الأول الميلادي على احتلال المناطق الواقعة شمال الشطوط التونسية إضافة إلى شريط ساحلي ضيق يضم قابس ويمتد جنوباً إلى السواحل الطرابلسية. وفي سنة 14-15 بـ م استطاعوا أن يتواجدوا فعلاً بسهول السقي ثم اتجهوا فيما بعد جنوباً إلى سهول الشارب، إذ قام الفيلق الثالث أغسطس سنة 29 بـ م برسم أراضي المنطقة وضمها وبالتالي إلى الإمبراطورية. فما هو السبب الذي جعل الرومان يتوجهون نحو توسيع مناطق نفوذهم في هذه المناطق؟ يبدو أن ذلك يعود إلى سببين متظايرين هما :

Ibid.⁽²⁸⁾

Ibid. p. 98.⁽²⁹⁾

⁽³⁰⁾ جولييان، تاريخ شمال إفريقيا الشمالية، نفس المرجع، ج 1، ص 184.

١- التكالب على ما تبقى من أراضي خصبة لم تدخل بعد ضمن الإمبراطورية الرومانية فامتدت مساحتها على حساب الملكيات القبلية، ومن هنا وقع التوسيع على حساب قبيلة نفزاوة ونوميديا وغيرهما⁽³¹⁾. وبالتالي فقد ساهم السبب الاقتصادي في ديناميكيَّة التوسيع الروماني.

٢- السبب العسكري : ذلك أن شمال إفريقيا عرف، بين سنتي 17 و 24 بـ م، اندلاع ثورة حقيقية قادها البربري تاكفاريناس (Tacfarinas) الذي تمكن من أن يقهر الجيوش الرومانية لمدة سبع سنوات متواصلة، متبعاً أسلوب حرب العصابات فكمان كلما انهزم أمام الرومان ينسحب إلى الصحراء ليعيد تنظيم قواته من جديد، ويوجه ضرباته نحو القرى والأرياف المتاخمة⁽³²⁾.

ويبدو أن هذه الثورة كانت السبب المباشر في القيام بمسح جديد للأراضي لتدعم خطوط الدفاع الروماني أمام ما يمكن أن يحدث من ثورات وانتفاضات مشابهة للثورة تاكفاريناس. وقد أفضت عملية المسح الجديدة إلى ضم الجهات المجاورة للشطوط ومن بينها منطقة نفزاوة بينما لم تشملها عملية المسح التي تمت سنة 10 بـ م⁽³³⁾ أي قبيل اندلاع الثورة بسبعين سنة فقط.

لقد قام الفيلق الثالث أغسطس بهذه العملية الجديدة سنة 19-30 بـ م. ومنذ هذه الفترة بدأت القبيلة تتجمع حول نقطة ارتكاز مافتئت تتمو شيئاً فشيئاً حتى سحب عليها قانون المدينة اللاتينية وأصبحت مونيكبيوم وذلك لدورها المتقدم في الليماس الطرابلسية (Limes tripolitanus)، وقبل ذلك حدثت الأراضي التابعة لها مرة ثانية في عهد ترايانوس (Trajanus) (98-117 بـ م) أي بعد أقل من قرن من عملية المسح الأولى. ويبدو أن العمليتين وخاصة الثانية منها كانتا على حساب أراضي القبيلة التي تركت لها أراضي فقيرة.

كذلك وتدعيمها لموقع نفزاوة في الليماس وقع ربطها بالمراکز الرومانية الأخرى بواسطة شبكة مستحدثة من الطرقات أهمها :

⁽³¹⁾ المرجع نفسه، ص 217.

⁽³²⁾ المرجع نفسه، ص 179.

⁽³³⁾ Carton, "Nyogenii...", op. cit., p. 208.

1. الطريق التي تربطها بمدينة قابس شرقاً (٣٤)، وقد أنشئت هذه الطريق سنة 83 ب م، أي في عهد الإمبراطور دوميسيانوس (Domitianus) (81-96 ب م). ويبدو أن أسبقيّة إقامة هذه الطريق على غيرها، كانت لاستجابة لوجود علاقات سابقة بين نفزاوة وقابس، ثم أنها ذات هدف مزدوج باعتبارها تسهل نقل المنتوجات الفلاحية وخاصة التمور من المنطقة إلى العاصمة الرومانية عبر ميناء قابس من جهة، ومن جهة أخرى تدعم هذه الطريق دور اليماس بتسهيل حركة الجيوش الرومانية عند الحاجة.

2. الطريق الرابطة بين قصبة ومدينة نفزاوة : أنشئت في عهد الإمبراطور ترايانوس وتحديداً سنة 104 ب م (٣٥)، وهي ذات غاية عسكرية أساساً إذ تيسّر على الجيوش الرومانية عبور منطقة الشطوط في اتجاه الجنوب، وتقطع هذه الطريق عند الميل 22 من مدينة نفزاوة طريقاً آخر يربط بين توزر وقابس عبر سهل السقي. وأضيفت إلى ذينك الطريقين فيما بعد طرقات أخرى دعمت اليماس، ومن بينها تلك التي تربط عاصمة نفزاوة بكل من :

- بئر غيزن (Bézéros) والتي تمر جنوب جبل طباقه :

- قصر غيلان Tizavar جنوباً :

- نقطة عبر جنوب شط الجريد.

لقد ساهمت الطرقان الأوليان في ربط مدينة نفزاوة بمدينتي قابس وقصبة اللتين سبقتاها إلى الانضمام للعالم الروماني، وكان ذلك إعداداً لها لأن تتمتع بدورها بقانون المدينة الرومانية (مونيقيوم) وهو ما تم فعلاً في عهد هدريانوس سنة 128 ب م، وأصبحت تحمل اسم ترسيس تماليني (Turris-Tamalleni) أو تملن (Tamallen) (٣٦) وهو ما يدل بدون شك على وجود أرستقراطية مرومنة بالمدينة.

Ibid. p. 39. (٣٤)

Ibid. p. 38. (٣٥)

Trousset, *Recherches sur les limes tripolitanus :du Chott El-Djerid à la frontière tuniso-libyenne*, Paris 1974, p. 44. (٣٦)

ذلك أن نفزاوة الرومانية تأثرت - إلى حد ما - بالتيارات القادمة من عاصمة الإمبراطورية أو تلك التي تشق مقاطعاتها ومن بين تلك التيارات الديانة المسيحية. فقد انتشرت هذه الديانة الجديدة بافريقية منذ نهاية القرن الثاني للميلاد، ولا يُستبعد أن وصل المبشرون بها إلى عاصمة نفزاوة في فترة مبكرة. وربما وجدوا استجابة فيها حتى أنشئت بها أسقفيّة، وكان من أوائل أساقفتها المعروفيّن المسمى سبراتيوس (Sabratius) الذي ورد ذكره سنة 384. وفي سنة 484 كان أسقفها يسمى هابطوس (Habetdeus Tamallumensis) وكان كلامهما على المذهب الكاثوليكي (37).

غير أن ترسيس تماليني تأثرت مبكراً بالحركة الدوناتية (38) التي كانت انشقاقاً دينياً اتخذ صبغة اجتماعية، إذ انضم إليها المستضعفون والذين لم تستوعبهم الحضارة الرومانية، وكانت معارضه اجتماعية وقفت ضد كل أشكال التسلط والقهر (39). وقد وجد لهذه الحركة أتباع بعاصمة نفزاوة حتى سيطروا على أسقفيتها، وكان بتلمين سنة 411 بـ م أسقف دوناتي يسمى يوراتا Jurata (40)، غير أن مجمع قرطاج الملتمٌ خلال هذه السنة وانتصار السلطة المذهب الكاثوليكي دشنا فترة من القمع للدوناتيين (41). وكان من نتائج ذلك بالنسبة لنفزاوة، أن عادت كنيسة ترسيس تماليني من جديد إلى أيدي الكاثوليكين وتداول عليها أساقفة منهم، وبقيت كذلك إلى أن جاءت طلائع الفتح العربي الإسلامي.

لكن إلى أي حد تغلغل الدين المسيحي بالمنطقة؟ وإلى أي حد بلغت الرومنة؟

يبدو أن الدين المسيحي لم يمس بعمق المجتمع النفزاوي، والدليل على ذلك أنه لم توجد إلا كنيسة واحدة أقيمت بعاصمة المنطقة تلمين حيث تستقر أرستقراطية مرومنة. ولعل سبب هذا الانحسار أن المذهب الكاثوليكي كان متحالفاً مع السلطة الرومانية والأرستقراطية، فبقيت اتفاقات المستضعفة بعيدة عن تأثير أسقف تلمين خاصة بعد قمع الحركة الدوناتية التي كان لها أتباع بالمنطقة.

(37) Ibid. p. 44.

(38) نسبة إلى دوناتوس Donatus أسقف قرطاج طيلة أربعين سنة وقد توفي سنة 355 بـ م.

(39) الشريف ، تاريخ تونس، نفس المرجع، ص 32.

(40) Troussel, *Recherches sur les times...op. cit.*, p. 44.

(41) جوليان، تاريخ شمال أفريقيا الشمالية، نفس المرجع، ص 308.

ولم تكن الرومنة أحسن حالا، ففي حين بقيت اللغة البربرية سائدة لم تتجاوز اللغة اللاتينية الأقلية الأرستقراطية التي تتمتع بكل الإمكانيات. ولعل سطحية التأثير الروماني والسيحي تعود إلى الموقع الهامشي لنفزاوة في مقاطعة إفريقيا البروونصلية، إضافة إلى عدم خصوصيتها للسلطة الرومانية إلا لمدة لا تزيد عن قرنين ونصف تقريبا، إذ زحف الوندال على المقاطعات الإفريقية منذ سنة 429 م، وتوصل نفوذهم إلى سنة 533 م. ولم تخضع نفزاوة طوال هذه الفترة لذلك النفوذ، فقد كان الملك الوندالي جنسريك (Genseric) ملتقى إلى البحر وكان يطمح إلى احتلال روما فلم يركز على المناطق الداخلية⁽⁴²⁾. كما لم تخضع نفزاوة للنفوذ البيزنطي الذي لم يمتد بدوره إلا على جزء من المقاطعات الإفريقية⁽⁴³⁾، ويبعد أنها بقيت حتى قيام العرب المسلمين تحت سلطات محلية.

Moreau (P.), *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 72. (⁴²)

(⁴³) الشريف، تاريخ تونس، نفس المرجع، ص 34.

الفصل الرابع

فتح نفزاوة

(ق ١٦/م)

لقد استطاع العرب المسلمين أن يبلغوا دينهم إلى بلاد المغرب منذ النصف الأول من القرن الأول للهجرة، غير أن عناصر المقاومة المحلية كانت شديدة في البداية قبل أن تختار تبني الدين الجديد والتحرك من داخله ضد المذهب الرسمي. وبالموازاة مع ذلك، بدأت عملية تعریب بلاد المغرب منذ ذلك الحين غير أن الزحف الهلاسي هو الذي أوصلها إلى ما هي عليه الآن. ولم تكن نفزاوة في كل ذلك بمعزل عن تلك التأثيرات التي مسّت بلاد المغرب الإسلامي في عمقه، نظراً لقربها من الشرق وتشابه مناخها مع المواطن الأولى للفاتحين المسلمين.

عبرت جيوش الفتح إلى جزيرة المغرب للمرة الأولى سنة 27هـ/648م. غير أن البلاد وقفت تقاوم بصلابة لأكثر من نصف قرن، إذ يؤكد ابن خلدون وبقية المؤرخين أن البربر ارتدوا ثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس^(١)، أي أن العرب لم يستقروا فعلاً بإفريقية إلا في نهاية القرن الأول للهجرة/بداية القرن 8 م. وطوال هذه الفترة توالي العديد من الفاتحين عليها أهمهم عقبة بن نافع مؤسس القيروان وحسان بن النعمان فاتح قرطاج وموسى بن نصير.

وقد عثينا على نصين يشيران إلى فتح نفزاوة في هذه الفترة المبكرة :

النص الأول : لابن عبد الحكم وقد وردت فيه تفاصيل عن الفتوحات التي سبقت تأسيس القيروان، وهو أقدم نص يتحدث عن فتح جنوب إفريقيا من قبل عقبة بن نافع.

^(١) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 110.

يقول ابن عبد الحكم : "فسار (أي عقبة) متوجها إلى المغرب وجانب الطريق العظيم وأخذ إلى أرض مزانة فافتتح كل قصر بها، ثم مضى إلى (نفق) فافتتح قلاعها وقصورها ثم بعث خيلا إلى غدامس، فافتتحت غدامس، فلما انصرف إليه خيله سار إلى قصبة فافتتحها وافتتح قسطنطيلية"⁽²⁾.

يوفر هذا النص المعلومات التالية :

1. أن عقبة اتبع طريقاً داخلياً متجنبًا بذلك الطريق الساحلي المعروض لهجمات البيزنطيين، ونفس هذه الخطة هي التي ستبعها فيما بعد عند تأسيس القิروان إذ اختار موضعها بعيداً عن البحر.

2. يبدو أن المكان الذي بعث منه عقبة خيله إلى غدامس إما أن يكون جبل نفوسه أو بلاد فزان⁽³⁾، وكلاهما منطقة داخلية بعيدة عن أخطار الطريق الساحلي.

3. أن عقبة توجه إلى قصبة من نواحي الصحراء الليبية سالكاً الطريق الداخلي، ومن المؤكد حينئذ أنه مر بنفزاوة ولعله في هذه المرة فتح عاصمتها تراس تماليني (تلمين)، وأسس بها الجامع الذي بقي إلى حد الآن يحمل اسمه (جامع سيدى عقبة)، ويبدو أن هذا الجامع لم يحتل مكان الكنيسة، وإنما جاورها فقط ولعل من الأدلة على ذلك :

أ/ أن هناك مساحة فارغة إلى حد الآن إزاء الجامع من الممكن أنها كانت موضعاً للكنيسة.

ب/ أن بعض المواد التي كانت مستعملة في بنائها لم يقع استغلالها في بناء الجامع مثل تيجان الأعمدة، وهي حالياً موجودة بساحتة.

ج/ أنه كان بنفزاوة ذميين، وقد ورد ذكرهم في المصادر في القرن الموالي كما سنبين ذلك، ومن الأكيد حينئذ أنهم تمنعوا بحرية ممارسة طقوسهم الدينية.

⁽²⁾ ابن عبد الحكم (عبد الرحمن)، فتوح إفريقيا والأدلّس، ط 2، الجزائر 1947، ص 64.

⁽³⁾ عقد ابن شباط (ق 7 هـ / 13 م) مصلاً في (ذكر فتح ودان ثانية وفزان وقصبة وقسطنطيلية)، (صلة السمعط، ج 2، ورقة 194-1) ذكره باجية (صالح)، الإباضية بالجريدة، دار بوسالم - تونس 1976، ص 20.

ويمكن مقارنة هذه الوضعية بوضعية مدن أخرى فتحت في عهد عقبة، فلم يمس كنائسها وأكفي المسلمين ببناء مساجد قربها، ورغم خراب تلك الكنائس فيما بعد وانهيار الدين المسيحي، لم يتصرف المسلمون في موالدها ومن تلك المدن توزر حسب شهادة التجاني الذي زارها في بداية القرن 48هـ^(٤).

وإضافة إلى الجامع يبدو أن عقبة بن نافع ترك بعاصمة نفزاوة من يوم الناس ويدعوهم إلى الدين الجديد ويعلمهم مبادئه. وبعد ذلك واصل طريقه شمالا نحو قصبة. ويبعد أنه اتبع الطريق القديم الذي يربط بين المدينتين لأنه يسمح له بالمرور بقرى نفزاوة الشمالية. ومن قصبة اتجه نحو قسطيلية.

من خلال ما سبق نتبين أن فتح نفزاوة ومنطقة الشطوط تم قبل تأسيس القيروان وبالتالي قبل سنة 15هـ، ثم أن تأسيس جامع عقبة بتلمسن سبق تأسيس جامع القيروان، لكن الأكيد هو أن نفزاوة لم تعتنق الإسلام بمجرد مرور الجيش الفاتح بها، ولعلها شاركت في الثورات اللاحقة التي قام بها البربر، ولذلك وقعت إعادة فتحها في عهد حسان بن النعمان.

النص الثاني : المنسوب لابن الرقيق وهو يتحدث عن الفتح في عهد حسان بن النعمان الذي عين على إفريقية سنة 78هـ/698م. فزحف إليها بأربعين ألف جندي^(٥)، ودخل القيروان ثم فتح قرطاج، ولكنه انهزم فيما بعد أمام الملكة البربرية الكاهنة فتراجع نحو طرابلس وبعد خمس سنوات عاد من جديد لتكلل محاولته هذه بالنجاح. فكيف تم له ذلك؟ لقد رأت الكاهنة التي كانت على رأس المقاومة البربرية أن تسلك سياسة الأرض المحروقة حتى تنفع الفاتحين إلى التخلص من خطتهم. وتبالغ المصادر التاريخية في تصوير الأثر السلبي لما قامت به الكاهنة، إذ يقول ابن عذاري : إن إفريقية كانت ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة ومدايا منتظمة حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات ولا أوصى برثارات ولا أكثر مدايا وحصلوا من إقليم إفريقية والمغرب (...) فخررت الكاهنة ذلك كله^(٦). وإذا يمكن تصور أثر الحرائق

^(٤) التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 162.

^(٥) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الدار العربية للكتاب - تونس 1983، ج 1، ص 34.

^(٦) المصدر نفسه، ص 36.

بصفة عامة، فإنه يصعب تصديق أن تكون بهذا الامتداد من أقصى بلاد المغرب إلى أقصاها. إلا أن الأكيد أن ما قامت به الكاهنة قد انقلب عليها، وربما أشار قرارها معارضة شديدة من قبل السكان الذين شق عليهم أن يفقدوا ثرواتهم، وهو ما دفعهم إلى استقبال حسان هذه المرة. وفي هذا المعنى ورد في النص المنسوب لابن الرقيق : "ورحل حسان إليها فلقيه من النصارى في طريقه ثلاثة رجال يستغيثونه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب، ومضى حتى وصل إلى قابس فخرج إليه أهلها وكأنوا قبل ذلك يتحصنون من كل أمير من بهم فاستأمنوا إليه، وأدخلوا عامله فأمنهم على مال معلوم" (٧). ولم يختلف موقف نفزاوة عن موقف بقية البلاد، إذ بعد فتح قابس لم يتغلى باتجاه الشمال وإنما غرباً، وقد ورد في نفس النص ما يلي: "فاستطاع طريق القيروان فمال إلى طريق قصبة وقسطنطيلية ونفزاوة، وبعثوا إليه أيضاً يستغيثون به من أمر الكاهنة فسره ذلك" (٨). وهو ما يؤكد أن نفزاوة لم تفتح عنوة، وإنما بطلب من أهلها من أضرت بهم سياسة الكاهنة. وفي هذا المجال يذكر الورثيلاني -رغم تأخره عن الفترة- أن حسان بن النعمان لما نزل قصور قصبة ونزلها "أهدى إليه ملوكها وملوك قصبة وقسطنطيلية ونفزاوة وبعثوا إليه يستغيثون من الكاهنة، فسره ذلك" (٩). ومن الواضح أن المقصود بالملوك في هذا النص هم الأعيان أو كبار المالكين بالواحات من خافوا على مصالحهم فحرصوا على تأمينها من خلال القبول بالوضع الجديد.

أما الكاهنة فعندما علمت بقدوم جيش الفتح "خرجت (...)" ناشرة شعرها فقالت :
يا بني، انظروا ماذا ترون في السماء، فقالوا : نرى شيئاً من سحاب أحمر. قالت لهم : لا، وإلهي، إنما هو رهج خيل العرب أقبلت اليكم" (١٠). ويبعدو أن ذلك السحاب الأحمر

(٧) الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم؟)، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق المنجي الكعبي، تونس 1968، ص 61.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) الورثيلاني، الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1974، ص 103.

(١٠) المالكي (أبو بكر عبد الله)، رياض النقوس، القاهرة 1951، ج 1، ص 5.

لم يكن إلا ریحا رمليا صحراءريا كما يذهب إلى ذلك الأستاذ الطالبي⁽¹¹⁾. وعلى أية حال، فقد تطيرت الكاهنة بما رأت، فأرادت التراجع على جناح السرعة من قابس نحو الأوراس، وكان أيسر وأضمن طريق بالنسبة لها تلك التي تمر عبر الشطوط⁽¹²⁾ واتبعها حسان فمر "بقصة قسطنطينية ونفزاوة" لكن ما هو الطريق الذي سلكه تحديدًا؟ نحن إذاء ثلاثة افتراضات :

1. من الممكن أن الترتيب الوارد بالنص لتلك الأماكن لم يكن موافقاً لمرور حسان بها، وحيثئذ من السهل أن نتصور أنه توجه من قابس مباشرةً إلى نفزاوة ومنها إلى قصبة متبعاً الطريق الذي كان سلكه منذ أكثر من ثلاثين سنة عقبة بن نافع، ومن قصبة توجه إلى الجريد ثم عرج نحو جبال الأوراس. أما إذا كان ترتيب النص موافقاً للخط الذي اتبّعه حسان فنحن إذاء افتراضين آخرين :

2. أن الكاتب يقصد بنفزاوة القبيلة وليس المنطقة، فمن الممكن أن تكون إحدى بطنونها مستقرة بين قسطنطينية والأوراس، وهذا ما يمكن أن توحى به نصوص أخرى من بينها نص ابن حوقل (ق. 40-41) في أحد مسالك المغرب الإسلامي، يقول : "ومن سجلماسة إلى القيروان على نفزاوة وتواحي قسطنطينية شهراً"⁽¹³⁾، فلا شك أنه يقصد بنفزاوة هنا إحدى بطنون القبيلة التي كانت مواطنها غربي قسطنطينية. وعندئذ فإن الطريق الذي سلكه حسان في اتجاه الأوراس يكون مستقيماً.

3. أما إذا كان يقصد بنفزاوة اسم المنطقة فإن عودة حسان إليها قادماً من قسطنطينية لا يمكن إلا تفسيرها بأحد أمرين : إما أن تكون هذه المنطقة قد انقضت بما يمكن أن يهدد جيش الفتح من الخلف مما أجبر حسان على التوجه إليها لإخضاعها، أو أن هذه العودة فرضتها مذاورة للكاهنة لمعرفتها بصعوبة قطع السبيحة بين الجريد ونفزاوة (شط الجريد) من قبل الجيش الفاتح الذي لا يعرفها⁽¹⁴⁾. ولعل من بين النصوص التي

Talbi (Mohamed), «Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident musulman⁽¹¹⁾ (62-196 / 682-812), l'épopée d'al-Kahina», in, *Etudes d'histoire Ifriqiennne et de civilisation musulmane médiévale*, Pub. de l'Université de Tunis, 1982, p. 159.

⁽¹²⁾ Ibid, p. 160.

⁽¹³⁾ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، نفس المصدر، ص 91.

Talbi, «Un nouveau fragment...», op. cit. p. 160. ⁽¹⁴⁾

تصور صعوبة تلك السبخة ما كتبه البكري في القرن 5هـ من أنه "قد هلكت فيها العساكر والجماعات ومن دخلها ولم يدر أمرها"⁽¹⁵⁾.

ومهما يكن الإفتراض فإن مرور حسان بنفزاوة يدل على أهميتها، فإذا كانت مناطق أخرى تستمد حصانتها بما فيها من جبال مرتفعة، فإن هذه المنطقة استمدت أهميتها من موقعها المنعزل. وهذا الموقع سيساهم فيما بعد في انحرافها في مقاومة جديدة لنفوذ القิروان، لكن من داخل المنظومة الإسلامية، فانتشرت بها دعوة الخوارج من صفرية وأياضية.

⁽¹⁵⁾ البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 48.

نفزاوة الخارجية وعلاقتها بالقيروان

(ج ٢- ٥٥ - ٨ / ١١م)

متى دخل المذهب الخارجي إلى نفزاوة؟ وما مدى انتشاره بها؟ وما كانت عليه علاقة القيروان بنفزاوة الخارجية؟

يقول ابن خلدون : "استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتلاسووا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة من سمعها بالعراق، وتعدلت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية"^(١)، ولم تخرج نفزاوة عن هذا الإطار، فقد أسلمت وتحملت أعباء الفتوحات حتى أن موسى بن نصير الذي نظم ولاية إفريقية والمغرب عين طارق بن زياد الورفجومي التفزاوي عملا له على طنجة ومعه جيش من العرب والبربر^(٢). ولعل وجود طارق على رأسهم يدل على تقل قبيلته في ذلك الجيش، وقد عبر بهم سنة 92هـ / 711م إلى الأندلس وتمكنوا من فتحها.

لكن يبدو أن غمط دور فاتحي الأندلس من البربر ومن بينهم طارق نفسه من جهة، وتوقف حركة الفتح من جهة أخرى، جعلت البربر ينتقلون إلى مقاومة العرب من المنطلق الإسلامي فكان اعتناقهم للمذهب الخارجي.

وتتفق المصادر الإباضية على أن الدعوة الخارجية انطلقت في البداية من القيروان، وذلك منذ نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني هـ/8م فقد وجد بعاصمة إفريقية داعيَان أحدهما صفري هو عكرمة مولى ابن عباس ويبدو أنه بربري ينتمي

^(١) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 110.

^(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، نفس المصدر، ج 1 ، ص 43.

لفئة الموالي، والآخر إباضي هو سلمة بن سعد. ويبدو أن العلاقة بين الرجلين -رغم اختلاف مذهبيهما- لم تكن مبنية على التنافس آنذاك، والدليل على ذلك كما ورد في المصادر أنها قدموا معاً من البصرة "معتقبين على بعير" ⁽³⁾.

ومن القىروان انتشرت الدعوتان بكل المغارب الإسلامية إلى أن تمكننا فيما بعد من تأسيس دولتين، إدراهما إباضية وقادتها تاهرت، والأخرى صفرية وعاصمتها سجلماسة بجنوب المغرب الأقصى.

ويبدو أن أول انتفاضة خارجية بالقىروان وقعت سنة 102هـ / 721م يقول ابن خلدون : "وفشت هذه البدعة (الدعوة الخارجية) وعقدها رؤوس النفاق من العرب وجرت إليهم الفتنة من البربر (...), ثم تطاول البربر إلى الفتاك بأمر العرب فقتلوا يزيد بن أبي مسلم (الوالى) (...) لما نفروا عليه في بعض الفعلات" ⁽⁴⁾. فكانت هذه الإنفاضة موجة ضد انحراف السلطة عن المثل الإسلامية.

كما وقعت سنة 122هـ / 740م انتفاضة ثانية قادها ميسرة المدغري الزعيم الصفرى وشاركت فيها قبيلة مكناة ⁽⁵⁾، ويبدو أن هذه الثورة دشنت مرحلة جديدة من العمل الخارجي أفضت بعد أقل من عشرين سنة إلى بروز دولتين خارجيتين بالمغاربيين الأوسط والأقصى، امتد نفوذ أو لاهما على المناطق الجنوبية من نفزاوة إلى طرابلس. فكيف تطورت وضعية المذهبين؟ وكيف كان تفاعل نفزاوة معهما؟

1- نفزاوة وبداية الدعوة الإباضية :

يبدو أن زعماء الإباضية اقتطعوا بضروره تركيز مذهبهم على أسس صحيحة، فأرسلوا بعثة إلى المشرق تضم خمسة طلبة عرفوا فيما بعد بحملة العلم الخمسة، توجها إلى البصرة ليتلقو مبادئ المذهب عن زعيمه أبي عبيدة مسلم بن أبي عكرمة التميمي. وأولئك الخمسة هم : أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو العربي الوحيد بينهم، وعبد الرحمن بن رستم وهو فارسي، وثلاثة من البربر هم :

(³) الجناني (الحبيب)، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ/9-10م)، تونس 1978، ص 162.

(⁴) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 110.

(⁵) الجناني، المغرب الإسلامي، نفس المرجع، ص 162.

إسماعيل بن درار الغدامسي وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي التفزاوي⁽⁶⁾، وهو لاءُ الثلاثة ينحدرون من المناطق الدائمة والجنوبية ببلاد المغرب : غدامس وسدراته وتفزاوة.

وبالنسبة لأبي داود التفزاوي، من المرجح أنه اعتنق المذهب الإباضي قبل أن يتوجه مع أصحابه إلى المشرق العربي، وهناك بقي لمدة خمس سنوات (135-140هـ)⁽⁷⁾. لكن يبدو أنه لم يبلغ درجة أصحابه من حيث الستمكن من أصول المذهب، وهذا ما يمكن أن نستشفه من كتاب سير مشائخ نفوسة لمقرئين بن محمد المغطوري إذ ورد فيه أن الشيخ أبي عبيدة قال لأبي داود : لا تُفَكِّر بما سمعت وما لم تسمع، وقال للإمام عبد الرحمن : أفت بما سمعت وما لم تسمع، وقال لأبي الخطاب أفت بما سمعت مني . وهو ما يعطي لأبي داود الدرجة الأخيرة بين أصحابه. غير أن الشماخي يذكر أنه "أخذ عنه" ، وكان الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه، إذا جلس بين يديه كالصبي أمام المعلم⁽⁸⁾. إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أنه كان مرجعاً بالنسبة للمذهب، ثم أن موقف عبد الوهاب بن رستم يدل على احترامه لأحد أصحابه والده وأحد السابقين في المذهب ليس أكثر.

من جهة أخرى برز أصحاب أبي داود في الحياة السياسية بعيد عودتهم إلى إفريقية، إذ عين أبو الخطاب سنة 140هـ إماماً لطرابلس، كما أسند عبد الرحمن الدولة الرستمية، ومات عاصم السدراتي في حصار القبروان سنة 141هـ⁽⁹⁾، بينما لم يبرز الدور السياسي لكل من إسماعيل الغدامسي وأبي داود القبلي، إذ يبدو أنهما انقطعاً للدعوة بنطاقتيهما، ومما يدفعنا إلى هذا الرأي :

⁽⁶⁾ أبو زكرياء (يعيى بن أبي بكر)، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أبوب، تونس 1985، ص 57-58.

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، ص 59.

⁽⁸⁾ الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد)، كتاب السير، الجزء الخاص بترجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس هـ/11م، تحقيق ودراسة د. محمد حسن، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1995، ص 51.

⁽⁹⁾ أبو زكرياء، كتاب السيرة...، نفس المصدر، ص 68.

-أن نفزاوة خضعت منذ العشرينات إلى تأثير صوري كبير، ولكنها تحولت فيما بعد إلى المذهب الإباضي، فلعل هذا النجاح يعزى إلى تفرغ أبي داود لنشره بها.

-أن هناك موقعا جنوبي مقبرة طرة، إحدى قاعدي نفزاوة الإسلامية، يسمى إلى حد الآن بسيدي داود، اتخذ صبغة غير عادية إذ تعود العرسان التبرك به بالانطلاق منه نحو عرائسهم فعل هذا الولي هو نفسه أبو داود.

لقد نجح الإباضية في نشر مذهبهم بنفزاوة نتيجة تركيزهم على العمل الدعوي مما جعل المنطقة تخضع لتأثيرهم في الفرون اللاحقة، بينما اتبع الصفرية طريقا آخر غير الذي سلكه الإباضية.

2- نفزاوة والصفرية :

انتشر هذا المذهب بالمنطقة وخاصة في قبيلة ورجومة التي ينحدر منها طارق بن زياد، ولعل اندثاره منها يدل على أهميتها العددية من جهة وما تميز به من شجاعة وبسالة في الحروب من جهة أخرى. ولعل اعتناقها للمذهب الصوري كان كرد فعل على سياسة القیروان إزاءها إذ غمطت دورها في فتح الأندلس.

وفي العشرينات انتقض الصفرية وكان يقودهم عبد الواحد الهواري وعكاشه الفزاري اللذان هدايا القیروان سنة 125 هـ/743م، في ولاية حنظلة بن صفوان، غير أن هذا الأخير تمكّن من الانتصار على جيشهما بكل من القرن والأصنام. ويبدو أن الخروج الصوري كان شاملا إذ انتقضت نفزاوة بموازاة مع خروج عبد الواحد وعكاشه، وكان حنظلة قبل أن ينتصر عليهما طلب من عامله على طرابلس أن يمدده بتعزيزات "فخرج حتى انتهى إلى قابس فبلغه ما كان من هزيمة عبد الواحد وعكاشه، فكتب إليه حنظلة في بربور خرجوا بنفزاوة وسبوا أهل ذمتها، فامض إليهم، فسار إليهم ومن معه فقاتلهم فقتل معاوية بن صفوان (عامل طرابلس) وقتل الصفرية واستنقذ ما كانوا أصلبوا من أهل الذمة. فبعث حنظلة إلى جيش معاوية ذلك زيد بن عمرو الكلبي فانصرف بهم إلى طرابلس" (١٠).

وما يمكن ملاحظته من خلال هذا النص لابن عبد الحكم :

(١٠) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا، نفس المصدر، ص 132 وما بعدها.

- أن الصفرية تمكنا من نشر دعوتهم بمنطقة إستراتيجية بعيدة نسبياً عن القิروان هي منطقة نفزاوة.

- أن التذرع بالاعتداء على الذميين يدل على حرص القิروان على فرض التسامح إزاء النصارى من جهة، وهو من جهة أخرى شكل من أشكال الدعاية ضد الصفرية الذين لا يمكن تفسير موقفهم -إن وقع فعلاً- إلا بكونه موجهاً ضد القิروان بهدف إبراز عجزها عن حماية أولئك النصارى.

- أن المعركة كانت متوازنة بين الجانبين حتى أن صفرية نفزاوة تمكنا من قتل قائد الجيش الذي بعثته القิروان.

- أن هذه المعركة أدت إلى نقص ديمغرافي في المنطقة ولم يتم تعويضه إلا بعد سنوات.

إن هزيمة الصفرية بنفزاوة سنة 125هـ جعلتهم يعدون أنفسهم ليزحفوا بعد خمس عشرة سنة فقط على القิروان، خاصة بعد أن التحق بهم أتباع عبد الواحد وعكاشة. ففي أي ظروف وقع ذلك الهجوم؟

عرفت القิروان صراعاً على السلطة في الثلاثينات بين أفراد العائلة الفهرية، إذ قُتل الوالي عبد الرحمن بن حبيب سنة 137هـ/755م. بعد رفضه التبعية للدولة العباسية الناشئة، وانقسم أمر إفريقية بين الفهريين إلى أن استحوذ حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على القิروان سنة 138هـ وتتمكن من قتل عميه الياس، بينما آتى عمه الآخر عبد الوارث إلى وريجومة (كذا) (...). وكثيرهم يومئذ عاصم بن جميل (...). فأجار عبد الوارث⁽¹¹⁾. إن هذا النص يدل على أن نفزاوة لعبت دور الملاجأ لحسابتها أو بالأحرى انزعزها ولكن أيضاً لحدة سيف رجالها وبسالتهم. وكل ذلك رشحها لأن تلعب دوراً هاماً في التوازن السياسي بإفريقية. ولا شك أن لجوء عبد الوارث بن حبيب إليها يؤشر على حدة عدائها للقิروان بحكم تمذبها الخارجي الصفري.

(11) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 4، ص 119.

لكن صفرية نفزاوة لم يكتفوا بمنح الأمير الفهري حق اللجوء، بل أعلنا الثورة في وجه الوالي حبيب بن عبد الرحمن الذي توجه بدوره إليهم فالحقوا به الهزيمة فتراجع إلى قابس واستفحلا أمرهم وكتب من كان بالقيروان من العرب إلى عاصم بن جمبل، يدعونه للولاية عليهم، واستخلفوه على الحماية والدعاة للمنصور فلم يجب إلى ذلك وقاتلهم فهزموهم واستباح القيروان⁽¹²⁾. وبقطع النظر عن الداعية التي تضمنها هذا النص ضد المذهب الصفري، فإن الأكيد أن نفزاوة أخضعت عاصمة إفريقيا بقوة السلاح، ولم يكتف عاصم بن جمبل بذلك وإنما سمي عليها لإدارتها عبد الملك بن أبي الجعد، وواصل هو تعقبه للوالي المعزول فتوجه أولاً إلى قابس، وهزمه هناك، ففر حبيب غرباً ليلحق بجبل أوراس فأغاره أهله، وجاء عاصم فقاتلهم، فهزموه وقتل جماعة من أصحابه. غير أن هزيمة نفزاوة في هذه الموقعة، لم تكن نهاية، إذ استطاع عبد الملك بن أبي الجعد إلحاق الهزيمة من جديد بحبيب وحلفائه الأوراسيين، وهو ما مكنته من السيطرة على إفريقيا، وكان ذلك سنة 140هـ/758م.

إن تلك الأحداث تمكنتنا من إبداء الملاحظات التالية :

أن ورجمة استعادت قدرتها القتالية بعد أن كانت فقدتها جزئياً على الأقل سنة 125هـ. وفي الحقيقة فإن هذه القبيلة لم تواجه القيروان بمفرداتها، وإنما تحالفت معها القبائل النفزاوية الأخرى.

أن الموقف السياسي للصفرية انسجم مع موقفهم المذهبى، ولذلك رفض عاصم بن جمبل إعلان ولائه للدولة العباسية، رغم أن ذلك كان سيمكنه من البقاء والثبات على القيروان.

أن أمر الصفرية قد عظم بإفريقيا بفضل مناصرة هذه القبيلة النفزاوية.

لكن ما هي السياسة التي اتبعتها ورجمة بعد سيطرتها على عاصمة إفريقيا؟ تتفق النصوص السننية والإباضية على إبراز سلبية سياستهم، إذ يقول ابن خلدون : "وساروا في أهل القيروان بالعسف والظلم (...)" وافترق أهل القيروان بالتواхи فرارا

⁽¹²⁾ المصدر نفسه.

بأنفسهم وشاع خبرهم في الآفاق" (١٣) كما يقول : "وقتلو من كان بها من قريش وسائر العرب وربطوا دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم" (١٤).

ولعل هذا التحامل على ورجمة، بقدر ما يمكن اعتباره نوعا من الدعاية ضدّها كقبيلة صفرية، فإنه يتضمن قدرًا من الحقيقة، إذ كان من الصعب على زعماء القبيلة أن يروضوا أفرادها ويحبروهم على عدم الأخذ بالثار وهم الذين تعرضوا منذ خمس عشرة سنة فقط إلى قمع الجيش بأمر من أمير القิروان.

لكن ما هو موقف الإباضية إزاء هذا التحول على الساحة السياسية بإفريقيا؟

3-تحول نفوذ الإباضية إلى الإباضية :

تفق المصادر الإباضية مع المصادر السنوية في وصف ما قامت به ورجمة من ظلم بعد دخولها مدينة القิروان، يقول أبو زكرياء: "بلغنا أن امرأة من نساء القิروان كتبت بطاقة إلى الإمام أبي الخطاب -رضي الله عنه- تشكى إليه جور ورجمة، فقالت: 'أما بعد، يا أمير المؤمنين فإن لي بنتا في حفرة حفرتها تحت سريري لا أستطيع أن أخرجها مخافة عليها من الورجمة أن يفسدوها' (...)" وقرأ كتابها وصار يبكي رحمة الله لما نزل بها، فلدى بالصلة جماعة (...) ورغب أصحابه في الجهاد" (١٥). إن هذا النص يقدم السبب المباشر لدخول الإباضية على الخط في الصراع الدائري بين الصفرية وسلطة القิروان، في محاولة لإظهار غيره الإباضية على الدين القويم في مواجهة "زعيم" الصفرية عنه. وبالتالي فهو يتضمن جانبًا دعائياً مباشرًا، إلا أن هناك أسبابًا أعمق لدخول الإباضية في الصراع، لا بد من الإشارة إليها.

في نفس السنة التي سيطر فيها الصفرية على القิروان، سيطر الإباضية على طرابلس وأعلنوا إماماً أبي الخطاب سنة ١٤٠ هـ، وبذا لأول وهلة أن إفريقية قد قسمت بين المذهبين. لكن من الواضح أن السيطرة على القิروان تعتبر إستراتيجياً وسياسيًا أكثر أهمية من السيطرة على طرابلس التي تبقى من جهة أخرى معرضة أكثر من القิروان لأي خطر يأتي من المشرق العربي. ثم أن السيطرة على القิروان

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١١٥.

(١٥) أبو زكرياء، كتاب المسيرة...، نفس المصدر، ص ٦٥-٦٦.

عاصمة إفريقية، ورمز قوة العرب بها، أعطى تفوقاً إستراتيجياً للصفرية. وهو ما دفع الإباضية للتفكير في تعديل الكفة لصالحهم، من خلال التدخل "لإنقاذ" القیروان من ورجمة. وقد استطعوا في هذا الإطار استجاد أهالي القیروان بهم.

كما يجب أن نشير إلى الظروف الاقتصادية الصعبة التي مرت بها طرابلس آنذاك، نتيجة الجفاف وانتشار المجاعة وزحف الجراد. وهذا ما تذكره المصادر الإباضية ذاتها، يقول أبو زكرياء: "فخرجوا (أي الإباضية) في سنة محلة ذات قحط وجوع وجدب فأمدتهم الله بالجراد، فإذا نزلوا نزل عليهم وإذا ارتحلوا ارتحل معهم"⁽¹⁶⁾.

وصل الإباضية إلى القیروان وحاصروها سنة 141هـ، ووَقَعَتْ أول مواجهة دامية بين المذهبين الصفرى والإباضى. غير أن ورجمة استبسلت في دفاعها ولم يتمكن المهاجمون من التغلب عليها إلا بالحيلة والمناورة. فقد أظهروا وكأنهم يتخرون عن حصار المدينة، حتى لما خرج سكانها كروا عليهم ودخلوها، وهكذا انقادت ورجمة على الهزيمة، في حين قام أبو الخطاب بتعيين عبد الرحمن بن رستم على القیروان، وكر راجعاً إلى طرابلس⁽¹⁷⁾.

يبعد أن ورجمة بعد هذه الهزيمة قاموا بانتفاضات أخرى تلقوا على إثرها عدة ضربات مؤلمة، من ذلك أنهم انتفاضوا سنة 157هـ / 774م بقيادة أبي زرجونة ولكتيم انهزموا أمام آل المهلب. كما ثاروا سنة 161هـ / 778م وكان يقودهم صالح بن نصیر (أو نصر) "فسرح إليهم (والي القیروان) (...) عشرة آلاف فهزمهم وقتل البربر أربع قتل (...) وركدت ريح الخوارج من البربر من إفريقية ونداعت بدعهم إلى الإضمحلال"⁽¹⁸⁾، غير أن ذلك لا يصدق إلا على الصفرية إذ أثرت الانتفاضات والضربات فيها، وافتقرت ورجمة ببلاد المغرب مما جعل نفوذها تصبح مجالاً للدعوة الإباضية خاصة وقد استقر بها أبو داود القبلي.

ومع تنامي الإنخراط في المذهب الإباضي، أصبحت نفوذها تلتقي إلى طرابلس حيث قامت إمامه أبي الخطاب المعافري وخاصة بعد سيطرته على القیروان وتنظيمها

⁽¹⁶⁾ المصدر نفسه، ص 66.

⁽¹⁷⁾ المصدر نفسه، ص 68-69.

⁽¹⁸⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 113.

من قبل عبد الرحمن بن رستم الذي عين عمالة بالمدن والنواحي⁽¹⁹⁾ ومن بينها نفزاوة.

إلا أن النفوذ الإباضي لم يدم طويلاً بـأفريقية إذ جاء محمد بن الأشعث سنة 146هـ / 764 م بعد أن سمي والياً عليها من قبل أبي جعفر المنصور، وتمكن من أن يهزم الإباضية بسرت مما أجبرهم على تغيير استراتيجيتهم وتحويل مركز قلتهم من الشرق إلى الغرب، فتوّجه عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط⁽²⁰⁾ واجتمعت إليه طوائف البربر الإباضية من لمایة ولواتة ورجاللة ونفزاوة، فنزل بهم، وأختلط مدينتها سنة أربعة وأربعين (ومائة)⁽²¹⁾. فقد خيرت بعض قبائل نفزاوة الالتزام الإيديلوجي بهجرتها مع ابن رستم ومشاركتها في تأسيس مدينة تاهرت، مما أفقد المنطقة أعداداً أخرى من أبنائها، ولكنها كمنطقة خضعت إدارياً وإيديولوجياً للدولة الإباضية بالمغرب الأوسط، فكان من الولاة الذين انتصروا بقلعة درجين في عهد عبد الوهاب بن رستم : ميال بن يوسف الذي كان والده وزيراً لعبد الوهاب، ومحمد بن إسحاق الخزري⁽²²⁾.

وتواصل وجود الإباضية بنفزاوة على الأقل إلى القرن 7هـ / 13م. ولعل أهم تجمع لهم كان بقلعة درجين التي بلغت حداً كبيراً من الإزدهار، ومما يؤشر على ذلك أنها كانت تعداد حوالي سنة 325هـ / 950 م ثمانية عشر ألف فارس⁽²³⁾.

وتتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المدينة لم تكن تابعة لنفزاوة الفيلة بل لنفزاوة المنطقة، إذ أنها تقع جنوب شط الجريد وعلى بعد حوالي أربعين كيلومتراً غربي طرة. أما سكانها فكان أهلها خاصة من قبيلة مراتنة التي تحدُّر من لواثة وهم وبالتالي إخوة نفزاوة.

لكن بعد أكثر من قرن من التسامح إزاء الوجود الإباضي بنفزاوة، هدمت قلعة درجين في عهد المعز بن باديس (406-454هـ / 1016-1062م)⁽²⁴⁾، وفر من بقي من سكانها إلى ورجلان (ورقلة)، ولكن قسماً منهم عاد فيما بعد ليؤسس على

⁽¹⁹⁾ الشماعي، كتاب المسير، نفس المصدر، ص 11.

⁽²⁰⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 112.

⁽²¹⁾ باجية، الإباضية...، نفس المصدر، ص 81.

⁽²²⁾ أبو زكرياء، كتاب المسيرة...، نفس المصدر، ص 170.

⁽²³⁾ باجية، الإباضية...، نفس المرجع، ص 147.

مقربة من الموضع الأول لدرجين مدينة أخرى سموها درجين السفلى، غير أنها لم تبلغ ما كانت عليه المدينة القديمة، وإن تواصل بها الوجود الإباضي لقرنين آخرين على الأقل.

وخلال ذلك، ساهمت نفزاوة منذ سقوط الدولة الرستمية فيما يمكن تسميته بالتضامن المذهبي، إذ كانت تستقبل النازحين من المناطق الإباضية الأخرى، من ذلك ما وقع سنة 1039هـ/430م التي كانت سنة جدب بمناطق طرابلس مما دفع أعدادا كبيرة من سكانها للنزوح نحو مناطق أخرى، وقد استقبلت درجين عدداً منهم يمكن أن نذكر من بينهم الشيخ أبي الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي ورجون التفوسى وغيره من ورثمة ونفوسه⁽²⁴⁾. وهاجر إليها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م الشيخ سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف التفوسى قادماً من نفطة⁽²⁵⁾. كما كانت نفزاوة تساهم في سنوات الجدب في مد إباضية المناطق الأخرى بالتمور وتساهم بالتالي في تحجيم المجامعات، من ذلك أنه قدم إليها في النصف الأول من القرن 5هـ/11م من جربة الشيخ أبو زكرياء فضيل بن أبي مسور يشجا بن يوجين البهراسى ليختار تمراً من بنى يزمرتين في سنة محلة ذات جدب وقط^(...) فلما وصلها اجتمع بأهلها من بنى يزمرتين ومن بها من أهل الدعوة فعبوا للشيخ جمالا وأوفروها تمراً⁽²⁶⁾.

ولعل المثالين السابقين يدلان على الانفتاح الاجتماعي والاقتصادي لنفزاوة على بقية المناطق الإباضية بجنوب إفريقيا، لكن متى بدأ تراجع الإباضية بالمنطقة؟

يبدو أن ذلك بدأ منذ القرن 5هـ/11م، وهذا ما يمكن أن تستشفه من النص التالي لأبي العباس الدرجي، إذ نقل عن أبي عمار "أن جماعة عزابة اجتازوا على قرية من قرى نفزاوة، فإذا هم بمقدمها رجل يسمى أبي علي، فقالوا له : احذر حقوق الوهبية، فقال لهم: ارغبوا إليهم وقولوا لهم يدعوا علي؛ فوصلوا جربة يوم الجمعة، فوجدوا الشيخ قد أقبلوا إليها بجماعة التلامذة (...)" وأخبروه بما بلغ أهل الدعوة من ضرر

⁽²⁴⁾ أبو زكرياء، كتاب السيرة...، نفس المصدر، ص 305.

⁽²⁵⁾ Lewicki (T.), "Al-Dardjini", in, E.I., T II, Leyden 1965, pp. 144-145.

⁽²⁶⁾ أبو زكرياء، كتاب السيرة...، نفس المصدر، ص 242.

المذكور، وقوله لهم (...)"²⁷). ولعل ما جعل المقدم أبا علي يستهين بالإباضية هو تراجع مذهبهم بالمنطقة ومناؤة السلطة الصنهاجية لهم، خاصة وأن أحداث ذلك النص تعود إلى ما بعد تدمير قلعة درجين.

ويبدو أن القتل الإباضي بدأ يتوجه شرقا نحو جزيرة جربة وغربا نحو صحراء المغرب الأوسط، وبرز ذلك خاصة في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م. إذ زهد الناس في معرفة المذهب، وهذا ما يمكن أن نستشفه من شهادة سعيد بن سليمان والسد أبي العباس أحمد الدرجي، عندما يقول : "دخلت حلقة درجين قبل أن أكمل القرآن، فكان الشيخ يمرنني على قراءة الكتب وكان يكبرني إجلالاً لوالدي وبخصني بالفوائد، فإذا جاء إلى المسجد دعاني وأعطاني كتاباً وأمرني أن أقرأ" ⁽²⁸⁾ ولم يتحدث عن زملاء له في الدراسة. وينقل عن جده يخلف التفوسى أنه كان يحضر على إكرام ذلك الشيخ ويقول : "أكرمه فإنه اجتمع فيه عزيز ذل، وغنى افتقر، وعالم بسيئ قوم جهال" ⁽²⁹⁾. وفعلاً يبدو أن درجين التي كانت عاصمة الإباضية بنفزاوة تراجعت في أواخر القرن 6هـ وبداية القرن الموالي حتى لم يعد بها طلبة لدراسة المذهب الإباضي، وهو ما جعل أبو العباس أحمد الدرجي يتوجه سنة 616هـ/1214م إلى ورجلان للدراسة، وهناك وجد بها طلبة آخرين من نفزاوة كانوا قد سبقوه إليها ⁽³⁰⁾. وبالتالي كانت صحراء المغرب الأوسط تساهم في تعليم مبادئ المذهب الإباضي لمن يقصدها من أبناء نفزاوة، غير أنهم لا يعودون إليها، بعد إنهاء دراستهم، ومثال ذلك أبو العباس الدرجيني الذي لم يعد بعد استكمال تكوينه إلى مسقط رأسه درجين وإنما توجه إلى توزر ثم إلى جزيرة جربة. ولعل فقدان المنطقة لطاقاتها المؤثرة قضى بتراجع المذهب الإباضي بها.

⁽²⁷⁾ الدرجي، (أبو العباس أحمد بن سعيد)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلابي وتقديم عبد الرحمن بلكي، الجزائر 1974، ج 1، ص 425-426.

⁽²⁸⁾ الشماخي، كتاب السير، تحقيق ودراسة محمد حسن، شهادة التعمق في البحث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1979، ج 2، ص 347.

⁽²⁹⁾ المصدر نفسه.

⁽³⁰⁾ البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم)، كتاب الجوادر المتنقاة في إ تمام ما أخل به كتاب الطبقات، طبعة حجرية، القاهرة 1302هـ، ص 215-216.

لكن ما هي علاقة نفزاوة بالدول القائمة بإفريقية في عهد الخوارج؟

4- علاقة نفزاوة بالقيروان :

كانت نفزاوة في عهد الولاية من منطقة هامة، ويبعد أنها كانت تشكل مع قصبة وقسطنطينية عمالة واحدة، إذ في سنة 138هـ / 756م وقع اتفاق بين الأمراء الفهربيين المتصارعين على السلطة بالقيروان على أن يكون لحبيب بن عبد الرحمن بن حبيب قصبة وقسطنطينية ونفزاوة، ولعمران بن حبيب المناطق الشمالية ولإلياس بن حبيب بقية إفريقية.

وبعد تأسيس الدولة الإباضية بناهيرت أصبحت نفزاوة تابعة لها وتوصلت تلك التبعية إلى عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (208هـ/788م-171هـ/801م)، غير أنه في سنة 185هـ حاول إبراهيم بن الأغلب أن يضم المنطقة إلى نفوذه ويحد من التأثير الإباضي بها في إطار خطة لاستئصال الدعوة بجنوب إفريقية، فتوجه إلى جبل نفوسه ثم إلى قنطرارة عاصمة الإباضية بقسطنطينية، "فنزل عليهم بعد طلوع الفجر فقتلهم، فاختار من فقهائهم وعلمائهم ثمانين عالماً وفقها وشدهم وثاقاً (...) فقيل له إن بنفزاوة رجالاً عالماً فقيها من علمائهم يقال له أبو بكر يوسف النفوسى، فتوجه إليه فأخذته رسلاً (...) (ف) طلبهم الشيخ أبو بكر أن يدعوه حتى يصل إلى ركتين، فلما صلاهما، أخذ في الدعاء إلى الله تعالى، فبعث الله إليهم ريحًا عاصفاً مظلماً فحال بينهم وبين الشيخ، فأخذ ابنه يوسف بيده وكان الشيخ إذ ذاك قد كف بصره ومضى إلى مأواه"⁽³²⁾، وانطلاقاً من هذا النص نلاحظ :

أن العوامل الطبيعية ممثلة في الرياح الرملية حالت دون أخذ الشيخ أبي بكر، وهذا ليس غريباً بمنطقة معروفة بكثرة رياحها، غير أن المصادر الإباضية اعتبرت ذلك استجابةً لدعاء الشيخ واهتمت بإنجاته، في حين تعافت عن أصحابه الثمانين الذين حملوا إلى القيروان وقتلوا عن آخرهم.

⁽³¹⁾ باحية، الإباضية...، نفس المصدر، ص 81.

⁽³²⁾ أبو زكرياء، كتاب السيرة...، نفس المصدر، ص 155-156؛ وكذلك : الدرجيني، كتاب طبقات، نفس المصدر، ص 87 وما بعدها.

-أن الدعوة الإباضية تضررت كثيرا في نهاية القرن 2 هـ/بداية القرن 9 م
بإفريقية، ومن بين المناطق التي لحقها الضرر نفزاوة، غير أن الخطر الأغلبي لم يهدد
قلعة درجين فبقيت وبالتالي تابعة للرسطميين، في حين أصبحت شبه جزيرة نفزاوة تابعة
للهلة الأغلبية.

وعندما كثرت الانفاضات في عهد زيادة الله بن الأغلب وخاصة سنة
207هـ/823م، لم تبق إلا أربعة مناطق تابعة له وهي نفزاوة وتونس والساحل
وطرابلس، وخرجت عليه إفريقية كلها -كما يقول الصفدي- حتى القيروان⁽³³⁾.
وكانت نفزاوة حينئذ المنطقة الداخلية الوحيدة التي بقيت وفيها له.

لكن يبدو أن استمرار الفوضى والاضطرابات أمام عدم قدرة زيادة الله على حسم
الأمر لصالحه، هدد بتوسيع رقعة الثورة، وهو ما شجع بعض نفزاوة على الانتقال إلى
المعسكر المقابل والانضمام إلى الثائرين، وبالفعل دعوا إليهم عامر بن نافع الأزرق
وهو أحد متزعمي الثورة، فتوجه إليهم. بل أن الجندي أنفسهم تأثروا -والعبارة للصفدي-
على زيادة الله بن الأغلب، وأرسلوا إليه كما يقول ابن الأثير : "أن ارحل عننا، وخل
إفريقية، ولك الأمان على نفسك، ومالك، ومن ضمه قصرك"⁽³⁴⁾; ويضيف ابن الأثير
مصوراً الحالة النفسية لابن الأغلب "فصدق به وغمه الأمر" ، إذ وصلت وضعيته إلى
أحرج مراحلها مع ميل كفة نفزاوة الموالية له للانقلاب عليه. وكان عليه أن يتحرك
بسرعة قبل أن يسبقه عامر بن نافع إلى نفزاوة، وبذلك من بين يديه زمام الأمور . ولم
يكن أمامه حينئذ إلا قبول المبادرة التي تقدم لها سفيان بن سوادة، وهو أحد المقربين
إليه، لأن يمكنه من انتخاب مائتي مقاتل من بين الجنود ليتصدى بهم إلى عامر
المتوجه إلى نفزاوة.

⁽³³⁾ الصفدي، الوفي بالوفيات، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي :
<http://www.alwaraq.com/>

⁽³⁴⁾ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 1153، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي :
اما النسخة الورقية فقد صدرت في بيروت في 12 جزءاً سنتي 1965-1966

ولما وصلوا إليها دعا (ابن سودة) برأبها إلى نصرته، فأجابوه، وسارعوا إليه⁽³⁵⁾. وفي نفس المعنى يقول التويري : "فاجتمع إليه خلق كثير من زناة وغيرهم وسلتر القبائل"⁽³⁶⁾. والتقي الجماع : جنود ابن الأغلب ومن معه من جهة، وعامر بن نافع ومن معه من جهة أخرى، "واقتلوه، فانهزم عامر ومن معه، وكثير القتل فيهم"⁽³⁷⁾، وكان ذلك سنة 209هـ/824م. فما هي انعكاسات هذه المعركة على نفرزاوة وعلى حكم ابن الأغلب؟

بالنسبة لنفرزاوة، لا شك لدينا أن هذه المعركة قد شهدت مقتل الكثير من أبنائها الذين وجدوا على جبهتي القتال لانقسامهم بين الطرفين المتناحرين، ثم أن ابن سودة دخل قرى نفرزاوة الواحدة تلو الأخرى - أو كما يقول التويري - "فتح البلاد بلداً بلداً" ، مع ما كان يصاحب حركة الجند من رعب وخوف ودمار أو حتى انتقام. وربما لسم يقتصر الأمر على هذه النتيجة المباشرة إذ يمكن أن نعتبر هذه المعركة من الأحداث المؤسسة لما سمعناه من منطقة في عهود متأخرة من انقسام صفي كما سنفصل ذلك لاحقا.

أما بالنسبة لزيادة الله بن الأغلب، فقد أدت الهزيمة التي مني بها نافع بأرض نفرزاوة إلى انقلاب الوضع لفائدة، مقابل تداعي جبهة الثائرين داخل البلاد، حتى أن أهل قسطنطيلية أرسلوا إلى ابن سودة، وهو مازال بنفرزاوة "سألوه أن يجيء إليهم، فسار إليهم، وملك قسطنطيلية وضبطها"⁽³⁸⁾. وما فتئت بقية المناطق الإفريقية أن عرفت نفس المصير وهكذا دانت ضمها لزيادة الله بن الأغلب وضمها إلى نفرزاوة ؛ وفي هذا المعنى يقول الصفدي : "وما زالت الفتوحات تتواتي حتى استقامت له إفريقية وانقطعت الفتنة"⁽³⁹⁾.

⁽³⁵⁾ المصدر نفسه.

⁽³⁶⁾ التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : <http://www.alwaraq.com/>

⁽³⁷⁾ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نفس المصدر.

⁽³⁸⁾ المصدر نفسه.

⁽³⁹⁾ الصفدي، الواقي بالوفيات، نفس المصدر.

وفي سنة 212هـ / 827م رغب زيادة الله بن الأغلب في أن يجند نفزاً وله لفائدة مشاريعه التوسعية الخارجية، وقد استجابت لطلبه، "فجهز أسطولاً عظيماً وسيره إلى جزيرة صقلية، فاستولى على معظم حصونها"⁽⁴⁰⁾. وهو ما يدل على العلاقة المتميزة التي ربطت نفزاً والأغالبة الذين تواصل نفوذهم بها حتى بعد سقوط دولتهم سنة 296هـ / 909م. إذ لجأ إليها فيما يلي عدد من أمراء بني الأغلب، وقد برع من بينهم فيما بعد عبد الله بن محمد الكاتب الذي ولد وتربى بها وتعلم الخط وإنشاء الرسائل وكان عالماً بالعربية والبربرية معاً، حتى أن بلوكتين بن زيري انتدب ليعمل معه⁽⁴¹⁾، وعيشه كاتباً ثم عاملًا له على القيروان، وبقي في هذا المنصب من سنة 364هـ / 974م إلى سنة 379هـ / 989م.

أما في العهد الفاطمي، فيبيو أن جميع نفزاً خضعت لنفوذ القيروان، ومما يدل على ذلك أنه لما فرَّ حُبَّاسة بن يوسف سنة 302هـ / 914م من قيادة الجيش الشيعي الذي كان بعثه عبيد الله المهدي إلى المشرق، كتب ولی العهد أبو القاسم إلى العمال بأمرهم بإلقاء القبض عليه وهو ما تم فعلاً بنفزاً، ونقل حُبَّاسة إلى القيروان حيث قتل وأفراد عائلته⁽⁴²⁾.

أما في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار (332هـ / 943-945م)، فقد شاركت نفزاً في معارضته إذ ناصرته ورفجومه التي تمكنت بمفردها سنة 333هـ / 944م من إخضاع كثامة بقسطنطينة، وكان من نتائج انتصارها ذلك أن "وافت أبي يزيد حشود البربر من كل ناحية"⁽⁴³⁾. لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن ورجومه كانت قد تركت منطقة نفزاً منذ عدة عقود، وبالتالي فإن عمليات الانتقام التي عقبت فشل ثورة أبي يزيد لم تمس المنطقة، كما أن الإباضية الوهبية لم يتعرضوا للانتقام لأنهم رفضوا استجارة أبي يزيد بهم وذلك بعد هروبه من سجن توزر سنة 325هـ / 937م. يقول أبو زكرياء في ذلك: "فمضى (أبو يزيد) نحو

⁽⁴⁰⁾ الزركلي، الأعلام، "زيادة الله بن الأغلب"، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي:
<http://www.alwaraq.com/>

⁽⁴¹⁾ Idriss (H. R.), *La Berbérie orientale sous les Zirides*, X-XIIe s., Alger 1962, T1, pp. 48-49.

⁽⁴²⁾ ابن عذاري، البيان المغرب، نفس المصدر، ج 1، ص 172.

⁽⁴³⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 4، ص 42.

بني درجين برمي اسماطة، رجا منهم أن يمنعوه، وقد كانوا في قوة عظيمة ينتهون إلى ثمانية عشر ألف فارس فيما بلغنا، واتتحى إليهم، فطلبوا أن يمنعوه ولم يجد عندهم ما يريد، ومضى من عندهم مستخفيا إلى جبل أوراس⁽⁴⁴⁾.

ولعل هذا الموقف الذي اتخذه إياضية درجين أملأته معارضتهم لفرقة النكارية التي ينتمي إليها أبو يزيد. ومع ذلك فإن موقفهم قد سمح لهم بمواصلة حياتهم بأمان لمدة قرن آخر على الأقل. وفي هذه الأثناء كانت مدinetهم خاضعة إدارياً لسلطة القبروان، إذ عين بها المنصور بن بلقيس بن زيري مقدماً إياضياً هو ويختين أو وحنين بن وريغول، وكان الأمير الصنهاجي يكرم إياضيتها ويقربهم إليه؛ من ذلك أنه استقدم أحد شيوخهم وهو المسماوي أبو نوح سعيد بن زنخيل "فلا موصلت رسول المنصور إلى الشيخ توجه نحو دار ويختين (...)" يستشيره في المسير إليه. أياخاف منه أم لا؟ فقال ويختين: "إن أردت أن تمضي (...) فإنني لا أخلف عليك، وإن أردت أن تبعد فإننا نمنعك ونخاف عليك"، فدعاه له ومضى (...)" متوجهاً إلى القبروان فلما وصلها استأند على السلطان فأذن له، فدخل وسلم عليه وأكرمه المنصور ولاطفه وفضلة على كثير من أصحابه، وذهب إلى حد القول له : سيفي للوهبية⁽⁴⁵⁾.

وفي سنة 400هـ/1010م عين باديس بن المنصور (385-406هـ) 995هـ/1016م على نفراوة ورو بن سعيد وهو من بني خزرون الزناتيين، ويبدو أن هذه التولية لم ترض ورو الذي كان قبل ذلك والياً على طرابلس فانتقض سنة 410هـ، فضلت ولاليته إلى مقاطعة قسنطينة التي كان يتولاها النعيم بن كنون، غير أن تلك التبعية لم تدم إلا سنة واحدة إذ عين على نفراوة في السنة الموالية خزرون بن سعيد أخو ورو والذي بقي بها إلى سنة 404هـ/1014م⁽⁴⁶⁾.

وفي سنة 406هـ/1016م تولى أمر الدولة الصنهاجية المعز بن باديس (406هـ-454هـ/1062-1016م) الذي كان لا يتردد في اللجوء إلى القمع، وخاصة إزاء الأقليات المذهبية؛ من ذلك أنه وجه عسكره إلى قلعة درجين "حاصرها حصاراً شديداً، فلما اشتد عليهم الحصار خرجوا عليه خروج رجل واحد يقاتلون،

⁽⁴⁴⁾ أبو زكرياء، كتاب السيرة...، نفس المصدر، ص 170.

⁽⁴⁵⁾ المصدر نفسه، ص 225.

⁽⁴⁶⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 7، ص 42.

فقتلوا عن آخرهم واستبيح ما في القلعة⁽⁴⁷⁾ (وبلغ عدد أولئك القتلى 1500⁽⁴⁸⁾) بمعنى أنها كانت تعداداً آلاف السكان. أما عن تاريخ هذه الواقعة، فيذكر أبو زكرياء أنها تمت سنة 430هـ⁽⁴⁹⁾. أما ابن عذاري فيذكر من بين أحداث سنة 437هـ/1046م ما يلي: "وردت رسل المعز إلى القิروان تخبر أنه أوقع بلواثة وقتل منهم عدداً، وغنم منهم أموالاً، فضررت الطبول على ذلك"⁽⁵⁰⁾. وبما أن سكان درجين من لواثة، فمن المرجح أن هذه الحادثة تهم حصار درجين ودميرها، وتم ذلك حسب ابن عذاري بعد سبع سنوات من التاريخ الذي أوردته أبو زكرياء.

تجدر الإشارة من جهة أخرى إلى أن من بين من سقط في تلك الواقعة عدداً من أبرز وجوه درجين ومن بينهم الشيخ أبو يعقوب يوسف ابن نفاث القطراري، ومحمد بن سدررين، وعبد الله بن أم ابن⁽⁵¹⁾. أما من بقي من سكانها فقد فروا باتجاه الغرب ليأتُجاؤ لدى أبناء مذهبهم في ورجلان وسوف.

لكن ما لبث الحنين أن هزّهم إلى موطنهم الأصلي، فعاد بعضهم بعد مدة ليوسمس مدينة جديدة لا تبعد عن الأولى إلا بضعة كيلومترات وأطلقوا عليها اسم درجين السفلى أو الجديدة⁽⁵²⁾، وهي التي ولد فيها فيما بعد أبو العباس أحمد الدرجي، وكان بها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م الشيخ ميمون بن أحمد المزاتي الذي يتحدث عنه الدرجي فيقول: "كان ذا فطنة وذكاء، وعقل ودهاء، وكان مصدراً بدرجين من قبل مقدمها مولاهم بن علي والجماعة، فكان حكمه عدلاً و قوله فصلاً" أي أنه مفتى المدينة وقاضيها، ويبدو أن الذي عينه في ذلك المنصب مجلس شوريٍ وتم ذلك باتفاق مع المقدم ابن علي.

⁽⁴⁷⁾ معمر (عليه السلام)، الإباضية في موكب التاريخ، نفس المرجع، ص 116.

⁽⁴⁸⁾ Lewicki (T.), "Notice sur la chronique ibadite d'Ad-Dargini", in, Rocznik Orjentalistyczny, T. XI, 1935, p.150.

⁽⁴⁹⁾ أبو زكرياء، كتاب المسيرة...، نفس المصدر، ص 305؛ ويدرك الدرجي أن تخريب درجين كان سنة 430هـ. انظر : باجية، الإباضية...، نفس المرجع، ص 147.

⁽⁵⁰⁾ ابن عذاري، البيان المغرب، نفس المصدر، ج 1، ص 276.

⁽⁵¹⁾ باجية، الإباضية...، نفس المرجع، ص 147.

⁽⁵²⁾ Lewicki, "Notice...", op. cit., p. 150.

⁽⁵³⁾ يذكر ذلك : معمر، الإباضية في موكب التاريخ، نفس المرجع، ص 143-144.

غير أن أمر درجين آل إلى التراجع منذ ذلك العهد. وفي الحقيقة فإن ذلك يرتبط بالتحولات الكبرى التي عرفتها إفريقياً منذ أواسط القرن 5 هـ/11 م والمتعلقة بزحف بنى هلال.

نفزاوة من الزحف الهمالي

إلى سقوط الدولة الحفصية

١- الزحف الهمالي وتعريب نفزاوة :

شهدت إفريقية منذ منتصف القرن 5هـ تحولات عميقة طبعتها إلى حد الآن، وترتبط تلك التحولات بزحف بني هلال. ولم تكن منطقة نفزاوة بمعزل عما شهدته إفريقية نظراً لقربها من الطريق الشرقي الذي سلكه القادمون الجدد، فكيف استقبلتهم؟ وما هو تأثيرهم عليها؟

لقد استجاب المعز بن باديس لتأثير الرأي العام السنوي المذاري للشيعة، فدشن عهده بصدام مع الفاطميين، وتطور ذلك فيما بعد إلى قطيعة سياسية بين القيروان والقاهرة، مما جعل الخليفة الفاطمي يائِن بزحف قبائل بني هلال وسلّيم على إفريقية عقباً لواليها "العبد الأبق" فساروا إليها "كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه"، كما يقول ابن خلدون^(١). وفي الحقيقة فإن الأزمة المتعددة الأبعاد بإفريقية كانت عاملاً حاسماً في نجاح ذلك الزحف، إذ تمكن الهماليون من الانتصار على سلطة القيروان في موقعة حيدران سنة 444هـ/1052م، "واضطرب أمر إفريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها"^(٢). وإذ تبالغ المصادر المكتوبة في تصوير التأثير السلبي لذلك الزحف وما سببه من خراب ودمار، فإنها لا تشير إلى أنه ساهم في تعريب البلاد وأدخل تغييرات جوهريّة على تركيبتها البشريّة والمذهبية في اتجاه الانسجام والوحدة.

(١) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 14.

(٢) المصدر نفسه، ص 16.

غير أن ما نذهب إليه المصادر المكتوبة قد يعدله أو يدعمه التراث الشفوي الذي يصور عمليات الالقاء الأولى بين قبائلبني هلال وسليم والسكان القديم للبلاد، ولكن دراسة ذلك تتجاوز إطار بحثنا ولذا سنكتفي بإيراد بعض الأمثلة من التراث اللامادي الذي ما يزال شائعا في منطقة نفزاوة :

المثال الأول : وهو عبارة عن مثل شعبي نصه : "التي وراه رياح عمره ما يرتاح"، ورياح هي إحدى أهم القبائل الهمالية وكانت عند دخولها إفريقية "من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا" حسب تعبير صاحب العبر⁽³⁾. ولذلك فقد سبقت غيرها إلى إفريقية وكانت تحت قيادة أميرها موسى بن يحيى الضئيري⁽⁴⁾، ويشير المثل إلى ما نشرته رياح من رعب وخوف.

المثال الثاني : وهي مجموعة من المقولات تنسب إلى زياد بن عامر الذي يعرف في المنطقة باسم "بومخير" وقد ذكر ابن خلدون أنه كان رائد الهماليين وخبرهم في دخول إفريقية⁽⁵⁾. وتعرض مقولاته إلى قرى نفزاوة واحدة واحدة، وتحاول أن تصور حالتها العامة في بيدين من الشعر. غير أننا لن ننتمق في دراسة تلك المقولات، وإنما نكتفي بواحدة منها، اشتهرت أكثر من غيرها، يقول فيها بومخير :

نفزاوة النكدين شر البلى سكانها

تم يحرروا على بعضهم بعض لن تغنى سيسانها⁽⁶⁾

ومن المرجح أن بومخير يقصد بنفزاوة مدينة معينة، ومما يدعم ما نذهب إليه نص البكري الذي يتحدث عن هذه المدينة، وهي فيما يبدو من وصفه بشري الحالية كما ستبين ذلك⁽⁷⁾.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 31.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص 32.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص 16.

⁽⁶⁾ أي أن نفزاوة شديدة النكد بسبب ما يتصرف به أهلها من شر وحسد، إذ أنهم يحررون حفر السوء لبعضهم البعض وهو ما سيؤدي حتما إلى زوال أنسها وقراعدها.

⁽⁷⁾ البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 47.

وسواء كانت هذه المقولات معاصرة للزحف الهمجي أو لاحقة له فهي تعكس نظرة سلبية ومعادية للمنطقة إذ تصورها على أنها عنوان الشر والبلاء والدسائس والخوف والتباغض والحسد... بما يعكس جانبًا من الدعاية التي كان يبثها الغزاة من بني هلال وسليم ضد المنطقة، لإيهان عزائم سكانها ودفعهم إلى اليأس من المستقبل، وهو ما من شأنه أن يفتح بآدتهم على مصراعيها أمام جحافل أولئك الغزاة.

وإذا كان من نتائج الزحف الهمجي أن انقسمت البلاد إلى إمارات عديدة مستقلة، فإن نفزاوة أصبحت تابعة لإماراة بني الرند بقصبة. فكيف قامت هذه الإمارة؟ وكيف كانت حالة نفزاوة فيما بين منتصف القرن 5هـ/11م، تاريخ الزحف الهمجي، ومنتصف القرن 6هـ/12م، تاريخ ضم إفريقية إلى الدولة الموحدية؟

كان الصنهاجيون قد عينوا على قصبة عبد الله بن محمد بن الرند وأصله من بني صدغيان من جربة، أما ابن تخيل مؤرخ الدولة الحفصية فيقول إنه من بني مرین من مغراوة الذين كانوا مستقرين بالجرسين بنفزاوة⁽⁸⁾، ولكن لا تدری هل أن هذه العائلة البربرية توجهت إلى قصبة بعد تعيين عبد الله بن الرند واليا عليها أم قبل ذلك؟ على أنه من المؤكد أن انحدار بني الرند من المنطقة يسر عليهم بسط نفوذهم عليها بعد الزحف الهمجي وإعلانهم الاستقلال سنة 445هـ/1053م. وبقيت عائلة بني الرند تتحكم في مدينة قصبة وتتوابعها لمدة تفوق القرن، ويعود ذلك إلى خضوعهم للهمجيين، إذ كانوا يدفعون لهم الإتاوة مقابل عدم المساس بأمن الإمارة وقطع طرقانها. ويبدو أن ذلك سمح بتحقيق ازدهار شامل للإماراة لعل من مؤشراته :

- اهتمام الأمير عبد الله بن محمد بن الرند بالشعراء ورجال الأدب والدين.

- امتداد نفوذ الدولة الرنديّة في عهد المعتر بن عبد الله الذي "إنقاد إليه الناس فضبط الأمور وجبي الأموال وأصطنع الرجال".

ولاشك أن نفزاوة تمتعد بدورها بنتائج ذلك الاستقرار، وبالتالي فإن الخراب الذي تحدث عنه المصادر المكتوبة والذي تسببه لبني هلال وسلام كان نسبيا بهذه المنطقة.

⁽⁸⁾ ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1956-1957، ص 338 وما بعدها.

ذلك يمكن التأكيد على أن تعریب نفزاوة تم في هذه نسبة بفعل الاحتكاك بين البربر والقادمين الجدد من أعراب الشريد وزغرب الذين "ملدوا بها القفار والمياه وكثرت نفزاوة وهم لهذا العهد عامة أهلها"⁽⁹⁾. ويبدو أن الأهمية العددية للسكان الجدد سمحت بتسريع عملية التعریب. وتعربت حتى القبائل النفزاوية التي كانت غادرت المنطقة منذ القرن 2 هـ/8م واستقرت بمناطق أخرى ومن بينها إحدى بطون ولهاصنة التي كان أفرادها في القرن 8 هـ/14م بمنطقة عنابة "يركون الخيل وأخذون بمذاهب العرب في زيه ولغتهم وسائر شعراهم" كما يقول ابن خلدون⁽¹⁰⁾. وهو ما يعني أن التعریب مس كلا من المنطقة والقبيلة أو بعض بطونها، وذلك على الأقل في القرن 14 هـ/19م.

من ناحية أخرى، لم تتغلق منطقة نفزاوة بعد الزحف الهلالي وإنما بقيت مفتوحة أمام مهاجرين أو لاجئين جدد من القبائل العربية أيضاً، ويمكن أن ذكر من أهم من قدم إليها فيما بين القرن الثامن للهجرة/14م والقرن 13 هـ/19:

- المرازيق الذين نزلوا بجنوب المنطقة أواخر القرن 8 هـ/14م وبداية القرن 9 هـ/15م⁽¹¹⁾ واتخذوا من دوز قاعدة لهم وسهول الظاهر مجالاً لطعنهم.

- المحاميد الذين يرجعون إلى محمود بن طوب بن بقية بن عامر، ويبدو أنهم قدموا من جهات طرابلس في القرن 10 هـ/16م واستقروا ببلدة قلي⁽¹²⁾. كما قدم من نفس الجهات مهاجرون آخرون استقروا بقرى أخرى من بينها الرابطة.

- أولاد يعقوب : ويبدو أن قدوتهم كان متاخراً نسبياً، وقد جعلوا من قرية نفزة مركزاً لهم⁽¹³⁾.

مع الملاحظ هنا أن هذه القبائل جميعها ترجع إلى بني سليم.

⁽⁹⁾ ابن خلدون، العبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت 1979، ج 6، ص 413.

⁽¹⁰⁾ المصدر نفسه، ص 116.

⁽¹¹⁾ المرزوقي (محمد) والمرزوقي (علي)، ثورة المرازيق 1943، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1979، ص 21-22.

⁽¹²⁾ Moreau, Le pays des Nefzaouas, op. cit., p. 93.

⁽¹³⁾ Ibid., p. 89.

هذا من ناحية إثنية أما من الناحية المذهبية، فمثلاً كان الزحف الهمالي عنصراً مساعداً لإفريقيا في تخليها عن المذهب الشيعي منذ القرن 5هـ/11م، فإن مجبي القبائل العربية إلى منطقة نفزاوة ساهم في تراجع المذهب الإباضي الذي تضرر بعد تدمير عاصمته درجين قبيل الزحف الهمالي. وإن تواصل وجوده بعد ذلك على الأقل إلى القرن 7هـ/13م، فإنه ماقهى أن اضمحل تماماً واعتلت نفزاوة كسائر إفريقيا المذهب السنى المالكى.

لكن كيف تطورت الأحداث السياسية بإفريقيا بعد ضمها إلى الدولة الموحدية؟ وما هو موقع نفزاوة في تلك الأحداث؟

2- نصف قرن من الإضطراب :

قام عبد المؤمن بن علي بتوحيد المغرب الإسلامي وقضى وبالتالي على دويلات إفريقيا ومن بينها إمارة بني الرند بقصبة بعد أن فتحها سنة 554هـ/1159م، وأصبحت إفريقيا ولاية تابعة للدولة الجديدة. غير أنها سرعان ما أصبحت عرضة للمغامرين المطاليين بالسلطة، ولعل من أولئهم علي بن عبد العزيز بن المعتز من بني الرند الذي استقدمه أهل قصبة سنة 563هـ⁽¹⁴⁾، فتدخل الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف ووضع حداً لهذه المحاولة وقضى نهائياً على عائلة بني الرند. أما أهم أولئك المغامرين فهم : شرف الدين قراقوش، أحد مماليك صلاح الدين الأيوبي⁽¹⁵⁾، وبنو غانية حكام جزر الباليلار والذين عبروا إلى المغرب الأوسط ثم إلى إفريقيا في محاولة لإحياء الدولة المرابطية من جديد.

استولى قراقوش على جنوب إفريقيا ومن ضمنها نفزاوة "وجمع أموالاً جمة، وجعل ذخیرته بمدينة قابس". ويبدو أن الإضطراب عم المنطقة بفعل قبائل بني سالم، إذ يقول ابن خلدون : "وخررت تلك البلاد أبناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم"⁽¹⁶⁾. ومما زاد في ذلك الإضطراب انسحاب بني غانية من المغرب الأوسط نحو إفريقيا بعد هزيمتهم أمام الجيش الموحدى. وتحالف قراقوش مع هؤلاء

⁽¹⁴⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 166.

⁽¹⁵⁾ المصدر نفسه، ج 5، ص 286.

⁽¹⁶⁾ المصدر نفسه.

المغامرين الجدد على أن يكون له الجنوب الشرقي إلى طرابلس، ولعلي بن غانية المنطقة المحيطة بشط الحريد والتي اتخذها منطلقاً للسيطرة على كافة إفريقيا، ولم يبق للموحدين غير المهدية وتونس.

وفي سنة 584هـ، قدم المنصور الخليفة الموحدي فهزمبني غانية وأجبرهم على التراجع جنوباً، ولكن ما إن عاد إلى المغرب، حتى عادوا إلى الركح من جديد وتمكنوا من السيطرة على بلاد الجريد "إلى أن هلك علي (بن غانية)" في بعض حروبها مع أهل نفزاوة سنة أربع وثمانين (وخمسماة) أصابه سهم كان فيه هلاكه دفنه هناك وغفى على قبره، وتولى الأمر بعده أخوه يحيى (17).

لكن بداية من سنة 586هـ، انحل التحالف بين قراقوش وبني غانية، وذلك بعد إعلان قراقوش ولاءه للموحدين. ودخل الطرفان منذئذ في صراع على مناطق النفوذ وكانت نفزاوة من بين مجالات ذلك الصراع، إذ حاصر يحيى بن غانية ياقوت تائب قراقوش في طرة حتى أخذه وأخذ من الغز الدين كانوا معه مائة فارس أضافهم إلى جنده (18). وكان من نتائج ذلك الانتصار بفزاوة أن التفت عليه العربان، وتمكن من الاستيلاء على بلاد الجريد، ثم توجه شمالاً إلى أن دخل تونس سنة 600هـ/1203م، ولم يعد له بإفريقية منازع. وعندئذ أدرك الخليفة الموحدي الناصر خطورة الوضع بالولاية الشرقية فتوجه نحوها، فخرج يحيى بن غانية ومن معه من تونس إلى القيروان ثم قصصه، ثم الحامة حسب ابن الأبار (595-658هـ/1199-1260م)، ومن هناك اتجهوا إلى نفزاوة "ليتقونوا من ثمراتها ويستروا -ريثما تصسلهم أ Maddhem - أخلف خيراتها" (19). وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن سبب تراجع ابن غانية إلى نفزاوة يعود إلى ما تتوفر عليه من ثروات فلاحية وأعلاف. غير أن ابن نخيل يعيّد سبب ذلك إلى أن أهل طرة بفزاوة ثاروا على نائب يحيى بن غانية بمنطقةهم مستغلين تراجعه الدراميكي أمام الخليفة الموحدي، فما كان من ابن غانية -لما بلغه الأمر- إلا أن اعتزم الانتقام منها "ووصل إليها وقاتلها حتى افتحها ثم أطلق الجن علىها فقتلوا الرجال وانتهوا بالأموال واقتربوا الأبرار وأخرجوها المنازل والديار (...)"، ويضيف

(17) المصدر نفسه، ج 6، ص 193.

(18) التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 147، نقلًا عن الفاضل البيهقي.

(19) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص 54. نقلًا عن الموقع التالي : <http://www.alwaraq.com/>

ابن نخيل أنه ترك طرة خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها فتفرقوا في بلاد نفزاوة⁽²⁰⁾. لا شك لدينا أن هذا الانتقام الدموي المرهون يعكس حالة الفرضي التي كان عليها جنوده وهم يتراجعون أمام الجيش الموحدي الجرار، فضلاً عن أنه يمثل بالنسبة لابن غانية انتقاماً شخصياً من منطقة ثارت ضد أخيه من قبله وتسببت في مقتله سنة 584هـ/1188م⁽²¹⁾. ومع ذلك هل كان لهذا الانتقام أن يصل تلك الدرجة من الشدة لو لم يقم أهل طرة بشورة حقيقة لأسباب اقتصادية وإيديولوجية قد تبدو جلية للعيان؟

إن تراجع ابن غانية إلى نفزاوة حنته موقعها المحمي طبيعياً، ولكن خاصة ما تتوفر عليه من تموين لجيشه، حسب ما يفهم من شهادة ابن الأبار المعاصر للأحداث. وهو ما من شأنه أن يتعارض مع مصالح السكان المحليين. وربما استغل الدعاة الموحدون هذه الوضعية للتحريض عليه والثورة ضده، أو هذا ما يمكن فهمه مما أورده ابن نخيل الذي يذكر أن ابن غانية وجد بطراً "رجلين من أجناد الموحدين كانوا قاطنين بها منذ زمان، فضرب رقباهما صبراً". ومهما يكن من أمر هذين الرجلين، وحقيقة الدور الذي قاما به في المنطقة، فإن قتالهما جعلهما من ضحايا ابن غانية متلهما في ذلك مثل أهل طرة، وهو ما ساهم في سهولة استقبال نفزاوة للموحدين، في حين تراجع ابن غانية ومن معه باتجاه الصحراء. وفي هذا المعنى يقول ابن الأبار "فلما أبطة رسولهم، وتقلص بطول الانتظار مأمولهم، انصرفوا على أدرائهم إلى زميط (...) ونزلوا من شعفات الجبال إلى قرار البوار". وتحول ابن غانية إلى مجرد قاطع طريق إلى أن توفي سنة 633هـ/1236م.

بينما اتجهت إفريقية نحو الاستقرار بعد أن عين الخليفة الناصر على رأسها سنة 603هـ/1207م أبو محمد بن أبي حفص أحد أشهر القواد الموحدين، وهو الذي أعطى اسمه للعائلة التي ستحكم البلاد التونسية لما يقرب من ثلاثة قرون، إذ انتقلت السلطة من بعده إلى أبناءه الذين أعلنوا الاستقلال عن الدولة الموحدية سنة 634هـ/1237م.

إن تلك الأحداث التي عرفتها نفزاوة طيلة نصف قرن تؤكد على :

⁽²⁰⁾ التجاني، المصدر نفسه، نفلا عن ابن نخيل.

⁽²¹⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر ج 6، ص 193.

- أنها كانت عرضة للاضطراب والخراب الذي تجاوز ما أحدثه بنو سليم بالمنطقة مما أثر على حياة الاستقرار بها، ولعلها شهدت آنذاك أكثر من ذي قبل نمو ظاهرة البدونية.

- أن استيلاء المغامرين عليها وإصرارهم على ذلك يؤكد على أهميتها الإستراتيجية باعتبار موقعها خاف الشطوط، وكذا أهميتها الاقتصادية إذ كانت منتجًا هاماً للتمرور.

لكن ما هي حالة نفزاوة بعد قيام الدولة الحفصية؟ وما هي انعكاسات ما كان يحدث بتونس عليها؟

3- نفزاوة في العهد الحفصي :

يبدو أن نفزاوة استفادت من القضاء على بني غانية فخضعت إلى الدولة الناشئة وخاصة في عهد أبي زكرياء يحيى الأول وخليفه أبي عبد الله المستنصر (625-1228هـ/1227م)، إذ كانت الدولة الحفصية خلال هذه الفترة ذات طموحات تتجاوز حدود إفريقيا بعد أن استطاعت أن تخضع القبائل العربية القوية وتحصل حدداً لعنفها وتمردها. وبذلك أصبحت إفريقيا موطن أمن وسلام، وهو ما كان وراء ترشيح أميرها إلى لقب الخلافة، حتى جاءته البيعة من مناطق عديدة في غرب العالم الإسلامي وشرقه ⁽²²⁾، لكن الدولة الحفصية ما لبثت أن ضعفت بعد ذلك، وتواصلت تراجعها إلى سنة 772هـ/1370م، ولعل من مؤشرات ذلك :

- الصراع على السلطة : إذ في الفترة الفاصلة بين سنتي 675-683هـ/1277-1284م تولى السلطة ثلاثة أمراء أزيحوا بالقوة وانتهت حياتهم جميعاً بالقتل. كما انقسمت الدولة إلى إماراتين شرقية بتونس وغربية بجایة.

- تعرض البلاد إلى الغزو الخارجي : إذ وقع احتلال جربة سنة 682هـ/1283م، وهاجم المرinيون سنتي 748هـ/1347م و758هـ/1357م الحاضرة الحفصية وسيطروا عليها.

⁽²²⁾ الشريف، تاريخ تونس، نفس المرجع، ص 53.

وفي بداية فترة الضعف هذه، شاركت نفزاوة في تغليب كفة أحمد بن مرزوق بن أبي عماره الذي ادعى انتسابه للعائلة الحفصية وانطلق من طرابلس يطالب بالعرش. وعندما وصل إلى قابس سنة 681هـ/1282م بايته مناطق الجنوب ومن بينها نفزاوة (23). وتمكن بعد ذلك من الإستيلاء على العاصمة وبقي بها إلى سنة 683هـ/1284م، غير أن الصراع على السلطة الحفصية لم يهدأ مما جعل المنطقة الجنوبيّة تتولى تسيير أمورها بنفسها، ويُعيَّد ابن خلدون بداية ذلك إلى سنة 686هـ/1287م، إذ انقسمت قرى الجنوب بين شقين متباينين، ضم الأول توzer وكثومة وضم الثاني سادة ونقطة وتقويس. وفي البداية تغلب الشق الأول الذي كان يقوده محمد بن أبي بكر التينمل عامل الحفصيين على توzer، لكن تخلصت نفزاوة لترجح كفة الشق المنهز. وجاءت منها تعزيزات زحفت على قوات العامل الحفصي فانهزمت جموعه وترجعت إلى توzer بعد سقوط العديد من القتلى. لكنه غزا سادة ثانية وعقد صلحًا مع أهلها على أن يكون "رؤساء نفزاوة منهم فأمضى شرطهم وكان ذلك أول استبداد أهل الجريدة" (24). ومن خلال ذلك يمكن نلاحظ ما يلي :

- أن مصير نفزاوة في هذه الفترة، كان مرتبطة بالجريدة خاصة وأنها كانت قبل سنة 686هـ تابعة إدارياً لها، ويمكن سحب ذلك على كامل العهد الحفصي أو بالأحرى فترات القوة فيه.

- أن نفزاوة تخلصت عند ضعف الحفصيين من الخضوع لهم، وربما تخلصت من التبعية لتوzer أيضاً، وهذا ما يمكن أن نستتّجه مما ذكره ابن خلدون حول قرى نفزاوة، إذ لما تقلص ظل الدولة الحفصية عنها "وحذرت العصبية في الأ MCS استبدلت كل قرية بأمرها وصار مقدم توzer يحاول دخولهم في إيلاته فنهم من يعطيه ذلك ومنهم من يلأه" (25).

وفي الحقيقة، فإن بلاد الجريدة نفسها تخلص عنها نفوذ الدولة الحفصية، وصار أمرها شوري من المشيخة إلا في الأحايين يؤملون الاستبداد كما كانوا عليه من قبل

(23) ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 302.

(24) المصدر نفسه، ص 308.

(25) المصدر نفسه، ص 116.

الموحدين⁽²⁶⁾، أي أن الحكم أصبح بيد مجموعة من البيوتات الأستقراطية ومن بينها بنو الخلف بنفطة. ويعود نسب هؤلاء إلى "غسان من طوالع العرب"، انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة إلى نفطة (...). وكان لبنيه بها بيت واستبد هؤلاء الإخوة الأربعية أزمان الشورى⁽²⁷⁾. ولعل انحدار هذه الأسرة من نفزاوة دعم تبعية المنطقة إلى بلاد الجريد ثم أنه يفسر مناصرة نفزاوة سنة 686هـ للشقيق الذي يضم نفطة في صرائعه مع توزر.

وفي سنة 706هـ/1307م، قدم إلى نفزاوة الجيش الحفصي بقيادة أبي يحيى زكرياء بن اللحياني، وقد سجل لنا عبد الله التجاني تلك الزيارة، ومن خلال ملاحظاته يبدو أن المنطقة كانت تقضي إلى سلطة فعلية على عكس مناطق أخرى كالجريدة مثلاً، وكل ما أشار إليه بالنسبة لنفزاوة هو :

- أن لها قاعدتان هما طرة وبشري، وبالتالي فمن الممكن أن يكون بهما مثل السلطة.

- أن هناك بقرية طرة قصبة كان ينزل بها الولاة، لكن "أعادها الخراب دكا فلم يبق منها غير سورها المحيط"⁽²⁸⁾. وبالتالي فإن السلطة بنفزاوة تراجعت إلى أقل من مستوى الولاية.

ورغم أن الجيش الحفصي جاء ليفرض الولاء للدولة عبر استخلاص الضرائب، فإن التجاني لم يشر إلى تلك العملية بنفزاوة. أما بالنسبة لبلاد الجريد فقد اكتفى أبو يحيى اللحياني بجمع الضرائب وإقرار حكم توزر عليهما⁽²⁹⁾، واعترف وبالتالي بالسلطة المحلية. وفي الحقيقة فإن حالة الدولة آنذاك لم تكن تسمح بأكثر من ذلك، إذ كانت تتآكلها الصراعات حتى أنه بعد وفاة السلطان أبي عصيدة سنة 709هـ/1309م خلفه أبو بكر الذي لم يبق بمنصبه غير سبعة عشر يوماً فقط⁽³⁰⁾، وتواصل الصراع على السلطة إلى سنة 772هـ/1370م. وفي أثناء ذلك وقعت محاولات جدية لإخضاع

⁽²⁶⁾ المصدر نفسه، ص 344.

⁽²⁷⁾ المصدر نفسه، ص 415.

⁽²⁸⁾ التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 142.

⁽²⁹⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 320.

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه.

-718هـ/1318م، فقد توجه هذا السلطان سنة 735هـ إلى فصصة (31) وفتحها ثم عين عليها ابنه أبي العباس وكفه بضم بقية المنطقة إلى نفوذه، وقد نجح فعلاً في ضم نفطة بعد حصار شديد قطع خلاله نخيلها "وتملك الكثير من نفزاوة" (32) في محاولة لعزل إمارة توزر القوية. إلا أن السيطرة على هذه المدينة لم يتم إلا سنة 745هـ بمساعدة من نفزاوة، إذ قامت السلطة الحفصية باستغلال الصراع على النفوذ بتوزر بين بني يملول، ودعمت أحدهم بعد أن كان سجيناً لديها فتوجه إليها مع من انضم إليها "من الأعراب وحشد نفزاوة والمجاورين لها في القرى الظاهرة"، وتمكن من دخولها (33).

لقد كانت الدولة الحفصية في زمان ضعفها تخشى السلطات المحلية وتعامل معها بحذر شديد ولم تستطع فترة أبي بكر الثاني أن تفل في قوة تلك السلطات، إذ ما إن توفي حتى رجع الأمراء المحليون إلى ما كانوا عليه بل "لقد حدثهم أنفسهم بألقاب الخلافة وأقاموا على ذلك" كما يقول ابن خلدون (34) إلى الرابع الأخير من القرن 8هـ، أي إلى أن استعادت الدولة الحفصية بعض قوتها من جديد، وقد وُقد حكم خلال هذه الفترة أربعة سلاطين عظام أولهم أبو العباس (772-796هـ) وأخرهم أبو عمرو عثمان (839-894هـ/1435-1488م).

توجه السلطان أبو العباس بنفسه سنة 777هـ نحو الجنوب الغربي فضم إليه قصبة وولاها لابنه أبي بكر ثم توزر التي أسندتها لابنه المنتصر، وضم بني الخلف بنفطة إلى سلطنته. وفي سنة 790هـ، أضاف عمل نفزاوة إلى نفطة وعين عليها ابنه زكرياء (35). ولكن وفاة أبي العباس وتولية ابنه أبي فارس عزوز (796-837هـ/1394-1434م) جعلت إخوته بالجريدة يخشونه فقر المنتصر إلى الحامة

(31) المصدر نفسه، ص 344.

(32) المصدر نفسه، ص 351.

(33) المصدر نفسه، ص 414.

(34) المصدر نفسه، ص 387.

(35) المصدر نفسه، ص 388-389.

ولحق أبو زكرياء بجبار نفزاوة⁽³⁶⁾، وذلك يدل على معرفته بحصانة المنطقة التي كانت تابعة له؛ إلا أن السلطان الجديد سلك سياسة لم تكن متوقعة إذ "ألف بين إخوته واعتضد بهم في السعيدة دولته"⁽³⁷⁾.

وفي إطار ذلك خضعت منطقة نفزاوة -فيما يبدو- للسلطة الحفصية طيلة القرن 9هـ/15م وكل ذلك بواسطة بني مسكين شيوخ حكيم. فمن هم هؤلاء؟

تحدر هذه القبيلة العربية من بني سليم، وقد كانت تستوطن منطقة الساحل التونسي وتمكنت سنة 749هـ/1348م من فرض نفسها على السلطان أبي الحسن فأقطعها مدينة سوسة، وكان يقودها آنذاك خليفة بن عبد الله بن مسكين، ثم انتقلت المشيخة من بعده إلى ابن أخيه عامر بن محمد بن مسكين. وعندما تولى أبو العباس أحمد العرش الحفصي "انتزع ما بأيدي العرب من الأ MCSAR"⁽³⁸⁾، حسب تعبير ابن خلدون، مما جعلهم يشوروون عليه ومن بينهم شيخ حكيم أبو صعنونة أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين. غير أن السلطان انتصر عليهم وتمكن من تشتتيهم فانقسمت رئاسة حكيم بين عبد الله بن محمد الذي أعلن ولاءه للدولة وأبي صعنونة الذي يبدو أنه سيطر على نفزاوة في هذه الفترة.

وفي سنة 810هـ/1408م، واجهت قبيلة حكيم السلطان أبا فارس عبد العزيز بين الحامة ونفزاوة فيما عرف (بوقيعة عين الغدر) وانتصرت عليه. ولكن للمفارقة أن هذه الموقعة حولت موقف حكيم من مواجهة الدولة إلى مناصرتها، وقد لعب شيخها المرابط أحمد بن أبي صعنونة دورا هاما في ذلك التحول، إذ "رجع على أصحابه الذين كانوا ينهبون المحلة ويقتلون رجالها فردهم، وأتى هو إلى السلطان فقبله ورضي عنه"⁽³⁹⁾.

⁽³⁶⁾ المصدر نفسه، ص 403.

⁽³⁷⁾ ابن القتف (أبو العباس أحمد بن حسين)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي التيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، ص 189.

⁽³⁸⁾ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر، ج 6، ص 83.

⁽³⁹⁾ الزركتسي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص 123.

وفي نفس تلك السنة، ناصرت حكم أبي فارس ضد الأمير أبي عبد الله محمد⁽⁴⁰⁾، كما ناصرت خليفته أبي عمرو عثمان سنة 839هـ/1436م، ضد الأمير أبي الحسن الذي كان يطالب بالسلطة⁽⁴¹⁾. وكان شيخ هذه القبيلة آنذاك سعيد بن أحمد بن أبي صعنونة الذي بقي إلى سنة 857هـ/1453م. وفي رمضان من هذه السنة، أغمى عليه قطن أبناءه أنه مات، فتوجها نحو العاصمة لتعيين أحدهم مكانه "لوقوع بين عامر وأخيه مقاتلة في طريقهم، جرح فيها محمد وتأخر، وقدم آخره عامر لتونس ومعه ولده وأخوه عبد الله، فأمر السلطان بالقبض عليهم فاعتقلوا بتونس، ثم قدم محمد فأكرمه وقدمه عوض أخيه، ثم ورد الخبر أن الشيخ سعيد أفاق فأطلق عامر ثم توفي الشيخ في ذي القعدة من العام (ديسمبر 1453م) فاستقل محمد بالمشيخة⁽⁴²⁾. وما يمكن التأكيد عليه وبالتالي أن نفزاوة خضعت كلية للسلطة المركزية التي كانت تهدف من التدخل في شؤون قبيلة حكيم إلى ضمان ولائها، كما كان لها من يمثلها بالمنطقة. وكان قائد نفزاوة سنة 873هـ/1469م. يسمى إبراهيم بن محمد بن عصفور ويSadde في قبض الجباية وضبطها موظف يسمى أبو محمد⁽⁴³⁾.

غير أن هذا القرن الخامس عشر، عرف بروز سلطة جديدة بالمملكة وهي سلطة الطرقية، فقد قدم إلى نفزاوة العديد من الأولياء الصالحين من بينهم محمد الغوث بدوز وعمر المحجوب بالوعينة⁽⁴⁴⁾ وحامد الشريف بالمنشية ونصر بالرشاش بالرباطة وزيدان ببورعبد الله⁽⁴⁵⁾. ويمكن أن نضيف إليهم أحمد بن محمد التباسي أو الدباسي⁽⁴⁶⁾، أحد مرادي الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي (1443-1482). وكثرت الزوابيا حتى أن أبي سالم العياشي عندما جاء إلى المنطقة في القرن

⁽⁴⁰⁾ المصدر نفسه، ص 123-124.

⁽⁴¹⁾ المصدر نفسه، ص 138.

⁽⁴²⁾ المصدر نفسه، ص 148.

⁽⁴³⁾ المرزوقي، ثورة المرازيق، نفس المرجع، ص 21-22.

⁽⁴⁴⁾ المصدر نفسه، ص 22.

⁽⁴⁵⁾ Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit.. p. 91.

⁽⁴⁶⁾ الغزوي (نجم الدين)، الكواكب السائرة بأعيان الملة العاشرة، ص 79؛ نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي :

<http://www.alwaraq.com/>

السابع عشر وجد أهاليها يعتقدون أن معنى نفزاوة هو "ألف زاوية" ⁽⁴⁷⁾. وقد ذاع صيت هؤلاء الأولياء وأصبحت زواياهم مراكز إطعام وحماية وتعبد، واستفادوا هم بدورهم وكذا أحفادهم من بعدهم من تلك المكانة، فكانوا يسعون إلى جمع الأرضي والعقارات، من ذلك أن عمر المحجوب اشتري بستانًا بواحة بلدة نفة ⁽⁴⁸⁾ التي تقع على بعد أكثر من 40 كم من مقر زاويته بالوعينة، ويحمل أحد المواقع قرب نفة إلى حد الآن اسمه (شوشة سيدي المحجوب)، كما استطاع حامد الحشاني أن يحبس على أبنائه مساحات شاسعة من سهول السفي والشارب ⁽⁴⁹⁾.

لكن يبدو أن قوة الزوايا كانت في جانب منها على حساب نفوذ الدولة الحفصية التي دخلت منذ نهاية القرن 9هـ/15م مرحلة من الضعف والانحلال، ورغم ذلك بقيت نفزاوة على الأقل إلى حدود الربع الأول من القرن 10هـ/16م خاضعة لنفوذ الحاضرة، وهذا ما يفهم من النص التالي للحسن الوزان : "تتركب نفزاوة من ثلاثة حصون متقاربة (...) وسكنها فقراء لأنهم متقلون بالضرائب من قبل ملك تونس" ⁽⁵⁰⁾، غير أن هذا الضغط الجبائي سيخف بعض الشيء عندما انهيار الدولة الحفصية. وفي حين أصبحت السواحل محل نزاع بين الإسبان وال Ottomans، اتجهت نفزاوة أكثر للاحتماء بالطريقية، وربما فكر الشابيون آنذاك في ضمان ولاتها لهم، من خلال داعييهم بنفزاوة أحمد بن محمد التباسي. غير أن الأمور ألت كما هو معلوم سنة 981هـ/1574م لصالح العثمانيين الذين سيطروا على البلاد التونسية فبدأت بها وبنفزاوة مرحلة تاريخية جديدة.

⁽⁴⁷⁾ أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاع بإجازات المشائخ الأجلاء، تقديم وتحقيق محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 24.

⁽⁴⁸⁾ المرزوقي، ثورة المراتيق، نفس المرجع، ص 22.

⁽⁴⁹⁾ Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 92.

⁽⁵⁰⁾ L'Africain, *Description*, op. cit., T2, p. 445.

الحياة الاقتصادية وال عمرانية بنفزاوة

من القرن ٤١هـ إلى القرن ١٥هـ

ركزنا في الفصول السابقة على الأحداث السياسية والعسكرية المتصلة بنفزاوة حتى القرن ١٥هـ، غير أن معرفة تلك الفترة تتطلب تسلیط أضواء أخرى على ما يتعلّق بالجوانب الاقتصادية وال عمرانية بنفزاوة، رغم ما تتصف به المصادر عموماً من شح واقتضاء لما يهم هذه الجوانب. وقد حاولنا من جهةٍ، وكذا بطبقات مشائخ تلك المصادر، وهما كتب الجغرافيا والرحلات من جهةٍ، وكذا بطبقات مشائخ الإلاضية من جهة أخرى.

١- التطور العمراني والديمغرافي :

إذا كانت حياة الإستقرار بافريقيا والعالم الإسلامي بصفة عامة تعزى إلى تطور التجارة، فإنها بالنسبة لمنطقة نفزاوة مرتبطة بالواحدات والمياه والخييل أي بالقطاع الفلاحي، ولعله لذلك لم تبرز مدن عظيمة تصاهي ما برز بمناطق أخرى تمر بها المسالك التجارية الهامة، ولم يمنع ذلك المنطقة من كونها ذات كثافة ديمغرافية مرتفعة، لكن سكانها كانوا متفرقين على عدد كبير من القرى، بينما تركز سكان منطقة الجريد مثلاً بعدد محدود من المدن التاريخية الهامة.

أما أهم المدن بنفزاوة فإن عددها يتراوح حسب الحغرافيين من واحدة إلى ثلاثة، وإن أكثري اليعقوبي (ق ٣هـ / ٩م) بذكر مدينة بشري، العاصمة الإدارية للمنطقة^(١)، فإن البكري (ق ٥هـ / ١١م) ذكر مدینتين هما نفزاوة والمدينة، وبينما أحدهما بشري أو بشري وقطنasaة بالنسبة للأولى وطرة بالنسبة للثانية، كما تحدث التجانی (ق ٨هـ /

(١) اليعقوبي (أحمد بن واضح)، البلدان، ط ٣، النجف ١٩٥٧، ص ١٠٢.

14م) عن هاتين المدينتين، أما الحسن الوزان ودي مرمول De Marmol (ق 10هـ/16م) فقد أشارا إلى ثلاثة مدن دون أن يحدداها.

وفي الفترة الممتدة إلى القرن 10هـ يمكن التأكيد على أن أهم المدن بمنطقة نفزاوة هي:

- ما يسميه البكري بمدينة نفزاوة، ويبدو أنها بشري الحالية أو بشري وقطناسة مجتمعتين وسكان بشري هم "من الأفارقة القدم ومن البربر" (٢) ويبدو أنهم من برب نفزاوة، ولذلك أطلق البكري اسم القبيلة على المدينة أو ربما على جزئها الهام؛ أما قطناسة التي كانت تقطنها قبيلة صغيرة من مزاته (٣) فهي لا تعدو أن تكون قرية مجاورة لمدينة نفزاوة أو حيا تابعاً لها. ولهذه المدينة سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وبها جامع وحمام وسوق" (٤)، أي أنها تجمع كل مقومات المدينة العربية الإسلامية ومما يشير الإنابة كثرة أبوابها (٥)، ولا شك أن ذلك يدل على اتساعها وبالتالي أهميتها الديمغرافية. ومن الممكن أن أحد هذه الأبواب يفتح نحو الشمال في اتجاه الجريد وآخر نحو الجنوب في اتجاه بقية قرى المنطقة. وإضافة إلى ذلك فإن وجود مسجد جامع بالمدينة يدل على أهميتها. أما عدد المساجد فهو هام، وقد كان بقطناسة وحدها في منتصف القرن 5هـ/11م إثنا عشر مسجداً. ويرتبط بالجامع والمساجد الحمام كمكان للطهارة والنظافة. لكن متى تأسست هذه المدينة؟ خلافاً لما يوحى به اسمها ذو الجذر العربي المشحون بالتفاؤل والأمل، فإن تأسيسها أسبق فيما يبدو من قدوم العرب إلى شمال إفريقيا، إذ يذكر الحميري، في معجمه الروض المعطار في خبر الأقطار، بأنها "مدينة مسورة قديمة" (٦). وهذه الصفة كان يطلقها الجغرافيون العرب على المدن السابقة للإسلام.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أبو زكرياء، كتاب السيرة، نفس المصدر، ص 328-329.

(٤) البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 47-48.

(٥) كان بالقيروان في نفس الفترة أربعة عشر بلداً.

(٦) الحميري، الروض المعطار، نفس المصدر، ص 118.

- طرة : وهي التي يطلق عليها البكري اسم المدينة، ويضيف أن "عليها سور وبها جامع وحمام وسوق"، وهي وبالتالي دون بشرى وإن توفرت فيها مقومات المدينة العربية الإسلامية.

- درجين : وقد أغفل ذكرها الجغرافيون العرب، حيث لم يمر بها أحد منهم، وذلك لموقعها المنعزل إذ أنها تقع جنوب شط الجريد، وبالتالي فالمسالك الذي يمر بها غير ذي أهمية كبرى مقارنة مع ذلك الذي يعبر الشط. لقد بلغت درجين درجة من التطور رشحتها إلى أن تكون العاصمة الإلإباضية للمنطقة. ولعل مما يؤشر على أهمية هذه المدينة أنها كانت تعداد 18 ألف فارسا سنة 325هـ⁽⁷⁾ وتبقى مدينة هامة حتى لو لم تعتبر غير عشر هذا العدد. وإذا اعتبرنا أن كل فارس هو رب عائلة ذات خمسة أفراد فإن عدد سكان درجين في النصف الأول من القرن 5هـ كان حوالي تسعة آلاف نسمة.

إن التطور الديمغرافي والعمري لمدن نفزاوة أدى إلى تطور وظيفتها، فبعد أن كانت مقتصرة على الوظيفة الفلاحية والرعوية أحدثت بها بعض الحرف لتلبية حاجيات السكان المحليين في البداية وتطور بعضها ليصبح ذا شهرة واسعة فيما بعد. فما هي ركائز الاقتصاد النفزاوي حتى القرن 10هـ/16؟

2- الحياة الاقتصادية :

أ- الفلاحة :

لا شك أن النشاط الفلاحي بفزاوة كان ينحصر في الزراعة في الواحات وتربيبة الماشية حولها، فقد كانت الواحة سبب وجود القرية وضمان استمراريتها وهي مرتبطة بوفرة المياه أو قلتها.

يقول البكري عند ذكره مدينة نفزاوة، بأن "لها عين تسمى بالبربرية تاورغى وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر"، كما يشير إلى وجود عيون كثيرة حوالى هذه المدينة، وكذلك عند تعرضه لطرة يذكر أن "حولها عيون وبساتين"⁽⁸⁾. ويدرك الحميري أنها

⁽⁷⁾ أبو زكرياء، كتاب السيرة، نفس المصدر، ص 170.

⁽⁸⁾ البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 47-48.

"على نهر كثيرة النخل والشمار، وحولها عيون كثيرة"⁽⁹⁾. أما التجاني فيصف عين طرة في بداية القرن 8هـ / 14م قائلاً إنها "بركة ماء منسعة حسنة المنظر، شارحة للنفس، تدخل البهائم إليها عند الشرب إلى حد معلوم لا تتجاوزه وإن جاوزته غابت في مغايض لا قعر لها، وينكرون أن لها في كل عام رجل تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الغرباء"⁽¹⁰⁾، وفي ذلك إشارة إلى أهمية صبيتها، إلا أنه يذكر أن عين تاورغى بشري "أعظم اتساعاً من عين طرة وأقوى ماء"⁽¹¹⁾. فالمياه إذن كانت متوفرة وكثيرة ولعل ذلك هو الذي ميز هذين التجمعين عن غيرهما من قرى نفزاوة، إذ بقدر ما تتتوفر المياه تتسع الواحة ويكثر وبالتالي سكانها.

أما الإنتاج الفلاحي فيتمثل في مختلف أنواع التمور وهي الإنتاج الرئيسي للمنطقة ونوعيتها جيدة، إذ يقول التجاني متحدثاً عن طرة: "وبها التمر المفضل على جميع البلاد"⁽¹²⁾. ويؤكد ذلك الحسن الوزان ودي مرمول بعد أكثر من قرنين⁽¹³⁾. غير أنهم لم يذكروا أسماء لأنواع الجيدة من التمور. وإضافة إلى النخيل توجد بواحات نفزاوة أشجار مثمرة أخرى يذكر التجاني من بينها بالنسبة لبشرى السفرجل والإجاص وهم من نوعية جيدة، إذ يؤكد بأن السفرجل بها "قل في جميع البقاع ما يناظره أو يقرب منه طيب طعم، وضخامة جرم، وكثرة ماء، وخلوص صفاء". ويصف الإجاص بقوله إنه "بديع الشكل شهي الأكل قلما يوجد مثله طيباً". هذا بالنسبة لجودة هذه الشمار، أما الحميري فيشير إلى تنويعها وكثرتها في واحات "مدن نفزاوة"، إذ يذكر بالنسبة لبشرى أن "لها غابة كبيرة، وهي كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه"⁽¹⁴⁾. ونفس العبارات رددها بالنسبة لتلمين إذ أورد بشأنها ما يلي: "ولها غابة نخل وزيتون وجميع الفواكه"⁽¹⁵⁾. وكذلك طرة التي "لها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع

⁽⁹⁾ الحميري، الروض المعطار، نفس المصدر، ص 534.

⁽¹⁰⁾ التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 142.

⁽¹¹⁾ المصدر نفسه، ص 153.

⁽¹²⁾ المصدر نفسه، ص 142.

L'Africain, Description..., op. cit., p. 445.; voir aussi : De Marmol, Description ⁽¹³⁾ générale de l'Afrique, op. cit., Vol II, pp. 38-39.

⁽¹⁴⁾ الحميري، (أبو عبد الله محمد)، الروض المعطار، نفس المصدر، ص 118.

⁽¹⁵⁾ المصدر نفسه، ص 148.

"الفاوكة"⁽¹⁶⁾. وهذا التأكيد يدل على أهمية الواحات في عهد الحميري (ق 414م). ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أنه استعمل مصطلح "الغابة" وهو مصطلح مستعمل حد الآن بنفزاوة ويعني بستان التخييل. ومن الأكيد أن الواحات لم تكن تقتصر على التخييل وإنما كانت بها أيضاً الزيائين التي تحتل المرتبة الثانية من حيث أهمية الأشجار المثمرة، من ذلك أن درجين كانت في القرن 6هـ/12م أكثر بلاد الجريد زيتونا⁽¹⁷⁾، كما كانت توجد بواحة تلمين أيضاً⁽¹⁸⁾، واستمر وجودها كما سترى إلى القرن العشرين. وقد كانت الواحات تنتج بالإضافة إلى ما ذكر الخضر والمواد العلفية.

أما الأرضي المحيطة بها فلا تسمح بزراعة الحبوب وقد أشار إلى ذلك الحسن الوزان، وإنما بقيت مجالاً لرعي الماشية من إبل وغنم وماعز، ولعل إنتاج الصوف هو الذي رشح طرة ودرجين لإنتاج الأقمشة الممتازة. كما كان السكان يستعملون في أشغالهم الفلاحية حيوانات أخرى مثل الحمير وربما الإبل لحراثة أراضيهم بسهول الشارب والسوقى حيث كانوا يزرعون الحبوب. أما إذا لم تنزل الأمطار فإن جلب الحبوب من المناطق الشمالية لإفريقية يكون ضرورياً.

ب- الحرف :

إن التطور الديمغرافي لقرى نفزاوة والتقدم العمراني الذي عرفته حتى القرن 5هـ أدى إلى ظهور بعض الحرف، منها ما بقي محلياً ومنها ما تجاوز حدود المنطقة وأصبح إنتاجه يصدر إلى مناطق بعيدة.

تتحدث كتب الجغرافيين العرب عن صناعتين بلغتا درجة هامة من التقدم بنفزاوة

وهما :

- صناعة الزجاج بطرة⁽¹⁹⁾ وهو ذو نوعية ممتازة ولكن لا نعرف شيئاً عن التقنيات المستعملة لكي يصبح صافياً.

⁽¹⁶⁾ المصدر نفسه، ص 367.

⁽¹⁷⁾ صاحب كتاب الاستبسار نقل عن : حسن (محمد)، المدينة والبلدية بإفريقية في العهد الحفصي، نشر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس 1999، ج 1، ص 295.

⁽¹⁸⁾ المرجع نفسه، ص 297.

⁽¹⁹⁾ الفلكشندى، صبح الأعشى، نفس المصدر، ج 5، ص 108.

- صناعة الأنسجة والملابس الصوفية، وهي أيضاً ممتازة النوعية حتى أن أقمشة طرة كانت تصدر إلى الإسكندرية⁽²⁰⁾، أما ملابس درجين فقد بقيت مشهورة إلى القرن 6هـ/12م، وكان يقارن بها اللباس السجلماسي الممتاز والمشهور مغرباً ومشرقاً⁽²¹⁾.

ومن الدلائل على تقدم وشهرة أنسجة نفزاوة أنه صنع بها بساط للمعز الفاطمي عندما عزم على التوجه إلى مصر، وقد رسمت على هذا البساط صورة الحرمين الشريفين والعالم المعروف آنذاك، وطعمت حواشيه بنقائش الحجارة الكريمة حتى أنه عد من عجائب الدنيا⁽²²⁾.

وإضافة إلى تلك الصناعتين يمكن التأكيد على وجود حرف صغيرة أخرى كانت تليي الحاجيات المحلية لمجتمع الواحات مثل الحداوة والنجراء والبناء.

ج- التجارة والمسالك التجارية :

لم يمنع موقع نفزاوة المنعزل من ربطها ببقية إفريقيا وخارجها عبر عدد من المسالك كانت بلا شك دون أهمية المسالك التجارية الكبرى للمغرب الإسلامي. ولعل أهم المسالك الموصلة لنفزاوة ذلك الذي يربطها بمنطقة الجريد عبر الشط. ويحدد اليعقوبي مسافة هذا المسالك فيقول : "ومن مداين قسطنطيلية إلى مداين نفزاوة ثلاثة مراحل"⁽²³⁾، أما البكري فيدقق أكثر إذ يقول إن مدينة نفزاوة تقع "على ثلاثة مراحل من قيطون بياضة، فمن قيطون بياضة إلى مدينة نفزاوة نقطة مرحلة، إلى مدينة توzer مرحلة، إلى مدينة نفزاوة مرحلة"⁽²⁴⁾، والمرحلة تبعاً لذلك ليست وحدة قيس مضبوطة وإنما هي مسافة تختلف من مكان إلى آخر وتتراوح بين 24 وأكثر من 40 كم. أما

⁽²⁰⁾ المصدر نفسه.

⁽²¹⁾ الجنحاني، المغرب الإسلامي، نفس المرجع، ص 174 ؛ حسن، المدينة والبادية، نفس المرجع، ج 1، ص 296 ؛ وكذلك : Lewicki (T.), "Notice sur la chronique...", op. cit., p. 151.

⁽²²⁾ لجنة البحوث للتربية بقلي، تاريخ نفزاوة، مخطوط على مالك الشيخ الهاشمي بن سوف، جوان 1965، ص 8.

⁽²³⁾ اليعقوبي، البلدان، نفس المصدر، ص 102.

⁽²⁴⁾ البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 47-48.

الشريف الإدريسي فحدد مسافة المرحلة الأخيرة زمنيا، إذ كتب "ومن تسوّر إلى نفزاوة يوم ونصف يوم كبير" (25).

ويتفق الجغرافيون العرب على وصف صعوبة هذه الطريق نتيجة مرورها بشطط الجريد التي يصفها البكري بكونها أرض سواخة "لا يهتدى للطريق فيها إلا بخشب منصوبة (...)" فإن ضل أحد يمينا أو شمالاً غرق في أرض يماس شبه في الرطوبة بالصابون" (26). ويوافق التجاني البكري في ذلك الوصف إذ يشير إلى وجود "معالم قائمة من حنوط النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسالك يميناً وشمالاً لأن ما على يمينها وشمالها من الأرض مغائض لا تثبت عليها قدم ولا يمساكلها أحد جاهم بها إلا غاص فيها" (27).

وهذه الطريق تمكن من المرور إلى القيروان، إذ يقول البكري : "وتسير من القيروان إلى مدينة نفزاوة ستة أيام نحو الغرب" (28). كما نجد طريراً أخرى تتجه نحو الشمال انطلاقاً من نفزاوة لتصل إلى قصبة، وقد حدد البكري مسافتها بمرحلتين. أما الشريف الإدريسي فقد حددتها زمنياً إذ قال "ومن قصبة إلى نفزاوة جنوباً يومان وبعض يوم" (29). ولعل هذه الطريق هي الطريق القديمة التي تمر بجبل العسكرية.

أما نحو الشرق فإن هناك الطريق التي تربط بين نفزاوة وقبس، ويقدر البكري مسافتها بثلاث مراحل أي أن المرحلة الواحدة تبلغ حوالي 45 كم، وهذه الطريق تسهل العبور إلى المناطق الساحلية وجزيرة جربة.

ولذا لم تتحدث كتب الجغرافيا عن طرقات غير هذه، فإنه اعتماداً على كتب الطبقات الإياسية يمكننا استنتاج وجود طرقات أخرى لعل أهمها تلك الذي تمر عبر جنوب الشطط في اتجاه بلاد الجريد ثم تاهرت عاصمة الدولة الرستمية. ويبعدو أيضاً أن

(25) الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، معهد الدراسات الشرقية بنابولي، روما، 1970، ج 1، ص 278.

(26) البكري، المسالك، نفس المصدر.

(27) التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 154-155.

(28) البكري، المسالك، نفس المصدر، ص 47-48.

(29) الإدريسي، نفس المصدر، ص 278.

هناك طريقة أخرى تتجه نحو الغرب لترتبط نفزاوة بورجلان ومن هناك تتجه نحو سجلماسة.

أما نحو الشرق فإن نفزاوة كانت متصلة بجهات طرابلس، ويبدو أن ذلك كان يتم عن طريق أخرى غير تلك التي تمر بقباس، ومن الممكن حينئذ أنها تتطرق من نفزاوة نحو الجنوب الشرقي.

لكن هل كانت تلك الطرقات توفر الأمان لساكينها؟ إننا لا نملك معطيات كافية عن كل الطرقات وفي مختلف الفترات.

وبالنسبة لنطريق شط الجريد كان بها أدلة يقونون بإرشاد الساكين من مسافرين وتجار، ومن المؤكد أن ذلك ي مقابل مادي ويدرك البكري أن أولئك الأدلة هم بنو موليت لكن يبدو أن هذه الطريق لم تكن آمنة تماما حتى في النصف الأول من القرن 5هـ/11م، أي قبل الزحف الهلالي، وهذا ما تعكسه رواية أحد ساكنه إذ يقول : "فَلَمَّا تَوْسَطَنَا السَّبَخَةُ (شط الجريد) فَإِذَا بَخِيلٍ بِمَقْبَلَتِنَا لَا نَسْتَطِيعُ الْهُرُوبَ (...)" فلما وصلناهم حلقوا علينا (...) وكان على تلك الخيل أمير فتكلم إلينا فطلع وتصعد فينا بصره من فوق إلى أسفل حتى غشيني لعب فرسه، والكسنة الأنطاكيية على علاقي، فسألنا : من أنتم؟ قلنا : تلامذة، فقال : امضوا على طريقكم راشدين، قال علي (الراوي) : فمضيت وكانت أتوقع أن يقول لي دع الكساة" (٣٠).

وبالتالي فإنه وإن اختلف الأمن على هذه الطريق حتى قبل الزحف الهلالي، فإنه لم ينتشر تماما مما ضمن موافقة الحركة التجارية. لكن يمكننا أن نتساءل عن حالة الأمن بعد منتصف القرن 5هـ/11م. يبدو أن تلك الحالة لم تتغير كثيرا إلى منتصف القرن الموالي، إذ أن دوليةبني الرند التي امتد نفوذها على الجنوب الغربي وبالتالي على طريق الشط، كانت تؤدي الاتواة للهلاليين مقابل تأمين السابقة، وهو ما تم فعله على الأقل في عهد عبد الله بن محمد بن الرند وابنه المعتر، وهذا ما يمكن أن نستنتجه من النص التالي الذي يتحدث فيه أبو زكرياء عن سفر أحد مشائخ الإباضية من جنوب نقرت إلى طرابلس وذلك في النصف الثاني من القرن 5هـ فلما وصل سوف "فإذا بقافلة قد عملت وعزمت على السفر من نفزاوة، فاصطحبها إلى نفزاوة فوصلها سالما.

(٣٠) أبو زكرياء، كتاب السيرة، نفس المصدر، ص 264.

وأنقطعت الطريق بينه وبين أهله باللصوص، فلم يجد من يصطحب معه إلى أهله إلا جماعة السراق، فسأله معهم، ورفعوا له زاده، وقالوا له : متى ما عييت فاقعد واسترخ، فمنحه الله منفعتهم ورد عنه بأسمهم " (٣١) .

وهذا النص يشير إلى بدايات انعدام الأمان على الطريق بين نفزاوة وجهات طرابلس، ولكنه من ناحية أخرى يؤكد على أن الطريق إلى صحراء المغرب الأوسط كانت آمنة. ولعل ذلك يعود إلى نجاح دولية بني الرند في تأمين الطرقات التي تسيطر عليها بالجنوب الغربي بينما كانت الطريق نحو طرابلس غير آمنة لعدم امتداد نفوذهم عليها.

وبعد سقوط بني الرند انخرم أمن تلك الطرقات جميعاً خاصة أثناء ثورة بني غانية ولعل النص التالي يبيّن ذلك، يتحدث الدرجيني عن قافلة تضم أكثر من عشرين تاجراً جربياً قادمين من سجلماسة في اتجاه جربة ولما صاروا ببعض الطريق بين وارجلان ونفزاوة، وأصبحوا راحين غادين بين كثبان رمل، أشرفوا على كثب فرأوا نعماً كثيراً في المرعى ومن ورائهم أحياء، فأليسوا من السلامة (...) ثم تشاوروا فيما بينهم فقالوا : (ندفع ما معنا) وقاتل (تولى خلفنا)، وقاتل (ترسل إليهم من يجاعل على سلامتنا بجزء مما معنا)" (٣٢). إن هذا النص يدل على انحرام الأمن بهذه الطرقات، ولكنها مع ذلك بقيت مستعملة وحافظت لوقت ما على حد أدنى من الحركة التجارية والإتصال التقاقي وال بشري .

فعلى المستوى الأول كانت نفزاوة بلا شك تصدر التمور إلى المناطق التي لا تتنجها، وذلك خاصة في فترات المجاعات، وقد احتفظت كتب الطبقات الإباضية بإشارات إلى هذه المسألة، من ذلك أنه في إحدى سنوات القحط من النصف الأول من القرن الخامس هـ، توجه أحد الشيوخ الإباضية من جربة إلى نفزاوة ليتمار تمراً. وتمت العملية مقايضة، غير أن الدرجيني لم يذكر نوعية البضاعة التي جلبها من جربة (٣٣)، ويبعدو أن قيمتها كانت دون قيمة كمية التمر مما يدل على كثرة العرض.

(٣١) المصدر نفسه، ص 330.

(٣٢) الدرجيني، طبقات المشائخ، نفس المصدر، ج 1، ص 502-503.

(٣٣) المصدر نفسه، ص 160.

كما كانت نفزاوة تصدر المصنوعات الصوفية⁽³⁴⁾، ومقابل ذلك كانت تستورد الحبوب من المناطق الشمالية. غير أنه من المؤكد أن الحركة التجارية خاصة في فترات الإزدهار كانت أنشط مما توصلنا إلى رسمه اعتمادا على المصادر المتوفرة، وإضافة إلى الدور التجاري كانت الطرق الموصلة إلى نفزاوة تقوم بربط المنطقة تقافياً ومذهبياً بمناطق أخرى، وخاصة في عهد الإياصية، ومن تلك المناطق : الجريد شمالاً، وصحراء المغرب الأوسط غرباً، وجربة وجهات طرابلس شرقاً. وبعدما كانت درجين مركزاً إياصياً هاماً يستقطب الطلبة والنازحين من الجهات أخرى، تراجع دوره لصالح مراكز أخرى مثل ورجلان التي أصبح بعض أهل نفزاوة يتوجهون إليها للدراسة أو الاستقرار.

لقد عرفت الحياة الاقتصادية بنفزاوة ازدهاراً توافق إلى القرن الخامس هـ، ثم تراجعت نتيجة كثرة الإضطرابات ونتج عن ذلك تقلص عمراني هام، إذ وقع تخريب أهم المدن : درجين سنة 437هـ، وطرة سنة 601هـ. وأصبحت التجمعات السكنية مجرد قرى تفتقد إلى مقومات المدينة، إذ كانت طرة في بداية القرن 8هـ/14م "بلداً بلا اسم وقرية بلا معنى"⁽³⁵⁾، حسب تعبير التجاني، رغم كونها إحدى قاعدي بلاد نفزاوة، أما القاعدة الأخرى، بشري فلم تكن إلا مجرد قرية أكبر من غيرها. وفي القرن 10هـ/16م، كانت هذه القرى تضم عدداً كبيراً من السكان الفقراء⁽³⁶⁾ وتظهر عليها علامات البوس.

⁽³⁴⁾ القلقشندى، صبح الأعشى، نفس المصدر، ص 108.

⁽³⁵⁾ التجاني، الرحلة، نفس المصدر، ص 142.

L'Africain, Description..., op. cit, p. 445. ⁽³⁶⁾

نفزاوة في العصر الحديث

1- من الاستقرار إلى الإضطراب :

أصبحت البلاد التونسية منذ الثالث الأول من القرن 10هـ / 16م محل نزاع بين الإسبان والعثمانيين، وانحسر نتيجة ذلك النفوذ الحفصي عن الوسط والجنوب، فانحلت بنفزاوة رموز السلطة السياسية لتعوضها سلطتان :

- الأولى : سلطة الزوايا والطرقية، ولم تكن المنطقة في ذلك مختلفة عن بقية مناطق البلاد.

الثانية : سلطة القبائل التي كانت تفرض على السكان دفع الضرائب مقابل حمايتهم. ولم يتراجع نفوذ هاتين السلطتين في العقود الموالية رغم إلحاق المنطقة بالدولة العثمانية وتركيز حامية من الجيش الإنكشاري بها.

لقد وقع ضم نفزاوة حوالي منتصف القرن السادس عشر ميلادي إلى إيدى طرابلس، إذ بعد أن استقر الرئيس درغوث بهذه الإيالة الجديدة استطاع أن يتجه شمالاً ليستولي على مناطق الجنوب التونسي حتى وصل قصبة ثم القيروان سنة 1557^(١). وفي هذا الإطار جاء إلى نفزاوة في هذه الفترة عدد من قبيلة المحاميد الطرابلسية على رأسهم عبد الله بن بو زيد محمودي الذي كلف بجمع الضريبة باسم الباشا. ولعل قدوم أولئك المحاميد في القرن 10هـ / 16م يعود إلى وجود علاقات بشرية ودموية لهم مع عناصر أخرى سبقتهم إلى المنطقة ببضعة عقود أو قرون.

^(١) الشريف، تاريخ تونس، نفس المرجع، ص 66.

ورغم الفتح العثماني لتونس سنة 1574م فلن نفزواوة بقية لطرابلس شأنها في ذلك شأن بقية المناطق الجنوبية الأخرى. غير أن بعدها عن طرابلس جعل حضور السلطة فيها ضعيفاً، وقد استغل هذه الوضعية أواخر الخصمان لمقاومة الوجود العثماني. إذ اتخذها مولاي أحمد منذ سنة 1581م منططاً للسيطرة على وسط البلاد. وعندما حاصر العثمانيون في ألف وخمسين من رجالهم بلدة طرة في مارس 1582، تمكن مولاي أحمد من إلهاق الهزيمة بهم والقضاء على ثلثي جيشهم، وتواصل بعد ذلك تهديد مولاي أحمد إلى سنة 1592م⁽²⁾. وفي هذه الأثناء، اتجهت نية استانبول إلى تعزيز نفوذ حاكم تونس من خلال توسيع مجاله الترابي، فكانت استجابتها لطلب حيدر باشا ضم مدن القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس. ثم تقدم بعد ذلك إلى قصبة والجريدة. غير أن النفوذ الطرابلسي استمر إلى سنة 1588، وهي السنة التي تم فيها ضم مدينة صفاقس رسمياً إلى تونس، وكان ذلك منطقاً لحكم تونس ليتوغلوا أكثر جنوباً لضم مناطق جديدة إلى نفوذهم، وهو ما تم فعلياً في عهد عثمان داي⁽³⁾، وفي هذا العهد أحقت نفزاوة إلى إيلاله تونس، بعد اضطراب تواصل لمدة سنتين. فما هو سبب هذا الإضطراب؟

لقد قتل السكان أحد أبناء عبد الله بن بوزيد المحمودي والي المنطقة، ولما عجز عن القصاص من القاتلة استجد بباشا طرابلس الذي يعود إليه بالنظر. لكن حداثة هذه الإيلالة من جهة، وبعد عاصمتها عن المنطقة من جهة أخرى، حال دون الاستجابة لطلب الوالي، فأعلن الانفصال عن سلطة طرابلس وأعانه في ذلك سكان بشري وقبائل أولاد سعيد وبباشا تونس، ولم يستطع بباشا طرابلس أن يسيطر على الوضع بنفزاوة فألحقت بإيلاله تونس⁽⁴⁾.

Bachrouch (T.), *Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au 17e.s.*, Pub. de l'Université de Tunis 1977, pp. 131-132.

Ibid, pp. 163-164. ⁽³⁾

Moreau, *Le pays* : لجنة البحوث التربوية بقلي، تاريخ نفزاوة، نفس المصدر، ص10؛ وكذلك *des Nefzaouas*, op. cit., p. 93.

وفي نفس هذا الإطار، سافر عثمان داي بنفسه بالمحلة إلى بلاد الجريد ودعم الحدود الجنوبية لمنطقة نفوذه بخط من المراكز العسكرية يمر بكل من قابس والحامة والمنصورة بنفزاوة وتوزر⁽⁵⁾.

إن في اختيار المنصورة لإقامة البرج العسكري أهمية بالغة إذ :

- أنها تحتل موقعاً استراتيجياً يمكنها من الإشراف على المسالك الهمامة بنفزاوة، ولا تبعد أقصى المراكز السكنية عنها إلا ب حوالي 30 كم.
- أنها وريثة طرة التي كانت قاعدة للمنطقة طوال عدة قرون، وبقيت كذلك إلى أواخر العهد الحفصي.
- أن البرج كان يشرف على واد الغريق أكبر مصدر للمياه بنفزاوة، وهو بذلك يمكن من السيطرة على أكثر الواحات امتداداً.

لقد احتل برج المنصورة مرتفعاً من الأرض، وكان بناؤه يتشكل من طابق أرضي فقط وكان به مدفعان، وقد استقرت به حامية من الجيش الإنكشاري (عسكر زواوة) كانت تعد سنة 1829 خمسة وعشرين جدياً⁽⁶⁾ يلتحق بهم قبل بضعة أشهر من مجيء المحلة إلى الجريد قائداً غير مقيم بالمنطقة، ويرجع مع المحلة إلى مقر إقامته بالجريدة أو قصبة أو القiron أو تونس العاصمة⁽⁷⁾.

وتنتمي مهمة تلك الحامية أساساً في جمع الضرائب التي ترمز إلى الولاء للدولة، والإشراف على توزيع المياه على ملاكيها، والمهام على أمن المنطقة. ويبدو أن هذه الحامية نجحت في مهامها تلك إذ كان القرن 11-17 هـ هادئاً بنفزاوة رغم الانفصالات التي وقعت بالمناطق المجاورة لها ومن بينها⁽⁸⁾ :

- الحامة التي ثارت ضد السلطة لمدة سبع سنوات، وقد وقع قمعها بشدة سنة 1044-1634 هـ.

Ibid. p. 94. ⁽⁵⁾

Monchicourt, **Relations...**, op. cit; pp. 256-257. ⁽⁶⁾

Duveyrier, **Journal de route**, Paris, Challanel, 1905; cité par Moreau, **Le pays...**, op. cit., ⁽⁷⁾ p100.

⁽⁸⁾ ابن أبي دينار، المؤسس، نفس المصدر، ص 232، 234، 267.

-جبل مطماطة الذي قمع هو الآخر وأخضع سكانه لدفع الضربي
سنة 1047هـ/1638م.

-توزر التي أخضعها علي باي سنة 1090هـ/1679م.

بينما لم تعرف نفزاوة طوال هذا القرن ما يشبه تلك الانتفاضات، وهو ما سمح بنمو ديمغرافي هام بالمنطقة، وقد قدر أحد الأوروبيين عدد سكانها لسنة 1615 بحوالي عشرين ألفاً، بينما لم يكن بالكاف في نفس الفترة غير ربع هذا العدد تقريباً⁽⁹⁾. كما نشطت الحركة الاقتصادية بالمنطقة إذ من المؤكد أنها استفادت من قطع نخيل الحامة وعودة المبادرات إلى نشاطها داخل البلاد⁽¹⁰⁾، إضافة إلى ما عرف به أهلها من كد وجد في مزارعهم وهذا ما يذكره العيشي في رحلته (النصف الثاني من ق 17) إذ يقول : "ثم رحلنا بعد ذلك إلى قرية من قرى نفزاوة (...)، ومررنا بأرض طيبة ذات مزارع وعشب كثير، ووجدنا غالب أهل نفزاوة يحرثون بها على البقر (...)" وقد وجدنا في تلك المزارع قوماً يحرثون ببقرة، فتعجبنا من ذلك ثم رأينا فلاحاً آخر يحرث ببقر فأنساناً الأول. وما قضينا العجب منه حتى رأينا إنساناً يحرث بائسان آخر⁽¹¹⁾.

وقد أدى تطور القطاع الفلاحي إلى نشاط الحركة التجارية، إذ كان الهمامة والفراشيش يجذبون إلى المنطقة محملين بالحبوب لاستبدالها بالتمور، كما كان الطوارق يجلبون العبيد إلى طرة ويحملون معهم حاجياتهم من التمور والأنسجة الصوفية وغيرها. وكان الخريف فصلاً متميزاً بالمنطقة إذ كان البدو الرحيل ينزلون قرب الواحات ويساهمون في عمليات الجني ويستبدلون ماشيتهم وأصولفهم بالتمور⁽¹²⁾.

⁽⁹⁾ يقدر روبرتو اليات Roberto Ellyatt عدد منازل نفزاوة بأربعة آلاف، وعلى أساس خمسة أفراد بكل منزل يقدر عدد سكان المنطقة بعشرين ألف نسمة؛ انظر : Pignon (Jean), *Un document inédit sur la Tunisie au XVIIe s.*, Pub. de l'Université de Tunis, 1963, pp. 18-19.

⁽¹⁰⁾ الشريف، تاريخ تونس، نفس المرجع، ص 75.

⁽¹¹⁾ نقل عن : لجنة البحوث التربوية بقلي، تاريخ نفزاوة، نفس المرجع، ص 10-11.

⁽¹²⁾ Moreau, *Le pays...*, op. cit., p. 94.

ويبدو أن هذه الوضعية لم تغير كثيرا حتى الرابع الأول من القرن 12هـ/18م، لتدور بجدية مع اندلاع الفتنة الحسينية الباشية، إذ دخلت البلاد فترة طويلة من الإضطراب والفوضى استمر من سنة 1728 إلى سنة 1756 وانقسمت بين شقين :

- حسيني نسبة إلى حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية.
- باشي نسبة إلى علي باشا ابن أخي حسين بن علي والذي كان مرشحاً ليخلف عمه، وعندما حرم من ذلك أعلن الخروج عليه، فكانت هذه الفتنة.

وإنعكس ذلك الانقسام على نفزاوة فانقسمت قراها وقبائلها بين الشقين فسمى الحسينية بصف يوسف نسبة إلى قائد قبيلة الهمامة التي آزرت حسين بن علي، وسمى الباشية بصف شداد نسبة إلى قائد قبيلة المثالث التي ناصرت علي باشا⁽¹³⁾.

وقد صنف شداد القرى التالية : بوعبد الله والقليعة والمنشية وجزيرة الوحيشي واستقطبيمي وليماقس وطبار وتنبيب والرابطة والمنصورة وإنس وقبلي وبازمة والبرغوثية والرحمات والبلدات والجرسين والطوبية إضافة إلى العروش التالية : قعود والصابرية وأولاد سباع والمكاشرة. كما صنف شداد أغلب سكان بلدة زاوية العايس وثلث بلدة بشري.

ومقابل ذلك صنف يوسف القرى والعروش التالية : الدبابشة وفطناسة وجزءاً من زاوية العايس وثلث بشري وزاوية الحرش وأم الصمعة ونقة وتلمسين والجديدة والكعيبي والقطعاية وبني احمد وبشلي وكلوامن والمساعدية وجمنة والقلعة ونويل ، وأهم عروش المرازق وأولاد يعقوب والعذاري والصلاعة.

وانطلاقاً من ذلك التقسيم يمكن إيداء الملاحظات التالية:

- إن هذين الصفين اقتسموا المنطقة بالتساوي تقريباً، وإن كان هناك شيء من الغلبة لصالح صنف يوسف.
- إن الانتماء إلى هذا الصنف أو ذاك لم يكن يخضع إلى توزيع جغرافي معين، إلا أن أغلب قرى وسط نفزاوة كانت من شداد، بينما أغلب صنف يوسف على شمال المنطقة وجنوبها.

⁽¹³⁾ المرزوقي (محمد)، قلبي جنة الديبا، القاهرة 1962، ص 217.

- كثيراً ما نجد قريتين متجاورتين أو متلاصقتين لا تنتهيان إلى صف واحد من ذلك الثنائيات التالية : الجديدة والمنصورة، قبلي والكعبي، ابنس والقطعاوية، زاوية الحرش وزاوية العانس، تلمسن وتتبيب. ولعل ذلك يؤشر على صراعات أقدم بين تلك القرى حول مصادر المياه والمراعي والأراضي، وهذه الصراعات تشكل الأسباب العميقية التي غذت الفتنة الباشية الحسينية.

وعندما عاد الحسينيون إلى السلطة سنة 1170هـ/1756م، رفضت بلدة قبلي الخضوع لهم فتعرضت إلى قمع شديد من قبل المحلة، ويبدو أن تلك المواجهة قد قادهاشيخ قبلي آنذاك بنور بن عبد الصمد، وهذا ما يظهر من خلال وثيقة محلية ورد فيها أنه "بقي في الولاية ... إلى سنة سبعين وخرج عن طاعة الأمير وأتته محلة من تونس وافتلا ومات خلق كثير" (١٤). وتصيف هذه الوثيقة معلومات أخرى عن مصير هذا الشیخ بعد تلك المواجهة الخاسرة إذ "انقل إلى الغرب ومكث في تقرت ومات بها" (١٥). وفي هذا المستوى تلتقي هذه الوثيقة مع ما أورده الورثيلاني في رحلته إلى الحج سنة 1179هـ/1766م إذ يذكر "وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله ولرسوله الشیخ ابن روب وهو شیخ من شیوخ نفزاوة خارجا عن ولاية صاحب تونس بأن استقر في وادي ریغ -والله أعلم- في ثلاثين من الخيول وعشرين رجالاً ومعهم السلاح القوي" (١٦). وإذا كان المدى الزمني بين محيء المحلة إلى قبلي ورحلة الورثيلاني لا تتجاوز العشر سنوات، فإننا نعتقد أن ابن الروب هذا هو نفسه بنور بن عبد الصمد، ليس فقط لتشابه الأسماء أو في الثورة على البای، وإنما خاصة لأن هذا العدد الهام من الرجال والفرسان الذين معه، لا يمكن جمعهم آنذاك إلا من بلدة هامة كبلدة قبلي، وربما يوجد من بينهم من كان ينتمي إلى صف شداد المعادي للسلطة المركزية في تونس.

(١٤) سلمنا هذه الوثيقة مشكوراً سيدى مصطفى الصغيرون، وقد نشرناها في كتابنا : المجتمعات المائية بتونس : قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر، المطبعة المغاربية للنشر، تونس 2005، ص 29-28.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) الورثيلاني، نزهة الأنظار، نفس المصدر، ص 120.

و على أية حال فقد توالت الصراعات بين صفي يوسف وشداد إلى سنة 1200هـ/1786م، إذ اتفق الطرفان خلال هذه السنة على الهدنة لكنها لم تدم طويلاً⁽¹⁷⁾ واندلعت الصراعات من جديد. ومما زاد الوضعية سوءاً أن السلطة المركزية كرست تلك الانشقاقات وحاولت أن تستغلها لبسط نفوذها على المنطقة، فقسمتها سنة 1212هـ/1798م إلى وحدتين إداريتين إداهاما باشية والأخرى حسينية، وعيت على رأس كل واحدة منها خليفة. وكانت تلمين مقراً لخليفة صف يوسف، بينما كانت قبلى التي لا تبعد عنها بأكثرب من ستة كيلومترات مقراً لخليفة صف شداد. وكلاهما كان ممثلاً لقائد الذي يأتي إلى المنطقة سنوياً لجمع الضرائب⁽¹⁸⁾.

ولذلك تدهورت الوضعية الأمنية بالمنطقة مما جعلها مهددة من قبل الطوارق، ولعله إلى هذه الفترة تعود نشأة تلك العبارات التي تستعملها الأمهات لتخويف أبنائهن من مثل : "جاك التارقي" ، "ارجع لي بذلك التارقي" . ولعله إلى هذه الفترة أيضاً تعود كلمات الأغنية التي احتفظت بها الذاكرة الشعبية والتي تقول كلماتها :

أنا التارقي وك التارقية

قطاع طريق والصحراء لي

أنا التارقي وجي من غزال

اسمي مشهور في كل عمالة

بالآخر جر نقطع قلوب الرجال

ولا ثم م واحد يتما قد بي

وإضافة إلى ذلك، زادت أهمية دور بعض القبائل التي كانت تفرض على المجموعات المستضعفة ضرائب مقليل حمايتها، من ذلك مثلاً أن أولاد ميرة كانوا يأخذون سنوياً حوالي عشرين كغ من الشعير ولتراً من الزيت على كل عائلة من قرية

⁽¹⁷⁾ Moreau, *Le pays...*, op. cit., p. 97.

⁽¹⁸⁾ كانت نفزاً لوة تابعة إدارياً لعمالة الجريد التي يشرف عليها عامل يدعى القايد ويحمل في نفس الوقت رتبة أغأ، وينوبه بنفزاً لورة الخليفتان.

البليدات، ويأخذ الحروب -وهم من أولاد يعقوب أيضا- سنوا عشرين كع من التمر على كل عائلة من قرية الجرسين وحولي إذا تزوجت فتاة من خارج القرية⁽¹⁹⁾.

لقد انعكس الصراع بين يوسف وشداد وهجمات الطوارق على حياة الاسنقار بالمنطقة فتراجع السكان إلى قراهم التي سوروها وأحاطوها بخندق لحمايتها من تلك الاعتداءات. وقد لاحظ هذه الحالة كل من الكومت فيليبي سنة 1829⁽²⁰⁾ وغيره سنة 1860⁽²¹⁾، ومن بين تلك القرى المسورة بازمة قبلي والمنصورة وتلمين والمنشية، وبينما كان السكان يقومون بهذا الدفاع الذاتي، اقتصر دور الدولة على جمع الضراائب وحتى عندما تدخلت في سبعينيات القرن 13هـ/ خمسينيات القرن 19م خدم تدخلها شقا ضد آخر. فكيف تم ذلك؟

2- خراب قبلي : الأسباب والإعكاس :

كانت نفراوة منذ بداية القرن التاسع عشر تبدو منهكة القوى بسبب الصراعات المختلفة التي كانت تشقة مما جعلها في حاجة إلى دماء جديدة ورشحها إلى أن تكون منطقة استقطاب لعناصر بشرية أخرى، إلا أن مجيء البعض كان عنيفاً وخطافياً (الطوارق والشنبانية مثلاً) وكان مجيء البعض الآخر برغبة من أهلها، وهذه حالة المهاجرين الطرابلسيين.

ومن جهة أخرى كانت المنطقة تبدو قد فقدت تأثير المثل القديمة عليها، وفي حالة بحث عن مثل جديدة أو مهدي منظر. وفي هذا الإطار، كان مجيء الشائر غومة المحمودي⁽²²⁾ وألاف المهاجرين معه. فكيف تفاعلت مختلف الأطراف مع مجئه؟

في جمادى الثانية 1272هـ / 9 جانفي-7 فيفري 1856م، دخل الجنوب التونسي ألف المهاجرين الطرابلسيين بمعية غومة المحمودي وانتشروا بمناطق شاسعة تمت

Ibid, p. 104. ⁽¹⁹⁾

Monchicourt, *Relations...*, op. cit; pp. 257. ⁽²⁰⁾

Guérin, *Voyage...*, op. cit., pp. 241-245. ⁽²¹⁾

(22) عن غومة محمودي ، انظر : المصري (علي مصطفى)، غومة فارس الصحراء، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب 1960، 285 ص؛ وكذلك : الطوير، (محمد محمد)، ثورة الشيخ غومة محمودي على العثمانيين، ليبيا 1835-1858، منشورات دار الفرجاني، طرابلس، ط 2، 1995، 688 ص.

على جبال مطماطة والحامة ومنطقة نفزاوة وهضبة الظاهر⁽²³⁾. لكن تلك الهجرة أثارت رد فعل عدائياً من قبل الباي والسلطات الرسمية خوفاً من تناقض نفوذها بالجهة، وكذا من قبل القبائل المتضررة مثل ورغمة بالجفارة وأولاد يعقوب والمرازيق بنفزاوة، إذ خشيت هذه القبائل من التضييق عليها في المرعى بمنطقة الظاهر.

وما لبث أن انضم إلى تلك القبائل، بتحريض من السلطات المركزية، قبائل أخرى مثل الهمامة، وهي جميعها تلتقي في انتمامها لصف يوسف. ولما اشتدت الهجمات على أنصار غومة وقبيلةبني يزيد التي استضافته اتجه نظره للبحث عن منطقة أكثر أمناً له ولأتباعه، فكان اختياره على نفزاوة وذلك لبعدها النسبي عن تهديدات قبائل ورغمة والهمامة والسلطة نفسها، ثم لصلة القربي التي تجمع بين قبائل المحاميد الطرابلسيّة وأولاد بلوم، سكان قبلي.

فانتقل بحمادي بن بلقاسم خليفة صف شداد، فرحب به ورتب له ولأتباعه الإقامة في القرى التالية : المنشية والقليبة وبوبعد الله والمنصورة والرابطة، أما مقر غومة فقد عين بقلي⁽²⁴⁾. وتشترك تلك القرى في انتمامها لصف شداد ثم إن الثلاثة الأولى منها بعيدة عن الطريق الشرقي، بما يجعلها أكثر أمناً من غيرها من قرى نفزاوة خاصة وأنها حصينة طبيعياً بجبل حلوص، أما المنصورة والرابطة، فتسهل نجاتها لقربها من قبلي حيث مركز الخليفة.

وانتقل غومة بمن معه غرباً إلى منطقة نفزاوة. لكن بعد محاولات للتوسط لإقامتها بتونس وجه محمد باي له إنذاراً يدعوه للرحيل عن البلاد، أو أنه سيطرد بالقوة، وذلك في ذي الحجة 1273هـ / 23 جويلية - 21 أوت 1857م⁽²⁵⁾، ويأتي هذا الإنذار نتيجة :

⁽²³⁾ ببنغويث (الشيباني)، "كافح الشيخ غومة بن خليفة محمودي في جنوب تونس"، في، المجلة التاريخية المغاربية، السنة 19، ع 67-68، أوت 1992، ص 294-295.

⁽²⁴⁾ المرجع نفسه، ص 295.

⁽²⁵⁾ المرجع نفسه، ص 302.

- فشل وساطة الباي لدى الباب العالي للعفو عن غومة، إذ أحبب بأنه من المفسدين في الأرض⁽²⁶⁾.

- الشعور بالخطر من أن تتحول مناصرة نفزاوة لغومه إلى عداء لحكومة الباي، خاصة وأن الرجل قد اتهم بأنه "لم يزل يفسد في العربان ويستميل ضعفاء العقول بالتفير من أداء الإعانة بأنها جزية مضروبة على العرب المسلمين"⁽²⁷⁾.

ومنذ شهر محرم 1273هـ / سبتمبر 1856م، أمر الباي بتجهيز محلة "الشريد" غومه في الصحراء⁽²⁸⁾. وقد تكونت هذه المحلة من الخيالة والمدفعية ودعا الباي القبائل الموالية للسلطنة إلى الانضمام إلى تلك المحلة فالتحقت بها فعلاً قبائل جلاص والهمامة ونفات، وأسندت قيادتها إلى محمد خزندار عامل سوسة والأعراض ويساعده أمير النساء أبو محمد رشيد الذي كان يتبع مسألة غومه منذ البداية باعتبار مركزه كakahية للأعراض.

وعندما وصلت المحلة إلى نفزاوة وجدت مساعدة من القرى والقبائل التي تنتمي لصف يوسف، فبدأ هذا التدخل وكأنه لصالح شق ضد الآخر. ووقعت المواجهة يومي 14 و 15 سبتمبر 1857م، وقد اعترفت التقارير الرسمية في حد ذاتها بصمود البلدة وما أدخلته هذه المعركة من اضطراب حقيقى في صفوف القوات المهاجمة التي سقط من بين أفرادها عدد من القتلى والجرحى⁽²⁹⁾. وهو ما اضطرها إلى فك الحصار والعودة إلى قابس في انتظار جولة ثانية.

وفي فترة الهدنة انسحب غومه نحو بلدة الجرسين البعيدة عن مناورات الجيش الحكومي ولتكون أقرب إلى الحدود الجزائرية. وقد نزل خارج البلدة وواحتها بموضع مرتفع مما يدل على أنه كان يتوقع تعقبه. ولم يلبث أن هوجم فعلاً من قبل صاف يوسف من قبائل المرازيق وأولاد يعقوب وذلك يوم 14 صفر 1274هـ / 3 أكتوبر

٢٦٥٨٩١

⁽²⁶⁾ ابن أبي الضياف، الإتحاف، تونس 1963، ج 4، ص 215.

⁽²⁷⁾ المصدر نفسه.

⁽²⁸⁾ المصدر نفسه.

⁽²⁹⁾ ضيف الله، المجتمعات المائية، نفس المرجع، ص 58.

عام 1857م⁽³⁰⁾. وتمكن ذلك القبائل من مbagحته في البداية لكن المعركة انتهت بهزيمتها وسقط عدد كبير من الجانبين بين قتلى وجرحى، وفي هذه الموقعة قال أحد أنصار غرفة مفاحرا :

نهار خطرة الزرسين ماكـ م رـ تو

ثـير المـكـاـحـلـ فـي الرـتـمـ خـليـتوـ (31).

أما بقلي، فإن عناصر المقاومة قد تراجعت، نتيجة التعبئة المضادة. وفي أواسط نوفمبر 1857م، عادت المحلة ومعها الأوامر باستعمال أقصى أنواع العنف ضد السكان وتدمير البلدة وبيع واحتياها. غير أن المعركة التي كانت تتوقعها المحلة لمحو نتائج الهزيمة السابقة تحولت إلى مجرد استعراض عسكري في قرية مذعورة وشبهة خالية⁽³²⁾. وانتهى الأمر باللحاق ما يشبه اللعنة بها إذ "هدمت بلادهم وهتك حرمـة نسائهم من أمير الجيش وأتباعه ونهـيـ الـبـاقـينـ عن إـعادـةـ بـنـائـهـ" (33)، كما وقع أسر عشر نساء والقبض على مائة وخمسين رجلاً من بينهم الخليفة ونجله، وزيادة على ذلك عرضت واحدة قبلي للبيع. وقد اشتراها بتاريخ 29 ربـيعـ الـأـوـلـ 1274هـ / 17 نوفمبر 1857م خليفة تلمين محمد الحبيب بن حسين بن أحمد السوداني بمائة وخمسة وعشرين ألف ريال، غير أنه اكتفى فيما بعد بالربع منها، واشترى أهل جمنة النصف وأهل القرفة الرابع المتبقى، وبالتالي ألت ملكية واحدة قبلي بأكملها إلى صف يوسف المعادي لصف شداد زيادة في التتكيل بأهل قبلي⁽³⁴⁾.

(30) استدأـ إلى تقرير من أمـيرـ المـحلـةـ بـتـارـيخـ 15ـ صـفـرـ 1274ـ هـ / 4ـ أـكتـوبرـ 1857ـ مـ (انظرـ الـهـامـشـ 54ـ منـ مـقـالـ دـ.ـ بـنـلـعـيـ،ـ نـفـسـ الـمـرـجـعـ،ـ صـ 305ـ).ـ وـاـرـوـاـيـةـ الشـفـوـرـيـةـ التـيـ تـؤـكـدـ أـنـ مـعرـكـةـ الـجـرـسـينـ تـمـتـ يـوـمـ سـبـتـ إـذـ أـنـ صـفـ يـوـسـفـ كـانـ يـعـلـمـ أـنـ غـوـمـةـ لـاـ يـقـاتـلـ هـذـاـ يـوـمـ فـأـرـادـ الإـجـهـازـ عـلـيـهـ،ـ وـجـدـنـاـ أـنـ أـقـرـبـ يـوـمـ سـبـتـ مـنـ تـارـيخـ التـقـرـيرـ المـذـكـورـ هـوـ يـوـمـ 3ـ أـكتـوبرـ 1857ـ.

(31) المعنى : لقد شاهدتم يوم معركة الجرسين كيف انكم تركتم الكثير من البنادق تحت شجيرات الرتم. وفي ذلك إشارة إلى كثرة القتلى من بين المعتدين.

(32) ضيف الله، المجتمعات العثمانية، نفس المرجع، ص 59.

(33) ابن أبي الضياف، الإتحاف، نفس المصدر، ج 4، ص 218.

(34) ضيف الله، المجتمعات المائية، نفس المرجع، ص 62-63.

وأدلت تلك الأفعال إلى مزيد زرع النقمـة وتغذية منطق الثأر بين نزاعتي يوسف وشداد، وفي الحقيقة إن ما أصاب قبلي قد أثار عطف بعض دوائر السلطة نفسها من ذلك أن الوزير مصطفى خزندار طلب منذ رمضان 1274هـ/أبريل 1858م من أمير محلـة الجـريـد الصـادـق باـي الرـفـق بـأهـل نـفـزاـوة بـأن يـدفعـوا الضـرـائب الـجـديـدة فـقطـ وما أـمـكـنـ من الضـرـائب الـقـديـمة⁽³⁷⁾. وفي سـنة 1860 أـذـنـ الـباـي لـأـهـل قـبـلي بـالـسـتـعـادـةـ وـاحـتـهـمـ عـلـىـ أـنـ يـدفعـواـ ثـمـنـهـاـ،ـ وـقدـ سـاعـدـتـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ قـبـائـلـ الصـابـرـيـةـ وـغـرـبـ،ـ فـسـدـدـواـ الـثـمـنـ لـكـلـ مـنـ الـقلـعـةـ وـجـمـنـةـ بـيـنـماـ أـمـهـلـهـمـ خـلـيـفـةـ تـلـمـينـ إـلـىـ سـنةـ 1867ـ⁽³⁸⁾.

ولتجاوز مخلفات تلك الأحداث وقعت بعد بضع سنوات إعادة التنظيم الإداري لنـفـزاـوةـ عـلـىـ أـسـسـ جـديـدةـ،ـ إذـ وـقـعـ التـخـلـيـ عنـ التـنـظـيمـ الـذـيـ يـعـتمـدـ عـلـىـ نـزـاعـتـيـ يـوسـفـ وـشـدـادـ وـوـقـعـ تـوـحـيدـهـاـ سـنةـ 1290ـهـ/ـ1873ـمـ.ـ وـجـلـتـ تـحـتـ نـظـرـ خـلـيـفـةـ قـبـليـ أـحـمـدـ بنـ بـلـقـاسـ بـنـ حـمـاديـ الـذـيـ أـصـبـحـ يـحـمـلـ لـقـبـ كـاهـيـةـ بـداـيـةـ مـنـ مـحـرـمـ 1293ـهـ/ـفـيـفـريـ 1876ـمـ⁽³⁹⁾.ـ وـفـيـ سـنةـ 1879ـ وـقـعـتـ العـودـةـ إـلـىـ التـقـسـيمـ الإـدـارـيـ الـقـدـيـمـ بـيـنـ الـنـزـاعـتـيـنـ،ـ فـحـصـرـ نـفـزاـوةـ الـكـاهـيـةـ فـيـ صـفـ شـدـادـ وـعـيـنـ عـلـىـ يـوـ عـلـاقـ عـلـىـ صـفـ يـوسـفـ⁽⁴⁰⁾.ـ فـمـاـ هـيـ الدـوـافـعـ الـتـيـ أـدـلـتـ إـلـىـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـوـضـعـ السـابـقـ؟ـ

تشير أولاً إلى أن توحيد نـفـزاـوةـ تمـ فيـ عـهـدـ خـيرـ الـدـيـنـ،ـ وـالـعـودـةـ عـنـهـ كـانـتـ بـعـدـ تـحـيـيـتـهـ منـ الـوـزـارـةـ الـكـبـرـىـ.ـ إـلاـ أـنـ السـبـبـ الـأـهـمـ يـتـمـثـلـ فـيـ أـنـ الـصـرـاعـ بـيـنـ الـنـزـاعـتـيـنـ يـوسـفـ وـشـدـادـ،ـ قـدـ اـسـتـمـرـ رـغـمـ التـوـحـيدـ الإـدـارـيـ،ـ وـقـدـ اـتـخـذـ أـشـكـالـاـ جـديـدةـ.ـ ذـلـكـ أـنـ الـكـاهـيـةـ اـسـتـغـلـ مـنـصـبـهـ الـجـديـدـ لـيـتـقـمـ مـنـ صـفـ يـوسـفـ،ـ مـقـابـلـ إـصـرـارـ هـؤـلـاءـ عـلـىـ إـظـهـارـ عـجزـهـ فـيـ تـسـيـرـ الـمـنـطـقـةـ.ـ وـلـمـ تـسـتـطـعـ السـلـطـةـ الـمـرـكـزـيـةـ أـنـ تـتـبـيـنـ حـقـيقـةـ هـذـهـ الـرـهـانـاتـ.ـ فـكـانـ أـنـ دـخـلـتـ عـلـىـ الـخـطـ لـإـجـازـ بـلـدـةـ جـمـنـةـ عـلـىـ دـفـعـ الـضـرـائبـ،ـ وـكـانـ الـجـمـنـيـونـ قـدـ اـمـتـعـواـ عـلـىـ الـخـضـوـعـ لـلـإـحـصـاءـ بـدـعـوىـ أـنـهـمـ مـعـفـونـ مـنـ الـضـرـيبةـ باـعـتـبارـهـ "ـفـقـراءـ"ـ وـ"ـأـهـلـ زـاوـيـةـ".ـ وـتـوـاصـلـ الشـدـ وـالـجـنـبـ بـيـنـهـمـ مـنـ جـهـةـ وـالـسـلـطـةـ الـمـرـكـزـيـةـ مـنـ جـهـةـ

⁽³⁷⁾ بـيـلـعـيـثـ،ـ كـفـاحـ الشـيـخـ غـومـةـ...ـ،ـ نـفـسـ الـمـرـجـعـ،ـ صـ 309ـ.

⁽³⁸⁾ Moreau, *Le pays..., op. cit., p. 100..*

⁽³⁹⁾ حولـ أـحـمـدـ بـنـ بـلـقـاسـ رـاجـعـ بـحـثـاـ :ـ "ـمـخـزـنـةـ الـأـعـيـانـ الـمـلـيـينـ:ـ قـرـاءـةـ فـيـ سـيـرـةـ الـكـاهـيـةـ أـحـمـدـ بـنـ بـلـقـاسـ،ـ روـاـفـ،ـ عـ 11ـ،ـ 2006ـ،ـ صـ 115ـ131ـ.

⁽⁴⁰⁾ حـسـنـ،ـ الـأـوـضـاعـ الـعـامـةـ بـنـفـزاـوةـ...ـ،ـ نـفـسـ الـمـرـجـعـ،ـ صـ 133ـ134ـ.

أخرى وكان الواسطة في ذلك الكاهية أحمد بن بلقاسم، وانتهى الأمر في أبريل 1879 بقدوم محلة من عسكر قصبة والجريدة، بقيادة محمد المرابط، وتوجهت نحو البلدة التي حاولت الدفاع عن نفسها بكل بسالة. غير أن المعركة انتهت في الأخير باستسلامها بعد أن قتل من الجنود 39، مقابل 21 من القوات الحكومية. كما أسرت عن عشرات الجرحى من بينهم 39 من القوات المهاجمة، وهو ما يدل على الصمود الذي أبدته بلدة جمنة التي تضررت أيضاً باعتقال 59 من أبنائها⁽⁴¹⁾. ورغم ذلك الخراب، لم يتورع أحدهم في مخاطبة جمنة قائلاً:

يا جمنة راهو السلف يولي

ريتيش ماعملت نهار قبلي

وهذا البيت يعكس مشاعر الثأر والنقمـة التي زرعت منذ أكثر من عشرين سنة والتي بقيت تغذـي سلوك الناس وتصـرفاتهم، وقد أدى في المدى القـريب إلى العودة إلى التقسيـم الإدارـي القديـم بين وطن يوسف ووطن شـداد، ولكـنه كان أحد العـوامل التـي سهلـت دخـول الاستـعمـار الفـرنـسي إـلى المـنـطـقـة سنـة 1882.

⁽⁴¹⁾ ضيف الله، المجتمعـات المـالـية، نفس المـرجع، ص 82-83.

الفصل التاسع

بعض الجوانب السياسية بنفزاوة

(1956-1881)

قد يثير التاريخ المعاصر، وخاصة إذا كان محلياً، جدلاً حاداً وخلافاً كبيراً، ذلك أنه يشكل بحثاً عن جذور الحاضر. ولا يقتصر ذلك الخلاف على ماضي أولئك الذين هم على قيد الحياة، بل يمتد إلى ماضي آبائهم وأجدادهم؛ وينطبق هذا تماماً على منطقة نفزاوة، إذ في مجتمع حديث عهد بتحطيم المؤسسة القبلية وشديد التمسك بالقيم الأبوية، يرتفع الأسلام إلى مركز التقديس والتتربيه، ولا غرو في ذلك فهم في كثير من الأحيان منبع للشرعية وجذر نابض للمكانة. وما يزيد صعوبة دراسة هذه الفترة، عدم فتح الأرشيف الإداري للمنطقة، وتأكد هذه المسالة اليوم خاصة وأن وثائق الأرشيف الوطني إلى سنة 1956 موضوعة سلبياً في ذمة الباحثين، كما تتوفّر بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، وثائق مصورة عن الأرشيفات الفرنسية التي تهمّ البلاد التونسية.

وفي انتظار أبحاث معتمدة وشاملة سوف نقتصر في هذا الفصل على بعض الجوانب التي ميزت التاريخ المعاصر لمنطقة من المفترض أن تكون بعيدة عن دوائر تأثير الحركة الوطنية خطاباً وإن بيولوجياً. فكيف كان رد الفعل بنفزاوة على دخول قوات الاحتلال؟ وكيف تم إخضاعها وصولاً إلى جعلها من التراب العسكري؟ وما هي مساهمة النفراويين في حركة المقاومة المسلحة ومدى ارتباطها بالحركة الوطنية؟

1- الاحتلال المنطقة ورد الفعل المحلي :

يبدو أن رد الفعل بنفزاوة كان ضعيفاً على اختراق الجيش الفرنسي للحدود التونسية قادماً من الجزائر يوم 24 أفريل 1881. ولم يتطور رد الفعل ذلك حتى مع

انتصار الحماية يوم 12 ماي الموالي⁽¹⁾ إذ أن المنطقة نائية ولم يلمس السكان الخطر الفرنسي، وكانت تقود بعضهم الطاعة العميم للأمير الذي دعا إلى الاستسلام لقوات الاحتلال، غير أن الوضع بدأ يتغير في صافة تلك السنة. ذلك أن الباي أطلق في شهر جويلية سراح عدة شخصيات نافذة في مناطقها لمساعدته على تهدئة الأوضاع. وكان من بينهم علي بن محمد بوعلاق، زعيم أولاد يعقوب وخليفة صف يوسف بنفزاوة⁽²⁾. وكان هذا القائد مدركا للأوضاع العامة بالبلاد والتي تتجه نحو الثورة، إذ قد تشكل منذ شهر جوان 1881، شبه مجلس قيادي لتسخير المقاومة كان على رأسه علي بن خليفة زعيم قبيلة نفات، والتي تتسمى هي الأخرى إلى صف يوسف⁽³⁾. فاتصل به علي بوعلاق حال إطلاق سراحه، كما اتصل بأحمد بن يوسف زعيم قبيلة الهمامة وأعلن وبالتالي الثورة على الباي والجهاد في سبيل الله، وقد بعض فرسان أولاد يعقوب إلى جانب حركة المقاومة. ومن الأعمال التي قام بها إغارتة بين 15 و20 أكتوبر 1881 مع الهمامة على عدة جهات بالشمال وعلى الحدود الجزائرية مستهدفا المصالح الفرنسية ؛ غير أن هذه العمليات كانت محدودة، والدليل على ذلك أن أولاد يعقوب لم يغادروا نفقة التي كانت تعتبر قاعدة لهم⁽⁴⁾.

وإثر إخضاع قابس نهائيا بعد أربعة أشهر من المقاومة بدأت الأفواج الأولى من المهاجرين التفزاوين تتجه نحو البلاد الطرابلسية، في انتظار تدخل عثماني لتحرير تونس من الاحتلال الفرنسي. وقد تكونت تلك الأفواج خاصة من عشيرة أولاد بو Becker من أولاد يعقوب ومن مرازيق العوينة والعذاري وسكنى تلمنين وأم الصمعة، والتحقت

Résidence Générale de France à Tunis (R. G. F.), **Historique du bureau des affaires indigènes de Kébili**, Bourg, 1931.

⁽¹⁾ المرزوقي (محمد)، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، ص 217؛ يعتبر هذا الكتاب وكذلك بقية كتب المرزوقي التي ستشير إليها أدناه مصدرا هاما للتاريخ المعاصر للمنطقة، إذ أنه اعتمد فيها وبصورة أساسية على الروايات الشفوية التي كانت أكثر انتشارا في العقود القليلة الماضية.

⁽²⁾ المحجوري (علي)، انتصار الحماية الفرنسية بتونس، سراس للنشر، تونس 1986، ص 47.

⁽³⁾ المرزوقي، صراع...، نفس المرجع، ص 217.

بهم مجموعات أخرى من جمنة وزاوية الحمرث⁽⁵⁾ في ربيع 1882، إثر احتلال المنطقة. فكيف تم هذا الاحتلال؟

في 30 مارس 1882 اجتازت الكتيبة السادسة للجيش الفرنسي بقيادة الجنرال فيليب (Philbert) شط الفجيج قادمة من قصبة في اتجاه نفزاوة⁽⁶⁾. وعندما توقفت في اليوم الموالي باستقطابي التحق بها مائة فارس يقودهم كاهية وجق قبلي أحمد بن بلقاسم بن حمادي الذي بقي وفيا لنداء الباي بالإسلام. ويبدو أنه أفاد القائد الفرنسي بمعرفة الوضع بالمنطقة⁽⁷⁾، فتوجهت قوات الاحتلال للقضاء على ما يمكن أن يشكل حيوانا للمقاومة فخررت قرية أم الصمعة وتنهيتها يوم 2 أفريل 1882، ودخلت في اليوم الموالي إلى قرية نقة مركز أولاد يعقوب⁽⁸⁾. وكانت هذه العمليات عنيفة وشديدة، إذ كانت تهدف إلى بث الرعب في من يمكن أن تسول له نفسه مقاومة المسادة الجدد. وأمام العنف الاستعماري، طلب قاضي نفزاوة ضو بن بويا بن بلحسن وعدد هام من سكان جمنة والمنصورة وقبلي ومن بقي من سكان تلمين الأمان. ويبدو هنا أن القمع لم يفرق بين صفي يوسف وشداد عندما استقاد من الصراع والتباغض بينهما. وفي يوم 5 أفريل، خيم الجنرال فيليب بجيشه بالبرج الذي كان قد أقامه أحمد باي شمال بلدة قبلي، وحمل منذ ذلك الحين اسم الجنرال الفرنسي، وانتلاقا منه بسط الجيش الفرنسي نفوذه على كامل المنطقة، وختم ذلك بإتجاه جنوبا نحو مضارب المرازيق لاخضاعهم إلى السلطة الجديدة. وفي يوم 14 أفريل قدم إلى القيادة العسكرية عدد منهم وعبروا لها عن ولائهم للحماية واستعدادهم للعمل معها⁽⁹⁾.

إن انقسام نفزاوة إلى شقين متعددين سهل مهمة جيش الاحتلال بالمنطقة دون أن تتعدم الخسارة من اندلاع حركة عنيفة ضد المستعمرين بها، ويبدو أن هذا الدافع جعل

Martel (André), *Les confins saharo-tripolitains de la Tunisie (1881-1911)*,⁽⁵⁾
Tunis 1965, T1, pp. 264-265.

Philebert (Gl. Ch.), *La 6e Brigade en Tunisie*, 1895, p.143.⁽⁶⁾

Augias (L.), "Deux années au Nefzaoua", in, *Revue Tunisiennes*, 18e année, N°⁽⁷⁾
85, Jan. 1911, p. 49.

Philebert, *La 6^e Brigade...*, op. cit, pp. 148-152.⁽⁸⁾

R. G. F., *Historique...*, op. cit.⁽⁹⁾

الجنرال فيلبار يأنن بالإعتقال التحفظي لعدد من السكان الذين لم يطلق سراحهم الا بعد خمسة أشهر⁽¹⁰⁾.

إن العنف الاستعماري أو الخشية منه، أجبر أعدادا من سكان نفزاوة على الهجرة إلى طرابلس. لكن يبدو أن جملة هؤلاء اللاجئين لم تكن هامة بالمقارنة مع الأعداد الغفيرة من القبائل والمناطق الأخرى، فلم تتجاوز المئات من بين عشرات الآلاف من المهاجرين الذين كانوا يأملون في تدخل عثماني لإنقاذ بلادهم. ولكنهم من جهة أخرى لم يخلوا إلى الراحة هناك، إذ قاموا في صيف وخريف 1882 بعدة عمليات ناجحة⁽¹¹⁾ وكانت نفزاوة معبرا لهم نحو المناطق المستهدفة، كما كانت قبل ذلك معبرا لأعداد هامة من الهمامة المتجهين نحو البلاد الطرابلسية. ومن تلك العمليات أن مائتين وخمسين فارسا من جلاص والهمامة عبروا الحدود يوم 16 أوت 1882 ووصلوا إلى بئر سلطان ثم بئر زميط، واستفادوا من مساعدة أهالي نفزاوة إلى أن وصلوا إلى نيماقس ثم تجاوزوا شط الفجيج وقاموا بعدة عمليات ناجحة في مناطق الوسط، ثم ورغم محاصرة طريق عودتهم، تمكنا من الالتحاق بمركز انطلاقهم.

كما وصل يوم 14 سبتمبر عدد آخر من الهمامة وأولاد يعقوب إلى بئر زميط قادمين من الأرضي الطرابلسية، ثم اجتازوا نفزاوة وشط الفجيج حيث اعترضوا قافلة تابعة للمرazziق وافتکوا منها أربعمائة جمل وقتلو سبعة من رجالها ثم تفرقوا في منطقة الجريد. ولم تتعذر مثل هذه العمليات فيما بعد، من ذلك أن مائة فارس من أولاد يعقوب وأولاد ثابت الطرابلسيين، قاموا في نوفمبر 1885 بهجوم سطوا فيه على مائة جمل بمنطقة نفزاوة، وفي جانفي 1886 على مائة وخمسين جملًا بتمزرت⁽¹²⁾. ومن بين من عوقبوا بسبب تلك العمليات بمقاس يو علاق الذي ألقى عليه القبض في نفزاوة

Augias, "Deux années...", op. cit., p. 49.⁽¹⁰⁾

Karoui (H.) et Mahjoubi (A.), *Quand le soleil s'est levé à l'ouest, Tunisie 1881, Impérialisme et résistance*, Cérès Productions, Tunis 1983, pp. 161-162 : voir également : Martel, *Les confins...*, op. cit., T1, pp. 291-292.

Ibid., T1, p. 342.⁽¹²⁾

وحكم عليه بخمس سنوات سجنا "بسبب قيامه شخصيا بقيادة عدة عمليات إغارة في تراب الإيالة"، كما حكم عليه بإرجاع المبالغ التي حصل عليها من تلك العمليات (١٣).

وكذلك ينبع ذلك نلاحظ :

- أن نفزاوة لعبت دورا هاما كمعبر للمهاجرين، وذلك لبعدها عن الشريط الساحلي حيث كثافة التواجد الاستعماري، ولا شك أنهم استفادوا من تعاون بعض السكان معهم.

- أن المهاجرين من أولاد يعقوب على قلة عددهم مقارنة مع بقية المهاجرين بالبلاد الطرابلسية، شاركوا بفعالية في إزعاج السلطات الاستعمارية.

- أن العمليات التي قاموا بها استهدفت فيما استهدفت - أملاك السكان الذين قبلوا نظام الحماية بالصمت أو المغازرة. كذلك فإن هذه العمليات تعتبر احتجاجا على انتصار النظام الجديد، كما أنها رد فعل على مختلف أشكال القمع المستسلط على السكان.

غير أن السلطات الفرنسية سعت إلى عودة أولئك المهاجرين واستعملت لذلك مختلف الإغراءات، وكانت تهدف من ذلك إلى القضاء على المقاومة العنيفة التي واجهتها. ومع اليأس من النجدة العثمانية والضيق الذي وجده المهاجرون بطرابلس، بدؤوا في العودة مع نهاية سنة 1882 وخاصة سنتي 1883 و1886. ويذكر محمد المرزوقي أن الشيخ محمد بن عبد الله المرزوقي الذي هاجر مع عدد من العائلات المرزوقيية، عاد من طرابلس بين 1883 و1886 (١٤). أما ليوبولد بربان فقد لاحظ في ربيع 1885 أي بعد مرور ثلاثة سنوات على الاحتلال نفزاوة، أن هناك نقصا في زراعة مساحة هامة من أراضي تلmine بسبب فرار سكانها عنها إلى طرابلس، وقد عبر عن الأمل في عودتهم إلى موطنهم وإلى الحياة الفلاحية الهدئة (١٥)، وهذا ما يدل على طول فترة الهجرة رغم الإغراءات الفرنسية ومن بينها منح العفو العام في صائفة 1882. وإن لم تطل الهجرة بعد من المهاجرين إلا بضعة أشهر فإن البعض

De Bechevel, *Notice concernant les tribus de Nefzaoua*, Fonds SHAT, 1886, (١٣) folio 147.

(١٤) المرزوقي، صراع...، نفس المرجع، ص 268.

Baraban (Léopold), *A travers la Tunisie*, Paris, 1887, p. 65. (١٥)

الآخر امتدت هجرتهم عدة سنوات، وفي سنة 1886 لم يبق من المهاجرين غير ثمني عائلات كلها من أولاد بوبكر من أولاد يعقوب⁽¹⁶⁾، وعلى رأسها علي بوعلام الذي لم يعد إلى نفزاوة إلا سنة 1907⁽¹⁷⁾ أي بعد ربع قرن من الاحتلال المنطقة، فوجد أن الواقع قد تغير تماماً، وأصبح تغييره يبدو صعباً إن لم يكن مستحيلاً. فكيف سيطرت القوات الاستعمارية على المنطقة وأخضعت المجتمع المحلي؟

2- تركيز الإدارة العسكرية :

لقد لعب الجيش والهيكل الإداري دوراً مميزاً في إخضاع المنطقة للسلطة الاستعمارية، إذ بعد السيطرة الترابية عليها، توجه السادة الجدد إلى السيطرة على الإدارة المحلية فقد تسخيرها وتوجيهها لصالح أهدافهم. وبما أن نظام الحماية يقضي بأن تبقى هذه الإدارة بأيدي موظفين تونسيين، سعى الفرنسيون إلى تنصيب أو تعزيز دور من يرونوه مناسباً لتحقيق أهدافهم. وفي هذا الإطار سمي الجنرال فيلبار، أحمد بن بلقاسم بن حمادي عاملاً على نفزاوة سنة 1882⁽¹⁸⁾، وأصبح وبالتالي لا يخضع للإدارة المركزية وإنما للمراقبة العسكرية الفرنسية، ويبدو أن إقرار كاهية قبلى على رأس الإدارة المحلية يعود إلى :

-انتقامه إلى إحدى أكبر العائلات بقبلي وبنفزاوة بصفة عامة.

-تجربته في إدارة المنطقة لمدة تتجاوز العشرين سنة.

-عدم رفضه لجيش الاحتلال وخاصة لانتقامه لتصف المعاذى لصف يوسف الذي كان يقود الثورة ضد الاحتلال.

أما مهمة الإدارة العسكرية فتمثل في مد المقيم العام بملحوظاتها حول الأوضاع السياسية والمعنوية والدينية والاقتصادية والاجتماعية. وكان بإمكانها خلع أي مسؤول عند الحاجة⁽¹⁹⁾، إضافة إلى قمع كل محاولة للتمرد والثورة. وكان على رأس تلك

De Bechevel, Notice ..., op. cit. folio 143 verso. ⁽¹⁶⁾

⁽¹⁷⁾ المرزوقي، صراع..., نفس المرجع، ص 219.

⁽¹⁸⁾ ضيف الله، "مخزن الأعيان المحليين...", نفس المرجع، ص 128-129.

⁽¹⁹⁾ المحجوبى، انتساب..., نفس المرجع، ص 108.

الإدارة في البداية القبطان دبيرتار (Déportier)، ويعينه مكتب للاستعلامات التابع لجيش الاحتلال.

وكان لا بد من حدوث خلاف بين هذه الإدارة العسكرية والعامل الذي تعود على ممارسة نفوذ مطلق بمنطقته. غير أن السلطات العسكرية اتهمته بارتكاب تجاوزات ضد منافسيه من صف يوسف، واتخذت ذلك تعلة لعزله في أواخر 1885⁽²⁰⁾، وعيّنت مكانه بقاسم بن محمد بن خليفة (ابن أخي الثائر علي بن خليفة في محاولة لطى صفحة المقاومة. ثم إنه لإحكام إخضاع السكان وقع توجيههم للتصدي لعدو خارجي يتمثل في الطوارق والشعاوبة.

وإلى جانب ذلك، لم يخفّ ضغط النفوذ العسكري بالمنطقة بل وقع تقديره إذ عين على رأس نفزاوة ملازم من مصلحة الاستعلامات هو بيشفال (Béchevel) الذي أظهر مقدرة فائقة بكل من بئر زرت وماطر وفريانة وأم التمر⁽²²⁾. وبينما اتجهت المناطق الشمالية والساحلية نحو الإدارة المدنية ببعث مراقبات مدنية بداية من أبريل 1885 وتدعيم هذا التوجه في ديسمبر 1886 وجويلية 1887 ببعث مراقبات جديدة، بقيت المناطق الشمالية الغربية والجنوبية تابعة للسلطة العسكرية. وبالنسبة لنفزاوة ففصلت إدارتها عن المراقبة المدنية بتوزر في غرة نوفمبر 1890، فأصبحت منطقة عسكرية⁽²³⁾، وتدعم وبالتالي دور مكتب الاستعلامات الذي يوجد بها منذ بداية الاحتلال.

وقد كان مقر هذا المكتب إلى سنة 1890 بدوز، وكان يديره قبطان بمساعدة ملازمين وإضابط مترجم وطبيب وعدد من الكتبة. وإضافة إلى ذلك تأسس سنة 1890

⁽²⁰⁾ بعد عزله في المرة الأولى، سمي أحمد بن بقاسم من جديد عاملًا في جوبلية 1895 ثم ما لبث أن اتهم في حادثة مقتل الرحالة الفرنسي المركيز دي موراس (جوان 1896) فعزل عن منصبه في 15 ماي 1898 ومثل في جوبلية 1902 أمام المحكمة الفرنسية بسوسة التي برأت ساحتة. ورغم ذلك فإن مجرد توجيه التهمة إليه يبشر على خلافه مع الإداريين الفرنسيين.

⁽²¹⁾ Martel, *Les confins..., op. cit.*, T1, p. 326. انظر كذلك : عليه الصغير (عمره)، ملخص من نفزاوة في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي من خلال توثيقات الاستعلامات العسكرية، في، أمل، سن 4، ع 10-11، الدار البيضاء، 1997، ص 296-297.

⁽²²⁾ Martel, *Les confins..., op. cit.*, T1, pp. 325-326.

⁽²³⁾ لجنة البحث التربوية، تاريخ نفزاوة، نفس المرجع، ص 13.

وحقق منتظم بثمانين مخزنيا في البداية⁽²⁴⁾، ويبدو أن هذا العدد انخفض إلى تسعة وعشرين في بداية القرن⁽²⁵⁾ وأصبح بعد خمسين نفرا بعد الحرب العالمية الثانية⁽²⁶⁾.

لقد امتدت هيمنة الدولة الاستعمارية شيئاً فشيئاً فأحضنت كل المجالات ومن مظاهر ذلك إخضاع عروش المرازيق وغريب بداية من سنة 1907 إلى دفع المجيء، بعدما كانوا معفون منه لأنهم أولاد زاوية⁽²⁷⁾. ومن جهة أخرى ولمزيد إحكام السيطرة على المنطقة، تحول المركز الإداري لفزاوة من دوز إلى قبلي، إذ كان مركز دوز في بداية الاحتلال يستجيب للتوجه نحو إخضاع المناطق الصحراوية ومراقبة منطقة الظاهر وتوجيه السكان نحو عدو خارجي يتمثل في الطوارق والشعوبية الذين يتطلب صدتهم مركزاً متقدماً. ثم وبموجب قرار مؤرخ في 30 سبتمبر 1890، وقع اختيار سوق البياز شمال بلدة قبلي ليكون المركز الإداري والعسكري لفزاوة؛ وتأتي أهمية هذا المركز الجديد من:

- موقعه الهام بوسط نفزاوة، وإشرافه على الطريق الرابطة بين توزر وقبابس والتي تمر عبر شط الجريد.

- ربطه بين عالمي البداوة والاستقرار بالمنطقة، إذ أنه يشرف على قرى شبه الجزيرة من جهة وقبائل الرجل وأنصاف الرجل من جهة أخرى.

وقد بدأ سوق البياز يشرف على إدارة نفزاوة منذ غرة مارس 1891، وبعد ذلك امتد نفوذه إلى خارج المنطقة، إذ وقع تقسيم الجنوب التونسي إلى دائرةتين إحداهما بقلي والآخرى بمدنين. وكانت دائرة قبلي تضم المراكز التالية: دوز ومضطاطة والحوايا (بني خداش)⁽²⁸⁾، لكن بداية من سنة 1907، أصبحت بدورها خاضعة لقيادة العسكرية لتراب الجنوب والتي يوجد مقرها بمدنين⁽²⁹⁾.

⁽²⁴⁾ المرجع نفسه.

⁽²⁵⁾ Violard (Emile), *L'Extrême Sud Tunisien*, Tunis, 1905, p. 73.

⁽²⁶⁾ Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 122.

⁽²⁷⁾ Augias, "Deux années...", op. cit., p. 51; انظر كذلك:

Martel, *Les confins...*, op. cit., T2, p. 68.

⁽²⁸⁾ لجنة البحوث التربوية، *تاريخ نفزاوة*، نفس المرجع، ص 14.

⁽²⁹⁾ Augias, "Deux années....", op. cit., p. 44.

ومن جهة أخرى، استبدل مكتب الاستعلامات في 18 جانفي 1900 بمكتب للشؤون الأهلية (بيرو عرب) برأسه ضابط برتبة قبطان ويساعده ملازمان وضابط مترجم وعدد من الكتبة. وتتمثل مهمة هذا المكتب في حفظ الأمن، وهو يسير وجقا من المخزن، قوامه فرقة فرسان بقبلي على رأسها باش شاوش وإثنان من الشواش⁽³⁰⁾ وفرقة من المهاري بدوز يقودها شاوش.

وإضافة إلى هذه الإدارة العسكرية الفرنسية، كانت هناك إدارة تونسية، إذ كانت بنزاوة بعد فصلها عن عمل الجريدة وحدة إدارية مستقلة تسمى عملا، يوجد على رأسها العامل ومقره بقبلي. أما في المستوى الثاني فيوجد الخليفة، وكان هناك خليفة واحد مقره بدوز⁽³¹⁾، ويوازيه في الإدارة العسكرية ملازم ينوب رئيس مكتب الشؤون الأهلية بها. وقبيل الحرب العالمية الثانية وقعت تسمية خليفة ثان بقبلي لينوب العامل عند الحاجة، ويفصل في القضايا البسيطة عند الاقتضاء. وتتمثل مهام هذه الإدارة التونسية في استخلاص الضرائب وفصل القضايا الخفيفة بين السكان، وأنصت بها منذ سنة 1913 مهمة ضبط الحالة المدنية.

كما قسمت المنطقة إلى ثمانية عشرة مشيخة وهي : قبلي وتلمسان والمنصورية والمنشية وبوعبد الله وأم الصمعة والجرسين والعذارى والصابيرية وغريب وبشري وأولاد يعقوب وجمنة وبشلي ودوز الغربي ودوز الشرقي والوعيبة والقلعة. وتتمثل مهمة المشائخ في جمع الضرائب وحفظ النظام العام وإعلام مكتب الشؤون الأهلية أو العمل بكل ما يستجد بمناطقهم. وبذلك ضمنت القوات الاستعمارية الهيمنة على المجتمع المحلي والنفاد إلى مختلف أجزائه. غير أن ذلك لم يحل دون استغلال المنطقة

⁽³⁰⁾ من أهم ضباط المخازنية بنزاوة في أواخر القرن التاسع عشر سعيد بن نصر الذي عين باش شاوش سنة 1890، ثم قادا على المنطقة في بداية حويلية 1898 واستمر في منصبه إلى سنة 1921. انظر بحثنا الموسوم : «في مسألة العلاقة بين الأعيان والاستعمار في الجنوب : القائد سعيد بن نصر نموذجاً»، في الندوة الدولية الثانية عشرة حول : الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 2005، ص 419-448.

⁽³¹⁾ وقع بعث هذه الوحدة الإدارية في مارس 1896 وسمى عليها ك الخليفة بلقاسم بن راشد الذي كان منذ سنة 1894 شيخاً لدوز.

لفترات تراجع النظام القائم وإعلان الثورة ضدّه، وكان لنفزاً وة في هذا المجال إضافاتها ودورها المتميّز، فساهمت من موقعها في حركة التحرر الوطني.

3- مساهمة نفزاً وة في الحركات المسلحة :

لقد ساهم أبناء نفزاً وة بأقدار مختلفة في الانتفاضات والحركات المسلحة التي عرفها الجنوب التونسي منذ انتصاف الحماية، فشاركوا في حركة المقاومة لستي 1881 و 1882، كما شاركوا في انتفاضة 1915، غير أن أهم مساهماتهم تمثلت في الانتفاضة التي فجرها المرازيق ستني 1943 و 1944، وكانت هذه الانتفاضات سلسلة غدت الساقية من حلقاتها اللاحقة وغرسـت تقاليد عريقة في الجهاد ومقاومة المستعمر.

أ. انتفاضة 1915 :

وإذ لم يتعـد تأثير أحداث الجلاز والترمواي (1911-1912) الحاضرة إلى داخل البلاد ومن بينها نفزاً وة، فإن المنطقة مثلها مثل بقية مناطق الجنوب أحـست بوطأة الاحتلال الإيطالي للبيـا، فتعـاطفت مع الليبيـن الذين لجـوا إلـيـها، وكانت انتفاضـة 1915 مناسبـة لتجسيـد ذلك التعـاطـف والتـرـجمـة العمـلـية للتـضـامـن العـرـبـي الإـسـلـاميـ.

اندلـعت تلك الـانتـفـاضـة أثنـاء الـحـربـ العـالـمـيـةـ الأولىـ عـنـدـماـ كـانـتـ القـوـاتـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ الفـرـنـسـيـةـ (ـبـالـنـسـبـةـ لـتـونـسـ)ـ وـالـإـيطـالـيـةـ (ـبـالـنـسـبـةـ لـلـبـيـاـ)ـ منـشـغـلـةـ بـسـيرـ المـعـارـكـ عـلـىـ مـيـادـينـ أـخـرـىـ.ـ وـمـاـ سـاـهـمـ فـيـ اـنـدـلـاعـ هـذـهـ اـنـتـفـاضـةـ النـداءـ الـذـيـ وـجـهـ الـخـلـيـفةـ العـمـانـيـ إـلـىـ أـخـرـىـ.ـ كـافـةـ الـمـسـلـمـيـنـ يـدـعـوـهـ فـيـ لـلـجـهـادـ ضـدـ الـحـلـفاءـ،ـ وـمـنـ ضـمـنـهـمـ فـرـنسـاـ قـصـدـ إـلـهـائـهـاـ بـجـبـهـةـ جـديـدةـ فـيـ جـنـوبـ.ـ وـقـدـ اـسـتـجـابـتـ طـرـيقـةـ السـنـوـسـيـةـ لـلـبـيـاـ لـذـكـ الدـعـوـةـ وـالـتـحـمـسـ لـهـاـ قـصـدـ مـقاـوـمـةـ الـاحـتـالـلـ الإـيطـالـيـ.

وـمـنـ القـبـائلـ التـونـسـيـةـ الـتـيـ انـخـرـطـتـ فـيـ اـنـتـفـاضـةـ الـوـدـارـةـ وـبـنـيـ يـزـيدـ،ـ أـمـاـ مـنـ نـفـزاـ وـةـ فـقـدـ التـحـقـ بـهـاـ عـدـدـ مـنـ أـبـنـاءـ المـرـازـيقـ⁽³²⁾ـ،ـ وـلـعـلـ ماـ دـفـعـهـمـ إـلـىـ ذـكـ اـطـلـاعـهـمـ عـلـىـ حـالـةـ الـلـبـيـيـنـ وـاتـصالـهـمـ بـهـمـ،ـ إـذـ أـنـ خـلـيـفـةـ بـنـ عـسـكـرـ الـذـيـ سـيـتـرـعـمـ الـثـورـةـ كـانـ قـدـ

⁽³²⁾ المرزوقي (محمد)، دماء على الحدود، الدار العربية للكتاب، تونس 1975، ص 194-204.
وص 256 وما بعدها.

نفي مع عائلته إلى بلدة قلبي⁽³³⁾، ومنها تمكن من الفرار، ويبدو أن ذلك لم يكن ليتم لو لا مساعدة السكان له، وتتمكن بعد بضعة أشهر من قيادة عدة مئات من الثوار في الهجوم على مركز ذهيبة الحدوبي. ومن بين من شارك في انتفاضة الجنوب هذه : الإخوة سالم وأحمد وبوبكر أبناء محمد بن غرس الله. وقد قُتِلَ الأول في إحدى معاركها بليبيا، بينما ألقى الفرنسيون القبض على الثاني وتوفي بالسجن، أما أخوهما بوبكر المعروف بابن قطنش، فقد التحق بهما قبل ذلك وقد كان يعمل في فرقة القومية التابعة للجيش الصحراوي، إذ أرسله الفرنسيون ليبطأ أخيه التائرين ومن معهما من المرازق مع وعدهم بالعفو وعدم التعرض للعقاب. ولكن ما إن وصلهم حتى انخرط معهم في الانتفاضة. وعندما فشلت وتفرق الثوار رحل إلى بلده وادعى بأنهم كانوا يقتلونه لو لا تدخل أخيه وأبناء عممه واكتفوا بعد ذلك بأسره حتى تتمكن من الإفلات. وقد صدق الفرنسيون هذا السيناريو لكنهم لم يعيدهوه إلى سالف عمله، فالتحق بعد مدة بالأراضي الطرابلسية حيث انخرط من جديد سنة 1922 في الانتفاضة التي كان يقودها الحاج محمد فكيني ضد الفاشية.

ومن بين من التحق بانتفاضة 1915 أيضاً عمر بن محمد الغول وهو أيضاً من المرازق. وقد قبضت السلطة الاستعمارية على عائلته ونقلتها إلى بلدة بنى خداش حيث وضعتها تحت الإقامة الجبرية. ومن هناك استطاع الآبن الأكبر محمد اللحاق بوالده في ميدانين القتال. وبعد فشل الانتفاضة بقي عمر الغول مشرداً في الصحراء حتى تمكن الفرنسيون من قتلته سنة 1924.

وإن لم تكن مساهمة المرازق في انتفاضة الجنوب مكتفة، فإنهما ساهمت في موافقة بذر الحقد والثورة في الأجيال اللاحقة فشارك بن قطنش مثلاً وأبناه عمر الغول في انتفاضة 1943-1944، وكانتا وبالتالي رمز الاتصال بين انتفاضتين أفقتا إلى أبعد حدود الاستعمار الفرنسي.

Goldstein (Daniel), *Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire tunisienne (1914-1922)*, M. T. E., Tunis 1978, p. 146 ; voir également: Abdelmoula (Mahmoud), *Jihad et colonialisme : la Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918)*, Tunis 1987, p. 80 et p. 85.

بـ. انتفاضة المرازق : الإطار العام⁽³⁴⁾ :

لقد أظهرت الحرب العالمية الثانية مدى ضعف فرنسا الحامية، إذ أنها عجزت أمام القوات الألمانية حتى عن حماية أراضيها، وتحطمت وبالتالي أسطورة فرنسا التي لا تهزم والقوة التي لا تقهـر، وما عـذى هذا الشعور في المستعمرات الفرنسية عموماً وفي تونس خصوصاً :

- الهزيمة الميدانية التي منيت بها فرنسا أمام المحور، إذ احتلت قواتهم البلاد التونسية بداية من نوفمبر 1942، وأبدت أثناء ذلك القوات الفرنسية ضعفاً متناهياً وعجزاً عن المواجهة الفعلية، فانسحب أغلب قوادها إلى التراب الجزائري.
- الدعاية المحورية التي كانت تتقارب من التونسيين وتظهر المحتلين الجدد على أنهم جاؤوا لتخليصهم من الإضطهاد الفرنسي.

وفي هذا الإطار كان الاحتلال نفزاً من قبل المحور، إذ بعد أقل من شهر من وصول قواتهم إلى تونس، تمكنت من احتلال نفزاً ودخلت يوم 12 ديسمبر 1942 بلدة دوز آخر المحطات بالمنطقة، وكانت تلك القوات تضم ثلاثة مصفحات وعدة شاحنات تحمل حوالي مائة جندي. وقد أثار دخولهم فرحة السكان الذين خرجوا في مظاهرات ترحيبية ملأـت الأماكن العمومية، وعبروا أثناءها عن مشاعرهم المكبوتة ضد رموز الهيمنة الفرنسية، وربما تجاوزوا ذلك إلى تأييد الاحتلال الجديد.

وعلى مستوى آخر، تمرد المخازنية المرازق بـدوز وفورسان (Fort-Saint) إذ عصوا أمر قادتهم لهم بالانسحاب معهم إلى التراب الجزائري واحتفظوا بأسلحتهم ومهاراتهم، وأمام الفوضى السائدة ومشاعر الحقد المعلنة على الفرنسيين، اتصـل الإيطاليون بأعيان الأهالي للإستماع إليـهم وحثـهم على توفير مؤـونة الجيش، من ذلك

(34) عن انتفاضة المرازق ، انظر خاصة : المرازق (محمد وعلى)، ثورة المرازق، نفس المرجع؛ وقد جمع فيه المؤلفان الروايات الشفوية والأشعار الشعبية التي خلـدت هذه الانتفاضة وسجلـت مختلف مراحلها وكذلك : Séran (J.), Parcours Mérazig, Tunis 1948, 209 p. وهو يعكس وجـهة النظر الرسمية إذ أن مؤلفه ضابط عسكري وشارك في عمليات مطاردة الثوار. وانظر كذلك : حسن (عبد الحميد)، ثورة المرازق 1943-1944، في، البلد التونسية في فترة ما بعد الحرب 1945-1950)، أعمال الندوة الدولية الخامسة حول تاريخ الحركة الوطنية، مـنشـرات المعـهد الأـعلى لـتـارـيخـ الحـرـكةـ الوـطـنـيةـ، تـونـسـ 1991ـ، صـ 310ـ-335ـ.

أنهم اتصلوا بأعيان بلدة قبلي وطلبو منهم توفير أكل الجنود كل يوم إثنين، بينما تتولى القرى الأخرى توفير الأكل لبقية أيام الأسبوع، لكن البعض اشتكي من عدم المقدرة على توفير اللحم، بينما تجرا البعض الآخر على المطالبة بالسلاح (35).

من جهة أخرى أنشأ الإيطاليون مكتب أخبار بقلي تحت إدارة المستشرق تونت ليزي (Tonente Lizi) ليقوم بالداعية لفائدة الدستوريين والمحور. وتمكن هذا المكتب من مد شبكة من الجواسيس بالمنطقة. وبذلك تجاوزوا مكتب الشؤون الأهلية الذي يشرف عليه الفرنسيون، وأصبحوا يتصلون مباشرة بممثلي السلطة المحلية التونسية. وقد وجدوا تجاوباً من بعض رموزها وخاصة من عامل نفزاوة علي بن أبي الضياف الذي حرص على تحقيق مطالبهم وخاصة منها توفير الغذاء لهم وانتداب الشبان التونسيين للعمل ضمن قواتهم، كما أوصى الشيوخ بحسن استقبال ضباطهم. وفي مقابل ذلك، بقي بعض أعيان السلطة المحلية مخلصين للفرنسيين ومن بينهم خاصة خليفة المراريق سعيد بن علي بن ضو وشيخا بشلي وأولاد يعقوب، كما قام البعض الآخر بالجوسسة لفائدة ضد الإيطاليين ومن تورط معهم من الأهالي.

ج. مراحل انتفاضة المراريق (36) :

مع احتلال قوات المحور لنفزاوة تحولت القوات الفرنسية إلى موقع المقاومة، إذ رابطت إحدى كتائبها بالمنطقة الجنوبية قصد مراقبة تحركات الإيطاليين، واضطرت أمام صعوبة التموين إلى نهب السكان وافتراك حيواناتهم وأرزاقهم. لكن موقف الإيطاليين كان سلبياً إذ لم يقوموا بتتبع المعذبين.

وأمام تذمرات الأهالي وتعييرهم عن الاستعداد لحماية أنفسهم، اضطر الإيطاليون للحافظة على شعبيتهم - إلى تسليمهم الأسلحة، فنكونت مليشيا مسلحة من سبعة شبان هم : علي الصيد وعبد الله الغول والطاهر بن عبد الملك وحامد بن عبد الملك وحمد بن عبيد وحمد بن علي بن ناجي الأحمر والعيد بن محمد بن الحاج. وقد

(35) أفادنا بذلك الحاج الطاهر بن خالد في لقاء معه عشية 15 أوت 1993، كما أفادنا عن الأحداث اللاحقة التي جرت خلال هذه الفترة.

(36) وردت في كتاب ثورة المراريق تفاصيل دقيقة عن المعارك والمصادمات التي وقعت بين الثوار والقوات الفرنسية.

اصطدمت هذه المجموعة مع الفرنسيين يوم غرة جانفي 1943 على بعد أربعة كم جنوب بلدة العوينة، وكان ذلك فاتحة الانتفاضة التي تواصلت أكثر من سنة ونصفاً ومررت بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : من جانفي 1943 إلى عودة الفرنسيين في مارس 1943 :

وهي مرحلة دفاعية كان الهدف منها إبعاد الفرنسيين عن دوز ومناطقها، وقد ساعد أثناءها الإيطاليون الثوار الذين تكاثر عددهم مع النجاحات التي حققوها. وقد شهدت هذه المرحلة خمس وقائع بين الجانبين، أولها يوم غرة جانفي وأخرتها يوم 13 فيفري، وقد سقط خلالها ضابطان من القوات الفرنسية وعدد آخر من الجنود بين قتلى وجرحى.

المرحلة الثانية : من أكتوبر 1943 إلى ماي 1944 :

بعد عودة الفرنسيين إلى المنطقة، شرعوا في القيام بأعمال انتقامية ضد كل من يشتبه في مساعدته للإيطاليين ومعاداة الحضور الفرنسي، ففر هؤلاء إلى الصحراء أو الجبال أو المدن الداخلية. ومن استسلم منهم مثل أمام المحاكم العسكرية فتعرض للحكم بالإعدام أو السجن، كما نهبت الأرزاق ونسفت المنازل. وقد قطعت مثل تلك الأعمال الأمل في العودة إلى حياة هادئة وغدت وبالتالي نفسها جديداً للانتفاضة. وبدأت الصدامات بين الثوار والقوات الفرنسية في منتصف أكتوبر 1943، وامتدت هذه المرحلة إلى نهاية ماي 1944، كانت أثناءها القوات الفرنسية تتارد الثوار، وحاولت أن تقطع عنهم التموين ومختلف المساعدات التي كان يقدمها لهم البدو الرجل بمنطقة الظاهر وقد وقعت خلال هذه المرحلة ست مواجهات سقط فيها عدد من الجانبين.

المرحلة الثالثة : بدأت باحتلال برج بشفال يوم 28 ماي 1944 :

بلغت الثوار إشاعة مفادها أن السلطات الفرنسية قررت نقل نسائهم المعتقلات من دوز إلى التراب الجزائري، فقرروا مهاجمة برج بشفال بدوز لتخليصهن. وشارك في هذا الهجوم أكثر من ثلاثين رجلاً نجحوا في السيطرة على المكان بعد استشهاد أربعة منهم وهم حامد بن عمر بن عبد الملك ويحيى بن محمد بن يحيى وعبد الله بن محمد بن عبد الله ومحمد بن قدورة، ومقابل ذلك سقط من الحامية الفرنسية عشرة عسكريين

وأسر البقية وعدهم أربعة وأربعون، لكن أطلق سراحهم فيما بعد خوفاً من الأعمال الانقسامية ضد السكان.

وأمام الخسائر المادية والبشرية، شعرت السلطات الفرنسية بخطورة الوضع، فبدأت سلسلة من الأعمال الأكثر عنفاً واستغلت انسحاب الثوار وعدم استغلالهم لانتصارهم بل وسقوطهم في أخطاء من نوع اصطحاب نسائهم معهم إلى الصحرا، فقدت تعزيزات عسكرية هامة إلى المنطقة وأختل ميزان القوى بين الطرفين، إذ بعد شهر من موقعة البرج، أصبحت القوات الفرنسية تعد ألفاً وخمسماة جندي تدعمهم أربع طائرات استكشافية مقابل ستة وثلاثين ثائراً فقط. ورغم الصمود الذي أبداً هؤلاء في الأشهر المولية، فإن الانقضاضة دخلت مرحلة التقهقر إذ تفرق أصحابها إلى مجموعات صغيرة بسبب الموقف من اصطحاب النساء ومواصلة المواجهات أو التوقف عنها. ولم تنته الصادقة إلا وكان بعضهم قد قتل بينما فر البعض الآخر إلى الأرضيات الطرابيسية أو اختفى بمدن ومناطق أخرى داخل البلاد.

ومثلما لعب البعض دور همزة الوصل بين انقضاضي 1915 و1943، فإن البعض من شارك في انقضاضة المرازيق حمل السلاح سنة 1952، وانخرط بالتالي في حركة أكثر اتساعاً إضافة إلى أنها تحظى بمساندة الحركة الوطنية على عكس انقضاضة المرازيق نفسها.

3- الحركة الوطنية بنفزاوة :

كان المجتمع النفوذاوي حتى الثلاثينيات منغلاً على ذاته وبلغ القمع الاستعماري إلى حد أن فرض على السكان تحية العسكريين والعلم الفرنسي، وكثيراً ما كانت تسلط عقوبات بالسجن والخطايا على من لا يطبق تلك الأوامر. وفي هذا الإطار، لم تستطع -وربما لم تهتم- الحركة الوطنية بالتفاد إلى منطقة نفزاوة. ومع ذلك وجد بها منذ العشرينات بعض الأنصار للحزب الحر الدستوري التونسي، ولكنهم لم يتجرؤوا على بعث شعبية له، وبقيت أقرب الشعب من المنطقة تلك التي توجد بالجريدة (دقاش وتوزر ونقطة والحامة) وفابس والمطوية. فاكتفى بعض أولئك الأنصار بربط الصلة ببعض تلك الشعب وخاصة منها شعبية دقاش حيث يتم الإتصال بها بمناسبة زردة سيدى هلال

(³⁷)، ولكنهم لم يتجاوزوا مرحلة التعاطف إلى النشاط الفعلي. ويبدو أن أول اتصال فعلي بين القادة الوطنيين والمنطقة كان في سبتمبر 1934.

في الثالث من ذلك الشهر نفي إلى قبلي الحبيب بورقيبة أحد زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد إثر ما أبداه حزبه من حركية ونشاط، فنفي أغلب قادته إلى التراب العسكري، ومن ضمنه منطقة نفزاوة، حتى يكونوا تحت مراقبة السلطة العسكرية الفرنسية، ثم لأن هذه المناطق لم تخضع لتأثير النشاط الوطني.

وفي قبلي التحق ببورقيبة عائلته، كما اتصل به صالح بن يوسف الذي كان في الصف الثاني في قيادة الدستور الجديد. ومن جهة أخرى، استقل بورقيبة وجوده بالمنطقة فقام بزيارة عدد من قراها فزار دوز والمنشية والمنصورة والجديدة وتبيّب (³⁸). لكن بعد شهر من وجوده بنفزاوة نقل إلى برج البوف، ويبدو أن ذلك كان لعاملين :

-- عجز السلطة العسكرية المحلية عن الحد من تحركاته وعدم تحملها مسؤولية وعواقب تلك التحركات.

- تقرّبه من بقية المذكورين وإخضاعه وبالتالي معهم إلى نفس المراقبة العسكرية.

وعلى كل فإن نفي بورقيبة إلى نفزاوة قد دعم مرة أخرى دورها كمنفى إذ نفي بها سابقاً خليفة بن عسكر، كما سينفي بها لاحقاً الوزير الأول محمد شنيق وثلاثة من وزرائه هم محمود الماطري ومحمد بن سالم ومحمد صالح مزالى، وذلك في مارس 1952 (³⁹). كما نفي إليها إثر اغتيال فرات حشاد ثمانية من القادة النقابيين وهم محمود المسудى وحرمه شريفة المسудى ومحمد كريم وعبد الله فرات وعمر

(³⁷) أفادنا بذلك المرحوم الحاج الطاهر بن خالد.

(³⁸) عن الفترة التي قضتها بورقيبة في قبلي، انظر : ابن سوف (الهاشمى)، من ذكريات الشدائى، مخطوط في 65 صفحة وضعه صاحبه سنة 1974، وقد جمع فيه الروايات الشفوية لعدد من النقوا بورقيبة بقلي سنة 1934.

Série : Histoire du mouvement national, Le Néo-Destour face à la 3ème (³⁹) épruve 1952-1956, T.1 :L'échec de la répression, Tunis 1979, p. 358.

الزياحي والصادق الشايبي ومحمد الري وسليمان الزواري ولم ترفع عنهم إجراءات
اللفي إلا بعد ستة أشهر وتحديدا في 4 جوان 1953⁽⁴⁰⁾.

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن خطاب وإيديولوجيا الحركة الوطنية لم ينفذا إلى
المنطقة خلال الشهر الذي قضاه بورقيبة بها سنة 1934، ولا عند نفي القادة النقابيين
في آخر الفترة، وإنما عن طريق أبنائهما أنفسهم من الطلبة الزيتونيين ؛ فكيف تم ذلك ؟

لم يتجاوز عدد الطلبة النفراويين بالزيتونة، قبيل الحرب العالمية الأولى، العشرة ؛
ولكن يبدو أن هذا العدد ارتفع شيئاً فشيئاً ليبلغ بعض العشرات في الثلاثينيات والمائة
بعد الحرب العالمية الثانية. وفي إطار الحركة التي عرفتها البلاد والجامعة الزيتونية
في الثلاثينيات، انخرط أولئك الطلبة في النضال الطالبي والسياسي⁽⁴¹⁾، ومن أهم من
برز منهم آنذاك :

- أحمد بن سليمان بن لاغة الذي ألقى عليه القبض في فيفري 1936 في إطار
مظاهرات طالبية عنيفة يمكن إدراجها ضمن تحركات الدستور الجديد، ولم يطلق سراحه
إلا بعد شهرين.

- محمد المرزوقي الذي شارك سنة 1937 في مؤتمر الدستور الجديد بنجاح
التربيونال ممثلا للجهة، وقد سجن بمناسبة أحداث أفريل 1938.

- محمد الشتوي الذي برع في التحركات الطالبية سنة 1939، وقد كلفه ذلك الطرد
من الجامعة الزيتونية ووضع مع طلبة آخرين تحت الإقامة الجبرية بنفزاوة ومن بين
هؤلاء الطلبة محمد المرزوقي ونصر بن علي المرزوقي اللذين شاركا في إصدار
جريدة الهلال الطالبية الزيتونية.

ولعل مثل هؤلاء الطلبة كانوا يقومون أثناء العطل الصيفية بنشر الفكرة الوطنية
والدعوة لها. ومن جانب آخر، نشط طلبة نفزاوة الزيتونيون منذ الثلاثينيات في إطار

⁽⁴⁰⁾ الزهرة، 6 جوان 1953، رفع إجراءات الإبعاد المتخذة ضد قادة الاتحاد العام التونسي للشغل، ص 2.

⁽⁴¹⁾ عن النضال الطالبي والسياسي للطلبة الزيتونيين في الثلاثينيات، انظر : ضييف الله (محمد)
الحركة الطالبية التونسية (1927-1939)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،
رغوان ، جانفي 1999 ، البابان الثاني والرابع.

جمعيات طالبية من بينها الرابطة الزيتונית التي كان محمد المرزوقي كاتباً لها سنة 1937، وضمت هيئتها الإدارية نصر المرزوقي، كما كونوا جمعيات خاصة بأبناء نفزاوة هي :

جمعية الشباب النفزاوي (⁴²) التي تأسست سنة 1936 بهدف تشر الأدب والفضائل ومقاومة الرذائل بالحسنى". وقد تحصلت هذه الجمعية على التأشيرة بتاريخ 3 ديسمبر 1936. وضمت هيئتها الإدارية التي تكونت في جانفي 1937 العناصر التالية : عبد الله بن مبروك المرزوقي، رئيساً؛ مصطفى القلالي، كاهية له؛ محمد المرزوقي، كاتباً عاماً؛ محمد الشتوى، كاهية له؛ محمد بن سليمان العويني، أمين مال؛ محمد بوعلاق، كاهية له؛ عبد الله المرزوقي، مراقباً عاماً؛ وعضوية كل من: نصر المرزوقي وبتقاسم بن صالح وعمر العويني ومحمد بالحاج محمود (⁴³). وبذلك فإن هذه الجمعية ضمت عناصر من أغلب قرى المنطقة. ومن جهة أخرى ورغم إعلانها الابتعاد عن الأنشطة السياسية، فإن البعض من أعضائها لم يتورعوا عن مثل تلك الأنشطة، حتى أن رئيس مكتب الشؤون الأهلية بقابلي اتهم الجمعية بأنها تنشر الدعاية الدستورية بالمنطقة. ولعل مما دعم ذلك ما نشره محمد الشتوى رئيس الجمعية في بداية 1938، من مقالات بجريدة الزهرة مما استوجب استدعاءه إلى قسم الدولة بالوزارة الكبرى، فصرح بأن تلك المقالات شخصية ولا تلزم وبالتالي جمعية الشباب الزيتوني. وما يدل على حرصه على مصلحة الجمعية انسحابه من رئاستها. وقد رغب رئيس مكتب الشؤون الأهلية إيقاف أنشطتها، اعتماداً على أنها تضم كهولاً بينما هي جمعية شبابية، ودعا إلى حلها أو على الأقل منع الاجتماعات العامة التي كانت تقوم بها. ويبدو أن حوادث أبريل 1938 وما تبعها واندلاع الحرب العالمية الثانية، قد قضت على أنشطة هذه الجمعية.

جمعية الطالب النفزاوي بتونس (⁴⁴) : وتسمى أيضاً جمعية التلميذ النفزاوي. وقد ظهرت في مارس 1946، في إطار الموجة الجديدة من الجمعيات الطالبية الجهوية التي برزت على الساحة غداة الحرب العالمية الثانية. لقد طرحت الجمعية النفزاوية

(⁴²) الأرشيف الوطني التونسي (أبو.ت.)، السلسلة هـ (E)، صندوق 509، ملف 188.

(⁴³) الزهرة، 9 جانفي 1937، الشتوى (محمد)، "جمعية الشباب النفزاوي".

(⁴⁴) أبو.ت، السلسلة هـ (E)، الصندوق 509، ملف 463 (الطالب النفزاوي).

على نفسها مهمة ربط علاقات بين الطلبة النفرزاويين ومساعدتهم مادياً ومعنوياً وتأسيس مكتبة وفرع رياضي وفني ومسرحى القيام بمحاضرات متعددة. وقد تكونت أول هيئة لها من العناصر التالية : مصطفى زغدود، رئيساً؛ بلقاسم بن سالم المرزوقي، كاهية له؛ إبراهيم بن عبد الصمد، كاتباً عاماً؛ محمد الصالح الشتوى، كاهية له؛ عمر بن جمعة، أمين مال؛ نوati بن عزوز، كاهية له؛ وعضوية : علي بن عمر عبد الكريم والهادى المرزوقي وسعيد السهيلى وعلي القلالي والمحجوب بن محمد المحجوب. وفي أفريل 1947 حدث تحويل بسيط في هذه الهيئة بحيث تولى علي بن المكي المرزوقي منصب كاهية الرئيس، وانتصاراً إليها إبراهيم بنور، وغادرها كل من بلقاسم بن سالم المرزوقي وعلي بن عمر عبد الكريم⁽⁴⁵⁾. وفي جانفي 1955 انتخب هيئة تتكون من : محمد المهدى البرغوثى رئيساً؛ علي بن محمد المنصورى كاهية له؛ نصر بن غزال، كاتباً عاماً؛ عمر بن محمد الشتوى كاهية له؛ الحسين مرسيط، أمين المال؛ كاهيته : مصطفى الصادق الصغيرون - الأعضاء : الكيلاني بن محمد بن عمار، عبد الله بن علي بن نصر، أحمد بن حمدى العوتى، محمد حميدة، حسن بن بلقاسم بن سعيد، المراقب العام : محمد الحبيب بن الأمين⁽⁴⁶⁾. وإلى جانب هيئة المركزية تكونت لجمعية الطالب النفرزاوى هيئة فرعية تضم طلبة الفرع الزيتونى بقابى⁽⁴⁷⁾. وقد تكونت في مارس 1955 من العناصر التالية : الرئيس: صالح بن محجوب؛ كاهيته : محمد بوستة؛ الكاتب العام : عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بن حمادي؛ كاهيته : لطيف بن علي؛ أمين المال : العربى بن صالح؛ كاهيته : عبد الله بن الحاج يونس؛ الأعضاء: إبراهيم بن عمار بن الحاج، الهدادى البشرأوى؛ علي بن أحمد العذري؛ الطاهر بن حامد؛ حافظ المكتبة : البشير بن التهامى. لقد حققت جمعية الطالب النفرزاوى بعض المشاريع من أهمها تكوين مكتبة

⁽⁴⁵⁾ الزهرة، 26 افريل 1947، "جمعية التلميذ النفرزاوى".

⁽⁴⁶⁾ الزهرة، 30 جانفي 1955.

⁽⁴⁷⁾ تم فتح الفرع الزيتونى بقابى بمساهمة من عدد من الأهالى من بينهم نصر بن سعيد وأخوه محمد انقرماسى وعمر بن سعيد، ومصطفى بالولادى وعمار بن غومة وغيرهم. وقد تولى الشيخ محمد بن سليمان بإدارته منذ تأسيسه سنة 1949 وإلى إغلاقه سنة 1961. وكان يضم خلال السنة الدراسية 1949-1950 مائتين وخمسين طالباً. انظر : الزهرة، 11 ديسمبر 1949، المتوجول عـ، قـ، قـ، مشاهدة وسماع بالجنوب"، ص 2.

والقيام بالعديد من الأنشطة الثقافية من عروض مسرحية وسينمائية ومسابقات ومحاضرات، من ذلك أنها قامت في جانفي 1956 بتقديم تمثيلية عنوانها "انتصار المظلوم"، كما نظمت مسابقة ثقافية لللاميذ الفرع الزيتونى بقلي. وفي الشهر الموالى عرضت شريطاً سينمائياً مصررياً عنوانه "كأس العذاب" ودعت الشيخ الفاضل بن عاشور ليحاضر على منبرها⁽⁴⁸⁾. لقد استمر نشاط جمعية الطالب النفاوي إلى ما بعد الاستقلال حيث تكونت هيئتها في نوفمبر 1956 على النحو التالي : مصطفى بن الصادق الصغيرون، رئيساً ؛ صالح بن محمد محجوب، كاهية له ؛ أحمد الخموسي ابن الحاج، نائباً عاماً ؛ محجوب البليداوى، كاهية له؛ أحمد بن الطاهر، أمين مال ؛ بلقاسم بن محمود، كاهية له ؛ البشير بن التهامي (بن يعقوب)، حافظ المكتبة ؛ وعضوية كل من : مصطفى بن الغريبي بن صميدة، صالح البليداوى، بلقاسم المغربي، بلقاسم البليداوى؛ وأسندت الرئاسة الشرفية لرئيسها السابق نصر غزال، وتولى عبد الله الغريسي مهمة المراقب العام⁽⁴⁹⁾. والجدير باللاحظة هنا أن عناصر هذه الجمعية وغيرهم من الزيتونيين شكلوا الإطارات التعليمية والنخبة الثقافية للمنطقة لأكثر من عقدين لاحقين، في حين لم يتمكن أي طالب نفاوي من الدراسة بالمدرسة الصادقية ولا بالجامعات الفرنسية طيلة العهد الاستعماري⁽⁵⁰⁾.

جمعية الأخوة النفاوية⁽⁵¹⁾ : تأسست هذه الجمعية في جانفي 1950 بفرع صفاقس الزيتونى، وكانت تهدف إلى مساعدة الطلبة النفاويين مادياً ومعنوياً والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم. وقد التزمت بعدم النقاش السياسي أو الديني، كما اعتمدت تأسيس مكتبة وفرع مسرحي والقيام بمحاضرات أدبية وأخلاقية واجتماعية. وقد ضمت أول هيئة إدارية لها : محمد الحسين بن محمد بن يعقوب، رئيساً ؛ المهدى بن سالم، نائباً له ؛ الكيلاني بال حاج نصر، أمين مال ؛ عبد الرحمن بن بلقاسم، نائباً له ؛ عبد المجيد الصغير، نائباً عاماً ؛ وعضوية : إبراهيم بن صميدة وعامر بن سعيد بن

⁽⁴⁸⁾ الصباح، 19 فيفري 1956، "نشاط جمعية التلميذ النفاوي".

⁽⁴⁹⁾ الصباح، 8 نوفمبر 1956، "جمعية التلميذ النفاوي"، ص 3.

⁽⁵⁰⁾ مع الملاحظة هنا أن الأخوين نصر بن سعيد وعبد الصادق بن سعيد قد درسا بالمدرسة الحرية بسان سير (Saint-Cyr) بفرنسا، الأول قبيل الحرب العالمية الأولى والثاني خلال الأربعينيات.

⁽⁵¹⁾ أبو.ت، السلسلة هـ (E)، الصندوق 509، ملف 620 (الأخوة النفاوية).

عمار ومحمد بالحاج البشير . ولم ير نصر زغدود عامل نفزاً وة مانعاً في الموافقة على منح تأشيرة لهذه الجمعية.

جمعية الشباب المرزوقي: ظهرت هذه الجمعية في أفريل 1951 ومقرها بتونس العاصمة (29 نهج الصباغين)، وهي مفتوحة للطلبة من أصيلي بلدة دوز سواء كانوا يدرسون بالعاصمة أو بالفروع الزيتونية الداخلية . وتهدف إلى "تعزيز الروابط بين أفرادها والأخذ بيد الضعفاء مادياً وأيدياً" (52) . وقد شكلت هيئتها في نوفمبر 1951 كما يلي: الرئيس: محمد الصالح بن علي حامد؛ كاهيته: سالم بن حامد بن مبروك؛ الكاتب العام: علي بن محمد بن حامد؛ كاهيته: مصطفى بن محمد بن إبراهيم؛ أمين مال: محمد بن علي بن عمر؛ كاهيته: عبد الله بن محمد بن أحمد؛ عضوية: بلقاسم بن مصباح بن عبد الله، محمد بن علي بن حامد حافظ المكتبة (53) . لقد نجحت جمعية الشباب المرزوقي في تأسيس مكتبة و القيام بمسابقات أدبية وثقافية . وتواصل نشاطها على الأقل إلى سنة 1955 (54) .

الاتحاد الثقافي القلاعي: تأسست هذه الجمعية في سبتمبر 1955 وهي موجهة إلى الطلبة أصيلي بلدة القلعة، وتهدف إلى الاعتناء بنشر الثقافة بينهم . و تكونت أول هيئه لها على النحو التالي: الرئيس: عمر بن بو Becker بن منصور؛ كاهيته: بلقاسم بن منصور بن عبد العزيز؛ أمين المال: محمد بن إبراهيم بن عمر، كاهيته: محمد بن إبراهيم بن الحاج، الكاتب العام: محمد العبيدي بن دخيل، كاهيته: حرب بن سعيد الشين، المراقب العام: أحمد بن أحمد بن محمد (55) .

ولعل أنشطة مثل هذه الجمعيات الشبابية الطالبية هي التي مهدت المنطقة إلى النشاط الوطني . ففي سنة 1937 ، تكونت نواة لشعبة دستورية بدوز (56) كان يحركها الشاب سالم بن عبد الرحيم، وقد قام الطلبة الزيتونيون بالحاضرة بربطها بقيادة الدستور الجديد حتى تولى محمد المرزوقي تمثيلها رسمياً في مؤتمر نهج التريبونال

(52) الصباح، 12 أفريل 1951، "الشباب المرزوقي" .

(53) الصباح، 4 ديسمبر 1951، "جمعية الشباب المرزوقي" ، ص 4.

(54) الزهرة، 9 فيفري 1955، "جمعية الشباب المرزوقي، بشرى إلى الشباب المتعطش" .

(55) الصباح، 1 ديسمبر 1955، "نشاط الجمعيات" ، ص 5.

(56) المرزوقي (محمد وعلي)، ثورة المرازيق، نفس المرجع، ص 42-44.

(آخر أكتوبر - بداية نوفمبر 1937)، وأثناء الاحتلال المحوري للمنطقة (ديسمبر 1942-مارس 1943) أعاد بعض الطلبة -إضافة إلى التجار وال فلاحين- تأسيس الشعبة الدستورية بدورز، ومن بين مقرراتها الاتصال بشعبية الحامة للحصول على بطاقات الانخراط وتلقي تعليمات قيادة الدستور الجديد. غير أن هذه الشعبة لم تنشط فعليا، إذ انخرط عناصرها في انتفاضة المرازيق و تعرضوا بالتالي للمتابعة ومن بينهم عبد الله بن علي بن الحاج خريج الجامعة الزيتونة الذي أعدمه الفرنسيون بصفاقس بتهمة مساعدة المحور⁽⁵⁷⁾.

أما بقابلي فقد فشلت المحاولات الأولى لبعث شعبة دستورية، إذ سرعان ما كان مكتب الشؤون الأهلية يكشف عن عناصرها؛ وساحت الفرصة لثناء الاحتلال المحوري لبعث أول شعبة تابعة للدستور الجديد، وقد ساعد على ذلك بعض مناضلي الحزب القادمين خصيصا من دقاش، وضمت هيئة تلك الشعبة أحمد بالحاج لطيف والبشير العكاري وعبد الوهاب بالصغير ومحمد بالحاج محمود أحد أعضاء الهيئة الإدارية لجمعية الشباب النفراوي سنة 1937. وكانت هذه الشعبة تؤطر الغضب الشعبي وتنظم المظاهرات التي ترفع ثناءها الشعارات والأناشيد الوطنية. غير أن نشاطها لم يدم طويلا إذ سرعان ما عادت القوات الفرنسية وتعرض ما لا يقل عن عشرين عنصرا للاعتقال والمحاكمة؛ فأعدم الحبيب صماما دراويل بتهمة التعامل مع المحور، كما أصدرت المحاكم العسكرية الفرنسية أحكاما قاسية ضد عدد آخر من الوطنيين الذين نفوا إلى منطقة الغنامي بالصحراء الجزائرية⁽⁵⁸⁾. وفي سنة 1950 تكونت شعبة بازمة التي ترأسها بقلسم البازمي، وقد قامت بتوزيع بطاقات الانخراط على عدد من المشتركين حتى من خارج بلدة بازمة⁽⁵⁹⁾. كما كانت إلى جانبها في

⁽⁵⁷⁾ المرجع نفسه، ص 63.

⁽⁵⁸⁾ أفادنا بذلك كل من المرحوم الحاج الطاهر بن خالد وسيدي مصطفى الصغيرون.

⁽⁵⁹⁾ أطلعنا على بطاقة انخراط بهذه الشعبة لستي 1950 و 1951 باسم المناضل البشير بن عمار القريبي وهو من بلدة ليماقش. وقد التحق بالثورة سنة 1955، ومن بين المعارك التي شارك فيها إلى جانب اليوسفيين معركة جبل الزيتونة (أفريل 1956) ثم اتجه إلى الجزائر مع مجموعة من المقاومين، ولم يعود إلى تونس ويسلم سلاحه إلا في الصائفة الموالية. استقينا هذه المعلومات منه شخصيا بتاريخ 24 ديسمبر 2007 وقد أطلعنا على شهادة في ذلك بإحضانه الطاهر بن الأخضر الغربي مؤرخة سنة 1989.

تلك الفترة شعبتان آخرتان واحدة بقبلي ويرأسها محمد بن بلقاسم وأخرى بدو، وقد احتجت كلاهما على اعتقال القادة الوطنيين في مطلع سنة 1952⁽⁶⁰⁾. كما احتج أيضاً أهالي بلدة القلعة "ضد أعمال التزوير والتهديد والاستفزاز القائمة بها السلط الفرنسية ضد الشعب التونسي الأبي الذي صمم على التحصيل على حرية وكرامته كبقية شعوب الدنيا مهما كانت التكاليف..."⁽⁶¹⁾. وشن طلبة الفرع الزيتوني بقبلي إضراباً عن التعليم إلى أجل غير معنٍ "تضامنهم القوي مع شعبهم العزيز في كفاحه التحريري".⁽⁶²⁾.

وربما الأهم من ذلك أن عدداً من أبناء نفزاوة التحقوا آنذاك بالثورة المسلحة، وبرز من بينهم خاصة الطاهر الأخضر الغربي وعلي الصيد وبلقاسم البازمي الذي استشهد في جهة الكاف في أواخر أكتوبر 1954. كما ساهم طلبة نفزاوة بدورهم في تغذية العنف سواء بالمنطقة أو خارجها. إذ وقعت بعض "الأعمال التخريبية" التي تمكنت السلطات الاستعمارية من الكشف على مرتكيها من طلبة الفرع الزيتوني بقبلي ومن بينهم مصطفى الصغيرون والأمجد بن أحمد بالكلاني وعبد المجيد بالحاج الصغير والشير بنقي وعلي بالعيدي وعبد السلام بالعيدي. وقد صدرت على بعضهم أحكام بالسجن. كما ساهم بعض طلبة نفزاوة في مثل هذه الأعمال خارج المنطقة، ومن بينهم علي بن بوبكر البرغوثي الذي كان يدرس آنذاك بالفرع الزيتوني بقلبس والذي نشط في خلية قامت ببعض الأعمال التخريبية هناك إلى أن ألقى عليه القبض ونقل إلى معقل جلال ببنقردان ثم إلى معقل اللميizer بالجزائر⁽⁶³⁾. كما كان محمد بن بلقاسم المرزوقي أحد طالبين استشهاداً بالعاصمة في مظاهره 15 مارس 1954.

لكن يبقى الدور الأهم الذي اضطاع به الطلبة الزيتونيون هو أنه قاموا طيلة الفترة بالوصول بين المنطقة والحركة الوطنية عبر نشر الوعي والاستجابة لتعليمات القيادة الوطنية، رغم القبضة الحديدية على المنطقة. وقد بدأت ثمار مجدهما تترز للعيان

⁽⁶⁰⁾ انظر : الصباح، بتاريخ 13 فيفري و 20 فيفري 1952.

⁽⁶¹⁾ الصباح، 12 فيفري 1952، "القلعة (قبلي) لاتحة تأييد واستكارة"، ص 3.

⁽⁶²⁾ الصباح، 7 فيفري 1952، "نفزاوة، احتجاج من الطلبة الزيتونيين"، ص 3.

⁽⁶³⁾ ضيف الله (محمد)، المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات، مكتبة علاء الدين، صفاقس 2003، ص 65-66.

في السنوات الأخيرة من الوجود الاستعماري من خلال تأسيس جمعيات وفروع تابعة للمنظمات والجمعيات الوطنية. ويمكن أن ندلل على ذلك من خلال الجمعيات التالية:

- **الجمعية الخيرية الإسلامية بنفزاوة** : إذ كان للعنصر الزيتوني دور هام في تسييرها، وهذا ما يمكن تبيينه من خلال هيئتها التي تشكلت في اجتماعها السنوي المنعقد يوم 8 أفريل 1952، إذ ضمت تلك الهيئة السادة : عمر بن خديجة رئيساً، محمد الجليدي كاهية له؛ محمد بن الحاج محمود الصغير أمين المال؛ عبد الله بن مصباح كاهية له؛ صالح بن محمد القلاعي كاتباً عاماً؛ المحجوب بن محمد الفطناسى كاهية له. وعضوية: الحاج بلقاسم بن عمار، محمد بن محمد بن نصر، عبد الله بن الشيخ، الجيلاني بن لاغة، أحمد التواتي، إبراهيم بن عبد الصمد، بلقاسم بن علي، محمد بن حامد المرزوقي، محمد بن عبد الله القلالي، العبيدي بن الحاج عمر⁽⁶⁴⁾. ومن الأهمية الإشارة إلى أن ثلاثة عناصر من هذه الهيئة كانوا قد نشطوا سابقاً في قيادة جمعيتي الشباب وطلبة نفزاوة.

- **جمعية مقاومة الأممية ونشر التعليم بين العروش**: تأسست هذه الجمعية سنة 1949 بمبادرة من ابن المنطقة نصر بن سعيد⁽⁶⁵⁾، وقد فتحت لها فروعاً بمختلف مناطق البلاد بما في ذلك نفزاوة. وقد ضمت هيئتها المحلية التي أعلنت في أواسط سنة 1950 العناصر التالية : الرئيس محمد الأمين بن الحبيب، الذي كان في نفس الوقت عضو الهيئة المركزية للجمعية؛ وأحمد بن التواتي، كاهية الرئيس؛ الكاتب العام: إبراهيم بن علي بن خليفة البرغوثي؛ كاهيته: عبد الله السالمي؛ أمين المال: أحمد بالنور بن علي؛ كاهيته: عبد الله بن الحاج لطيف؛ وعضوية: الأخضر بن التهامي بن حميدة، عبد الله بن الشيخ، عبد الرحمن بن محمد الحبيب، صالح بن بلقاسم بن عمار، محمد بن محمد بن نصر⁽⁶⁶⁾.

- **الاتحاد العام التونسي للشغل**: ومن أهم الهياكل النقابية التي برزت بالمنطقة الفرع النقابي للتعليم الذي تأسس يوم 24 أكتوبر 1954، وقد تكونت هيئته آنذاك من

⁽⁶⁴⁾ الصباح، 20 أفريل 1952، "الجمعية الخيرية الإسلامية بنفزاوة (قبلي)".

⁽⁶⁵⁾ حول نصر بن سعيد، انظر بحثاً الموسوم "الخيمة والبيرق والحسان: قراءة في سيرة القائد نصر بن سعيد"، روافد، ع 10، 2005، ص 55-75.

⁽⁶⁶⁾ الزهرة، 2 جوان 1950، "جمعية مقاومة الأممية ونشر التعليم بين العروش".

سنة عناصر مناصفة بين معلمين من أبناء المنطقة وزملاء لهم من خارجها ؛ وقد أستندت إلى أبناء المنطقة المهام الرئيسية وهي الكتابة العامة التي تولاها إبراهيم بنور وأمانة المال التي أستندت إلى حسن ميلود إضافة إلى عضوية محمد صالح الشتوبي (67). ويندو أن هؤلاء المعلمين من خريجي الزيتونة لعبوا دوراً كبيراً في تسخير الاتحاد المحلي إذ تولى كتابته العامة إبراهيم بنور، ومن عناصره القادية أيضاً مصطفى زغود الذي كان قد ترأس سنة 1946 جمعية الطالب النفرزاوي. وقد تدعم هذا الاتحاد في ماي 1955 بانضمام نقابة عمالة الفلاح بضيّعة واد الملاح بعد انسلاخها من الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي (68).

وبالإضافة إلى تلك الجمعيتيين، تأسس في نفس الفترة تقريباً اتحاد محلي للفلاحة ونقابة للصناعية والتجار تابعة لمنظمة الأعراف (69). كما بدأت تعمل علنا الهياكل التابعة للحزب الحر الدستوري الجديد وعلى رأسها جامعة نفزاوة.

وهكذا أصبح المجتمع المحلي بنفزاوة مهيكلأ في جمعيات حديثة، أمكن لها أن تتكلم باسم المجموعة وتعبر عن رغبات المنطقة، من ذلك أنها اجتمعت في سبتمبر 1955 وطالبت الحكومة بما يلي:

- 1) تفجير الآبار الارتوازية في الأراضي الموات وتوزيعها توزيعاً عادلاً وإحياء الآبار الموصدة.
- 2) فتح حظائر للشغل حتى يقضى على البطالة المنتشرة في هذه البلاد مع تسميم متقد شغل في هذه الجهة.
- 3) توفير الممرضين والممرضات وتزويد المستشفى بسيارات الإسعاف
- 4) توزيع المياه على المنازل والتيار الكهربائي.
- 5) تعليم التعليم بكل قرى نفزاوة وإحداث قسم تكميلي بمدرسة قبلي.
- 6) تقسيم الأراضي المشتركة في أقرب الأجال.

(67) الزهرة، 13 نوفمبر 1954، "قبلي : تأسيس فرع نقابي للتعليم بقبلي".

(68) صوت العمل، 21 ماي 1955، "الانسلاخ وانضمام".

(69) صوت العمل، 17 سبتمبر 1955، "مظاهر الوحدة والكافح يوم 4 سبتمبر"، ص 4.

(7) إيجاد قرى نظامية صالحة لسكنى.

(8) تعبيد الطريق الرئيسية من الحامة إلى قبلي ثم الطرق الجهوية من دوز إلى فطناسة⁽⁷⁰⁾.

الخاتمة :

عهد النظام الاستعماري إلى مصالح الجيش الفرنسي بإدارة ما أصبح يسمى بالتراب العسكري الذي كان يشمل أغلب الجنوب التونسي ومن ضمنه منطقة نفزاوة. وقد أحكمت هذه الإدارة العسكرية القبضة الحديدية على المجتمع المحلي ووظفت لصالحها الصراعات القديمة بعدها أرست آليات القمع والإشراف الإداري. وقد نجحت تلك الإدارة في إخضاع المنطقة غير أن تراجع القبضة الحديدية نتيجة الظرفية العالمية، كان يؤدي إلى بروز مشاعر الثأر والعنف إزاء المستعمر وأبرز مثال على ذلك اتفاقية سنتي 1943 و 1944.

من جهة أخرى، ورغم بعد هذه المنطقة عن دوائر التأثير المباشر للحركة الوطنية، فقد نفذت إليها أصداء الخطاب الوطني ويعود الفضل في ذلك إلى طلبتها بالحاضرة، إذ ساهموا منذ الثلاثينيات في النضال الطالبي السياسي وكونوا الجمعيات القطاعية التي كانت تسعى إلى ربط اللحمة بين عناصرها وقواعدها وتؤطرها في سبيل بث الوعي بين الأهالي.

⁽⁷⁰⁾ نفس المصدر.

التحولات الاقتصادية والبشرية

(1881-1956)

عرف الاقتصاد النفزاوي تحت الاستعمار الفرنسي تحولات هيكلية، إذ تحطمت التوازنات القديمة التي كان يرتكز عليها، ووقع إدماج جانب منه في دورة جديدة. وقد شملت تلك التحولات خاصة القطاع الأول الذي أصبح يتذبذبًا مضاربياً، كما تزعزع التوازن القديم بين الفلاحة الواحية والقطاع الرعوي. وإضافة إلى ذلك تراجعت تجارة القوافل الصحراوية، وأصبحت علاقات المنطقة تتوطد مع المناطق الساحلية.

١- الاقتصاد النفزاوي تحت الاستعمار الفرنسي :

كان الاقتصاد النفزاوي يرتكز على قطاعين رئيسيين هما فلاح الأرض وتربية الماشية. فقد كان السكان المستقرون بشبه الجزيرة وبوسط المنطقة يمارسون فلاحاً جاهدة في الواحات، بينما سادت حياة التنقل والترحال وبالتالي تربية الماشية المناطق الجنوبية. لكن الفترة المعاصرة عرفت اتجاهها بطريقها ولكنها ثابت نحو حياة الإستقرار، إذ انفجرت المياه وامتدت الواحات الصغيرة فتراجع حياة الترحال والتنتقل.

أ. القطاع الفلاحي :

١/أ. المياه :

تشكل المياه الباطنية في منطقة صحراء كنفزاوة مصدراً للحياة وسبباً في نشوء الواحات واستقرار البشر. وقد كانت بها قبل الاستعمار الفرنسي مئات العيون الطبيعية بقي منها حتى أواسط الأربعينيات حوالي الثلاثمائة عين^(١). غير أنها تتفاوت من حيث دفقها مما أثر على مساحة الواحات المرتبطة بها، فلم تسمح العيون الطبيعية ببشلي

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 140. (١)

وجمدة وقلبادة والطوبية والقلعة وغيرها بتشوه واحات شايعة تلبي حاجيات سكانها بينما كانت عيون بازمة وطنبار وتت Bib تسمح بري واحات أكثر امتداداً إذ تحيط مياهها في أحواض، وعندما تبلغ حداً معيناً من الإرتفاع تبدأ عملية الري، إلا أن هناك عيوناً أخرى تسمح بري متواصل ليلاً نهاراً وأهمها :

- عين المنصورة : وهي عبارة عن مسطح مائي يتكون من حوضين، واحد الغريق وبلاعة الحديد، تتبعهما حوالى 100 ل/ث، بما كان يسمح بري واحات المنصورة والجديدة والرابطة وتلمين معاً. وينفصل حوضا العين بجدار أرجعه البعض إلى العهد الروماني، مما يدل على قدم هذه العين وواحاتها وبالتالي قدم الاستقرار البشري.
- عين تاورغى : تتكون من حوض متسع تتدفق منه 90 ل/ث، وهي تقوم بري واحات بشري وقطناسة والدبابشة.

- رأس العين : تتبع المياه من حولتها ومن عشرين نبعاً صغيراً داخلاًها وتتجتمع في حوضين ينطلق منها المجرى الرئيسي مشكلاً نهراً صبيحاً حوالى 75 ل/ث ينحدر باتجاه الواحة ثم ينقسم إلى ثلاثة مجاري رئيسية يتجه كل واحد منها نحو جانب من الواحة.

- عين الجرسين : تتكون من حوض مائي متسع به عدة منابع رئيسية غير أن كمية المياه التي تدفعها لم تكن هامة. فكان الأهالى يضطرون إلى جمعها في الحوض إلى حد معين ثم يقومون بالري. وبدالية من سنة 1918 ارتفع صبيب العين ليصل إلى 39 ل/ث مما مكن من الري المتواصل للواحة.

ومن جهة أخرى، كان نظام الري ببعض الواحات مثل قبلي والمنصورة يعتمد على القادوس الذي يقوم مقام الساعة المائية⁽²⁾، وهو وعاء نحاسي متقوس يسع من الماء حوالى لترتين ونصفاً تسكب كل دقيقتين وأربعين ثانية تقريباً⁽³⁾. وكان هذا النظام يهدف إلى ضمان الدقة والعدل في توزيع المياه على البساتين. ولذلك كان على المكلف به أو "قياس الماء" كما كان يسمى أن يحظى بتقى ملاكي الواحة.

Augias, "Deux années...", op. cit, pp. 44-45. ⁽²⁾

⁽³⁾ كانت الساعة الواحدة تستغرق 22 قادوساً.

يجلس "قياس الماء" بمكان معلوم من البلدة وتمثل مهمته في ملء الوعاء كلما فرغ، وفي كل مرة يقوم بإثبات عقدة بأحد الحبال، على أن لا يتجاوز عدد العقد العشرة بالحبل الواحد وذلك لتسهيل احتسابها فيما بعد. وعندما يصل القادوس الأخير ينطلق صاحب البستان الموالي أو خمسه ليـد الماء على البستان الذي كان بـصـدد الـري ويوجهـه إلى بـستانـه هو وـيبدأ عمـليـة العـد بالـقادـوس من جـديـد. وـكان هـذا النـظـام يعتمدـ في الصـيف حيثـ يـكـثـر التـبـخـر وـتـزـاد أـهـمـيـة المـيـاه، وـكان يـسمـحـ بالـنـسـبة لـواـحةـ قـبـليـ بـأـقـلـ من سـاعـةـ من الـريـ لـكـلـ مـائـةـ نـخلـةـ، وـذـلـكـ في دـورـةـ مدـتها عـشـرةـ أيامـ⁽⁴⁾.

غيرـ أنـ هـذا النـظـامـ لمـ يـكـنـ معـتمـداـ فيـ الـواـحـاتـ الأـخـرىـ، إـذـ وـقـعـ التـخـليـ عـنـهـ فيـ تـلـمـينـ مـثـلاـ. كـماـ أـنـ وـاـحةـ قـبـليـ ذـاـتـهاـ تـتـخـلـىـ عـنـهـ فـيـ فـصـلـ الشـتـاءـ فـتـصـبـحـ مـدـةـ الدـورـةـ السـقـوـيـةـ خـمـسـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ، عـلـىـ أـنـ فـتـرـةـ الـرـيـ تـصـلـ إـلـىـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ لـكـلـ مـائـةـ نـخلـةـ.

وـعـنـدـماـ حـلـتـ الـقـوـاتـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ بـالـمـنـطـقـةـ سـنـةـ 1882ـ لـمـ تـحـدـثـ تـغـيـرـاتـ هـامـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـضـعـ إـذـ اـهـتـمـتـ آـنـذـاكـ بـتـركـيزـ وـجـودـهـاـ وـلـمـ تـلـفـتـ إـلـىـ مـشـكـلـةـ المـيـاهـ إـلـاـ فـيـ بـدـاـيـةـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ عـنـدـمـاـ دـشـنـ الـكـولـونـيـلـ بوـجاـ (Colonel Pujat)ـ حـفـرـ الـآـبـارـ الـإـرـثـواـزـيـةـ⁽⁵⁾ـ، وـقـدـ حـفـرـتـ أـوـاـئـلـهاـ بـقـبـليـ وـبـازـمـةـ سـنـةـ 1909ـ. وـتـوـاـصـلـ هـذـاـ الـمـجـهـودـ إـلـىـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ، إـذـ حـفـرـتـ أـوـاـئـلـهاـ بـقـبـليـ وـبـازـمـةـ سـنـةـ 1915ـ حـوـالـيـ سـتـةـ عـشـرـ بـئـراـ كـانـ أـهـمـهاـ بـجـمـنـةـ (1912)ـ وـالـقلـعـةـ (1913)ـ وـتـلـمـينـ (1915)ـ وـيـتـجـاـوزـ صـبـيبـ الـواـحـدـ مـنـهـاـ 3500ـ لـدـ أيـ 58ـ لـثـ. أـمـاـ بـقـبـليـ فـقـدـ حـفـرـ حـتـىـ سـنـةـ 1914ـ ثـمـانـيـةـ آـبـارـ غـيرـ أـنـ أـهـمـهاـ (عـينـ نـالـوتـ)ـ لـمـ يـتـجـاـوزـ 19ـ لـثـ وـلـمـ يـتـجـاـوزـ الـبـئـرـ رـقـمـ 3ـ (1908)ـ وـالـبـئـرـ رـقـمـ 6ـ (1911)ـ نـصـفـ لـترـ/ـثـ، كـمـاـ لـمـ يـتـجـاـوزـ صـبـيبـ عـينـ الـمـاـكـيـنـةـ بـالـجـرـسـينـ (1913)ـ 2.5ـ لـثـ.

وـفـيـ الجـملـةـ فإنـ كـافـةـ الـآـبـارـ الـتـيـ حـفـرـتـ قـبـلـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ بـلـغـتـ بـضـعـ مـئـاتـ مـنـ الـلـتـراتـ /ـثـ، إـلـاـ أـنـ ذـلـكـ كـانـ فـيـمـاـ يـبـدوـ عـلـىـ حـسـابـ الـعـيـونـ الطـبـيـعـيـةـ وـقـدـ ثـبـهـ

Martel, *Les confins...*, op. cit., T1, pp. 85-86. ⁽⁴⁾

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 146 et R.G.F., *Historique...*op.cit., ⁽⁵⁾
p. 19 et sq..

برفنيكار (Pervinquier) منذ سنة 1912 إلى أن حفر آبار ارتوازية جديدة بقبلي سوف يؤثر على العيون القديمة⁽⁶⁾.

ومع ذلك، انطلقت عمليات الحفر من جديد بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة في الثلاثينيات، ومن الآبار الجديدة : ثلاثة بقبلي (1919 و 1926 و 1932) وإثنان بنقة (1921 و 1933) وواحد بكل من الرابطة (1923) وطنبار (1930) وتتيب (1931) والرحمات (1932) والمساعيد (1934). غير أن أقوى هذه الآبار وهو طنبار لم يتعذر .^{35/ث}

وفي الجملة فإن الفترة الاستعمارية شهدت حفر 78 بئراً ارتوازياً بكامل المنطقة⁽⁷⁾ وقد بلغت الطاقة الإجمالية لها حتى 1946 حوالي 660 ل/ث. وقد أدى ذلك إلى :

- امتداد المساحات المغروسة بالمنطقة. وقد امتدت بعض الواحات فعلاً بعدما كانت مساحتها ضيقة، ومن أهمها جمنة وبشلي ودووز والجرسين أي الواحات الجنوبية، وبالنسبة لدورن مثلاً لم يكن بها غير 4500 نخلة سنة 1862، وارتفع هذا العدد إلى 1909 سنة 19688 منها 3109 فقط خاضعة للإذاء أي أنها تجاوزت العشرين سنة⁽⁸⁾، والباقية دون ذلك. وفي سنة 1946 أصبحت واحدة دورن تعداد ثلاثة ألف نخلة⁽⁹⁾.

-تنظيم جديد لتوزيع المياه وصيانة المعدات، فقد أُنشئت بدفع من مكتب الشؤون الأهلية بقبلي نقابات حرة للأبار الارتوازية، تطورت إلى جمعيات ذات مصلحة مائية طبقاً لأمر 25 ماي 1930، ويشترف على كل جمعية مجلس إداري ينظر في الميزانية السنوية ويقرر الأعمال الواجب القيام بها⁽¹⁰⁾. وطبقاً لأمر 30 جويلية 1936 تحولت تلك الجمعيات إلى جمعيات للمصالح المشتركة، يتولى أعضاء كل واحدة منها دفع تكاليف البئر الارتوازي وصيانته فيما بعد وجمع رصيد إضافي لتعويضه في ظرف

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 36.⁽⁶⁾

Baduel (P. R.), *Société et émigration temporaire au Nefzaoua (Sud Tunisien)*,⁽⁷⁾

Ed. CNRS, Paris 1980, p. 48.

Martel, *Les confins...*, op. cit, T1, p.136.⁽⁸⁾

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 136.⁽⁹⁾

R.G.F., *Histoire...*,op.cit., p. 25 et sq.⁽¹⁰⁾

25 سنة. وتركزت هذه الجمعيات بكل من طنبار وتلمسين والرابطة وسوق البيراز والرحمات وجمنة والقلعة ودوز، ويقوم بتسييرها مجمع المصالح المائية الذي يرأسه رئيس مكتب الشؤون الأهلية بقلي (11).

وإضافة إلى ذلك لا بد من الإشارة إلى :

- أن حفر الآبار الإرتوازية أثر على العيون الطبيعية القديمة حتى الهامة منها، فقد جفت عين تاورغى تماماً عدة مرات أولاًها في أكتوبر - نوفمبر 1936 ثم في جويلية 1937 ثم في ماي 1940 (12). وإن كانت هذه العين تستعيد نشاطها من جديد فإن عشرات العيون الطبيعية الأخرى جفت نهائياً وبذلك انخفض عددها من 300 سنة 1946 إلى 200 سنة 1958 (13).

- أن الهدف البعيد من حفر الآبار الإرتوازية يتمثل في إخضاع الأهالي للسلطة وضمان ولائهم لها، ذلك أن المياه تسمح بتوسيع الواحات وبالتالي تشجيع السكان على الاستقرار فيصبحون أكثر خشية للنظام القائم خوفاً على مصالحهم، أما الرحل فإنهم مزعجون للسلطة (14) ودائماً التهرب منها وسرعيون الثورة عليها. ولذلك راهنت السلطات الاستعمارية على حياة الاستقرار.

ومن جهة أخرى كان من نتائج امتداد الواحات أن عرفت الهياكل العقارية بالمنطقة بعض التغيرات.

أ. الهياكل العقارية وطرق الاستغلال :

كانت الأراضي بنفزاوة تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي :

1- الأحباس : وهي أراضي غير قابلة للبيع أو التفريط فيها بأي وجه كان، وت分成 إلى أحباس خاصة وعامة. والخاصة منها هي التي جبّسها الخواص على نسلهم من الذكور عادة، وقد كانت منتشرة جداً في الواحات. كما جبس البعض نصبيهم في

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., pp. 151-152. (11)

Ibid., p. 142. (12)

Baduel, *Société...*, op. cit., p. 49. (13)

Ibid., p.57. (14)

الدوره السقوية⁽¹⁵⁾ حتى يسمحوا لورثتهم باستصلاح أراضي جديدة خاصة عندما تزحف الرمال على ملكياتهم القديمة. أما الأحساس العامة فقد كانت أملاكا خاصة لكن أصحابها حبسوها على مؤسسات عامة كالمساجد والزوايا وغيرها، وقد كانت تعد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر 4038 نخلة⁽¹⁶⁾، وكان بنفزاوة نائب عن جمعية الأوقاف يتولى الإشراف على هذه الأحساس، وقد كانت مداخيلها تبلغ بعد الحرب العالمية الثانية حوالي 300 ألف فرنك سنويا⁽¹⁷⁾.

- **الملكية الخاصة :** وهي بقية أراضي الواحات، وتمثل في بساتين محدودة المساحة عادة ومسيرة. ومع حفر الآبار الإرتوازية وتوفير المياه وقع التوسيع في الواحات وتوجيه إنتاجها نحو التسويق فكانت كل الأرض الجديدة فيما يبدو ملكيات خاصة. ومن جهة أخرى وقع ذلك التوسيع بمبادرتين إحداهما رسمية وأخرى غير رسمية :

- **الأولى :** أرادت السلطات تنظيم عملية التوسيع بهدف كسب ولاء الملاكين الجدد، فكانت تقسم الأرضي المعدة للاستصلاح إلى قطع مساحة الواحدة منها 25 آرا تقريباً، توزعها على طالبيها بالقرعة وتسند لهم عقود ملكية مؤقتة. وبعد فترة تدوم من 4 إلى 6 سنوات تجتمع لجنة تضم رئيس مكتب الشؤون الأهلية وأمين الفلاحية وإثنين من الأعيان لمعاينة مدى تقدم الأعمال التي قام بها الفلاح وينظر خاصة لكتافة الأشجار، فإذا توفرت تلك الكثافة يسد لصاحب القطعة عقد ملكية نهائي وتصبح أرضاً وبالتالي ملكية خاصة، أما إذا لم تتوفر كثافة معينة من الأشجار فقد يعطى لصاحب القطعة أجل إضافي بسنة أو سنتين حتى يتم التسجيل أو تسحب منه الأرض لتعطى إلى شخص آخر⁽¹⁸⁾.

⁽¹⁵⁾ Martel, *Les confins..., op. cit.*, T1, p. 86.

⁽¹⁶⁾ ببنغويث (الشيباني)، "أهمية الأوقاف العامة من النخيل في الحياة الدينية والاجتماعية بواحات نفزاوة خلال القرن التاسع عشر"، في، *المجلة التاريخية المغاربية*، س 21، ع 75-76، زغوان ماي 1994، ص 288.

⁽¹⁷⁾ Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, *op. cit.*, p. 188.

⁽¹⁸⁾ *Ibid.*, pp. 137-138.

وقد بلغت مساحة الأراضي الجديدة حتى سنة 1930 حوالي ثلاثة هكتار أستدلت إلى 1200 شخصاً وغرست بها حتى ذلك الحين 85 ألف شجرة مثمرة، من بينها 15 ألف نخلة دقلة و 10 آلاف نخلة من نوع كنفة ومثل ذلك تقريراً من الفطيمي و 5 آلاف زيتونة⁽¹⁹⁾.

- **الثالثية** : وهي المبادرة غير الرسمية في التوسيع يقوم بها الفلاحون على هامش الواحات القديمة، إذ في مرحلة أولى يقوم الفلاح بتهيئة قطعة أرض صغيرة مجاورة لبساته يزرعها حبوبًا سقوية ومن هنا حملت اسم المزرع، ثم في مرحلة ثانية يغرس بها أصولاً من الزيتون أو فسائل النخيل غير أن السلطات كانت تقاوم هذه الظاهرة التي نجحت رغم ذلك في توسيع الواحات القديمة.

ونظراً إلى أن هذه الملكيات الجديدة كانت صغيرة المساحة مثلاً في ذلك مثل الملكيات القديمة لم يوجد بنفزاوة ملائكون كبار، إذ لم يتجاوز عددهم بعد الحرب العالمية الثانية خمسة عشر لكل واحد منهم أكثر من ألف نخلة، كما تجاوز خمسة هكتار آخر حد أربعين نخلة⁽²⁰⁾، أي أن كبار الفلاحين ومتوازيم لا يملكون إلا سبعة بالمائة من نخيل المنطقة.

ولا بد في هذا الإطار من الإشارة إلى ضيعة واد المالح (هتشير المعلم)⁽²¹⁾، فقد منحت سنة 1922 لمعمر فرنسي قطعة أرض تقع جنوب قبلي على بعد إثنى عشر كم، وتبلغ مساحتها خمسة هكتار، وقد تكونت لتسخيرها الشركة التجارية الفلاحية للجنوب، التونسي (S.C.A.S.T) التي قامت سنة 1923 بحفر بئر ارتوازي بلغ صبيبته 16 ل/ث وأردى بئرين آخرين سنة 1927 : 75 و 12 ل/ث. وغرست شركة سكاست أربعة آلاف نخلة من نوع دقلة، واتسع نشاطها فأنشأت نزلًا سياحيًا ببرج فيلبار، قبل أن تبيعه سنة 1936 إلى أحد الخواص. وقد قام هذا المالك الجديد هو أيضاً بغراسة ضيعة بالقرب من النزل، غير أنها بقيت دون المكانة التي بلغتها ضيعة واد المالح.

R.G.F., Historique..., op.cit., p. 25 et sq.⁽¹⁹⁾

Moreau, Le pays des Nefzaouas, op. cit., p. 139.⁽²⁰⁾

Ibid., p. 139-140.⁽²¹⁾

3- الأرضي الجماعية : كانت بقية الأرضي بنفزاوة مراعي لمواشي مختلف القبائل ولم تكن هناك حدود بينها. وتمثل أهم الأرضي الجماعية في الظاهر جنوباً وسهول السقي والشارب شمالاً وهي تتلقى في بعض السنوات كميات هامة نسبياً من الأمطار، بما يمكن من زراعة الحبوب.

كانت هذه الأرضي الجماعية محل نزاع بين نفزاوة وجيرانها من جهة وعروش نفزاوة فيما بينها من جهة أخرى. فقد كان الحوامد مثلاً يدعون ملكية ثلاثة أرباع مساحة سهل السقي، فتدخلت السلطات لفض النزاعات بين مختلف الأطراف، ووقع تحديد الأرضي التابعة للمنطقة بالسقي سنة 1925. وفي إطار أمر 23 نوفمبر 1918 وقع التوصل إلى تحديد 82 ألف هكتار لنفزاوة⁽²²⁾ وزُعِّلت على مختلف مناطقها الترابية.

ومن جهة أخرى سادت بأغلب الواحات طريقة الاستغلال غير المباشر عن طريق الخامسة والعاملة الفلاحين خاصة منهم الموسميين. لقد ساد نظام الخامسة رغم صغر الملكيات. وكان الخامس الواحد يتلزم بالعمل بعد قطع فلاحية حتى يضمن ما يعول به أسرته، فكان يقوم بكل الأشغال المطلوبة منه مقابل نسبة معينة من الإنتاج تختلف حسب المنتوج وحسب الواحة، ولكنها عموماً تبلغ النسبة التالية : الخامس بالنسبة للتمور العادية أي غير الجيدة، الثمن بالنسبة للفطيمي، العشر بالنسبة للدقالة، الثلث بالنسبة للخضر والغلال⁽²³⁾.

وبالإضافة إلى اليد العاملة المحلية، كانت واحات نفزاوة تستقبل في فصل جندي التمور أعداداً هامة من اليد العاملة الموسمية القادمة خاصة من الوسط، وقد قدر عدد الوافدين سنة 1946-1947 بسبعة آلاف نسمة⁽²⁴⁾. كما أن ضيعة واد المالح كانت تشغّل عدداً من العاملة الفلاحين يضاف إليهم عدد آخر من العاملة الموسميين في فصل جندي التمور.

Ibid., p.158.⁽²²⁾

⁽²³⁾ بوبحي (سالم)، "النضال العمال والنشاط النقابي في القطاع الفلاحي بواحات الجنوب العربي (الجريدة ونفزاوة) 1947-1959"، في، المجلة التاريخية المغاربية، س 21، ع 75-76، زغوان ماي 1994، ص 259.

⁽²⁴⁾ Morcau, Le pays des Nefzaouas, op. cit, p. 135.

٣/ أ. الإنتاج الفلاحي :

ترتكز فلاحة الواحات على الغراسات وخاصة منها أشجار النخيل الذي أصبح منذ العقد الثاني من القرن العشرين يعرف تحولات هامة واتجاهها نحو التسويق. كما نجد في مستوى ثان الأشجار المثمرة الأخرى من زياتين وتين ومشماش وخوخ ورمان وغيرها. وفي مستوى ثالث نجد الخضر والحبوب والمواد العلفية وأساساً من بينها البرسيم. وإذا يوجه قسم من الإنتاج إلى التسويق فإن قسماً آخر يوجه للاستهلاك المحلي والعائلي.

* النخيل :

تطور عدد النخيل بنفزاوة من 323 ألف سنة 1862⁽²⁵⁾ إلى 557 ألف سنة 1911⁽²⁶⁾، وفي سنة 1946 بلغ هذا العدد 682 ألفاً⁽²⁷⁾؛ وبقطع النظر عن الدعاية الاستعمارية التي ركزت على الأرقام لتبيين التطور الذي عرفته الواحات في ظل نظام الحماية، فإن أعداد النخيل قد تضاعفت تقريباً خلال أقل من قرن.

هذا وتتركز أهم الواحات في الجزء الشمالي من المنطقة، إذ حافظت هذه الواحات على مكانتها القديمة طوال الفترة الاستعمارية، واحتلت المشيخات الشمالية السبع⁽²⁸⁾

(²⁵) يتبع *الشيباني*، "النخيل في نفزاوة ودوره الاقتصادي والاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، في، *المجلة التاريخية المغاربية*، س 20، ع 71-72، زغوان ماي 1993، ص 569-568، لكن تجدر الملاحظة أن كتابات أخرى تذكر أن عدد نخيل نفزاوة كان يقدر بـ 160 ألف نخلة سنة 1881 في محاولة منها لتصحيح الزيادة المسجلة في الفترة الاستعمارية، انظر مثلاً : Louis (A.), *Aux Nefzaoua, le palmier et les hommes, du semi-nomadisme à la sédentarisation*, Extrait remanié de IBLA, 1968, p.18.

Martel, *Les confins...*, op. cit., T2, p. 182.⁽²⁶⁾

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 136.⁽²⁷⁾

(²⁸) علامة على واحة مركز المشيخة تضم المشيخات الشمالية الواحات التالية : مشيخة قبلي (الرحمات وبازمة)، مشيخة تلمين (ابن وقطعاية والجديدة) والمنصورة (طنبار وتتبيب والرابطة ولماقس) وبقري (الدبابشة وقطنانة وزاوية العائش) وبوعبد الله (القليعة وزاوية الشرفاء) والمنشية (استقطيمي وجزيرة الوحيشي) وأم الصمعة (زاوية الحرث).

المراتب السبع الأولى من حيث عدد النخيل، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجدول التالي (٢٩) ومقارنته مع ما في الجدول الثاني:

% الزيادة		السنوات			
1946-1909	1909-1862	1946	1909	1862	المشيخة
%10	%60	88	80	50	قبلي
%2.5	%53	80	78	51	تلمين
%41	%130	75	53	23	بشري
%12.6	%61	71	63	39	المنصورة
%10	%51	62	56	37	بوعبد الله
%50	%81	60	40	22	المنشية
%2-	%61	41	42	26	أم الصمعة

الجدول رقم ١ : تطور أعداد النخيل بمشيخات نفزاوة الشمالية (الوحدة : الف)

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ :

- أن نسبة نمو الواحات كانت في الفترة الأولى (١٨٦٢-١٩٠٩) أهم منها في الفترة الثانية (١٩٠٩-١٩٤٦)، مما يعري الدعاية الاستعمارية التي تحاول إبراز ما قامت به من تنمية بالمنطقة وخاصة منذ حفر الآبار الإرتوازية.

- أن العواصم التاريخية لنفزاوة احتلت المراتب الأولى، وهذا مرتبط بتوفير المياه الطبيعية خاصة، إذ لم تحرف آبار ارتوازية بشري وبوعبد الله والمنشية، ومع ذلك ارتفع عدد نخيلها، بل إن أهم الزيادات التي سجلت في الفترة (١٩٠٩-١٩٤٦) كانت بالمنشية وبشري. أما مشيخة تلmine فلم تسجل إلا زيادة بـ 2.5% رغم حفر بئرين هامين بكل من تلmine سنة ١٩١٥ والقطعاوية سنة ١٩٣٤.

(٢٩) اعتمدنا في وضع هذا الجدول وكذلك الجدول المولاي على المصادر التالية : بنباخت، "النخيل...", نفس المرجع، ص ٥٦٨-٥٧٠ بالنسبة للعمود الأول، أما العمودان الثاني والثالث، فقد اعتمدنا على كل من مارتيل (ج ٢، ص ١٨٣) ومورو (ص ١٣٦).

أما بالنسبة للواحات الجنوبية فقد سجلت زيادات أлем دون أن تستطيع تجاوز الواحات الشمالية وهذا ما يبرزه الجدول الموالي :

% الزيادة		السنوات			
1946-1909	1909-1862	1946	1909	1862	المشيخة
%42	%100	40	28	14	جمنة
%230	%100	33	10	5	القلعة
%52	%250	32	21	6	الجرسين
%57.8	%322	30	19	4.5	دوز
%27.6	%81	27	21	11.6	بشيلى
%85.7	%75	13	7	4	العذارى

الجدول رقم 2 : تطور أعداد النخيل بمشيخات نفزاوة الجنوبية (٣٠) (الوحدة : ألف)

من خلال هذا الجدول نلاحظ ما يلي :

- أن نسبة نمو هذه الواحات سواء في الفترة الأولى أو في الفترة الثانية تتجاوز بصفة عامة نسب نمو الواحات الشمالية.

- أن واحات جمنة والجرسين ودوز وبشيلى عرفت انخفاضاً في نسب نموها بين الفترتين، رغم حفر آبار ارتوازية بكل من جمنة وبشيلى ودوز بينما زادت نسبة نمو واحات العذارى والقلعة، إذ سجلت هذه الأخيرة نسبة زيادة بـ 230% في الفترة الثانية وأصبحت تمسمح 80 هكتاراً، كما أصبحت واحة جمنة تمسمح 70 هك (٣١). ولعل ذلك يعود إلى إنشاء ضيعتين هما قراد التي كانت على ملك القايد نصر بن سعيد، وضيعة واد الملاح التي تعود إلى شركة سكاست.

وفي الجملة فإن نسبة النمو في الفترة الأولى كانت ألم منها في الفترة الثانية، إذ بلغت الزيادة السنوية في فترة (1909-1862) 4780 نخلة، ولم تتجاوز في فترة

(٣٠) تجدر الإشارة إلى أن دوز هي ثلاثة مشيخات، كما ألقا من جهة أخرى لم نورد الإحصائيات التي تهم مشيخات أولاد بعقوب والصابرية وغريب.

Moreau, Le pays des Nefzaouas, op. cit., p. 135.(٣١)

(1946-1909) نخلة جديدة سنوياً، وبذلك نامس نسبة نمو الواحات في العهد الاستعماري الذي تمتّه الفترة الثانية، أما الفترة الأولى فإن ثلاثة أخماسها (1862-1882) سبقت الاستعمار ولم تهتم السلطات في بقية هذه الفترة بنمو الواحات.

لكن أهم ما عرفته المنطقة هو التوجّه إلى تحسين جودة التمور بغراسة صنف الدقلة التي لم يكن يتجاوز عدد نخيلها في بداية العقد الأخير من القرن التاسع عشر 610 نخلة، أضيفت إليها في العقد المولاي 1114 نخلة، وفي سنة 1909 بلغ العدد الجملي لنخيل الدقلة 3649 توجّد أغلبها بقبلي 2115 ثم بوعبد الله 552 والمنشية (32). وفي سنة 1936 بلغ عدد نخيل الدقلة بنفزاوة 17095 نخلة، غرسَتْ أغلبها بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة خلال سنة 1920 (4443 نخلة) و 1925 (6212 نخلة) (33). وبذلك ارتفعت نسبتها من 0.7% سنة 1911 إلى 3% من جملة نخيل نفزاوة، لتبلغ 10% سنة 1946 أي جملة 70 ألف نخلة (34). ومن نافلة القول إن هذا التطور أدخل المنطقة في دورة اقتصادية جديدة إذ أن إنتاج تمور الدقلة موجه للتصدير أساساً.

* الزياتين :

كان فلاхи نفزاوة يغرسون الزياتين في محيط الواحات ويستقونها في فصل الشتاء بفوائض مياه الري. وكانت تلك الزياتين توفر بعض الحاجيات من الزيوت؛ وقد بلغت مداخيلها سنة 1903 حوالي 6% مقارنة مع مداخيل التمور (35)، إلا أن نمو عدد الزياتين كان بطبيعة مقارنة مع النخيل، إذ كان بكامل نفزاوة قبل عشرين سنة من دخول الاستعمار الفرنسي سبعة آلاف أصل زيتون، توجّد أهمها بواحات تبيب وبوعبد الله والقليعة وبازمة والرحمات (36). وفي سنة 1946 بلغ العدد الجملي للزياتين 11540

Martel, *Les confins...*, op. cit., T1, pp.182-183. (32)

Statistique générale de la Tunisie, 1936, pp. 100-101. (33)

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 125. (34)

Martel, *Les confins...*, op. cit., T2, p. 183. (35)

(36) بنبلغيث، "النخيل...", نفس المصدر، ص 574-575.

منها 3 آلاف بواحات متباعدة بوعبد الله و 1900 بواحات المنصورة وخاصة منها
واحة تتبّبب، و 1500 بواحات قبلي وخاصة منها واحة بازمة (37).

* الأشجار المثمرة الأخرى :

كانت هذه الأشجار تتخلل النخيل وتشكل بالتالي الطبقة الثانية في الواحات، وهي
متنوعة وأهمها (38) :

- التين : لعلها من أقدم الأشجار التي جاورت النخيل بالمنطقة، وقد بلغ عددها
سنة 1946 : 28500 شجرة. وهي منتشرة بالواحات القديمة خاصة منها المنصورة :
7500، وتلmine : 5 آلاف، ومثل ذلك بقلي. ثم وبدرجة ثانية المنشية : 2500
وبوعبد الله : 2400، وبشرى : 1500، وأم الصمعة: 1200.

- الرمان : كان بنفزاوة سنة 1946 : 11580 أصل رمان توجد أهمها بالمشيخات
التالية : قبلي : ثلاثة آلاف، تلmine: ألفان، المنصورة : 1500.

- الخوخ : 10820 أصل، توجد أهمها بواحات المنشية : 4500، وقبلي :
1700، وبوعبد الله: 1100، وتلmine : 1000.

- المشماش : 3410 أصل، منها بيشلي : 900، والمنصورة : 700، وقبلي:
600، وتلmine : 550.

غير أن إنتاج هذه الأشجار كان يستهلك محلياً، وكان المشماش والتين يجفان
ليتحول الأول إلى "فرماس" يستعمل في إعداد بعض الأطعمة، ويسمى التين المجفف
"الشريخ" وكان يستهلك في فصل الشتاء.

* الزراعات التحتية :

كانت الواحات توفر حاجيات أصحابها من الخضر خاصة منها الجزر واللفت
والسلق والقلفل والبصل والثوم والقرع إضافة إلى حاجياتهم من البطيخ والدلاع والذرة
والدخن. ولم تكن هذه المنتوجات توجه إلى خارج المنطقة. كما كانت الواحات توفر

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 136. (37)

Ibid. (38)

المواد العلفية للمواشي من ذلك أن مساحات هامة من واحة المنصورة كانت تخصص للبرسيم الذي يستعمل كعلف للخيول (٣٩).

* الحبوب :

كانت هوامش الواحات تتخذ في العادة مزارع للحبوب من قمح وشعير تسقي من فراغن المياه في فصل الخريف والشتاء وبداية الربيع، وكانت تلك المزارع توفر بعض الكميات التي تخصص للاستهلاك العائلي.

أما أهم الأراضي المنتجة للحبوب فتتمثل في سهول السقفي والشارب والظاهر، إذ كان سكان المنطقة يتوجهون إليها في السنوات الممطرة فيحرثون ويزرعون في الخريف ويحصلون في بداية الصيف. وقد كان المردود يبلغ في سنوات الصافية أرقاماًقياسية من ذلك أن محاصيل سنة 1911 بلغت مائة وخمسين مرة قيمة البذور (٤٠)، وقبل ذلك أي في سنة 1903 قاربت مداخيل الحبوب مداخيل التمور (٤١). أما في سنوات الجفاف فلم يكن الإنتاج يتجاوز ضعف أو ثلاثة أضعاف البذور، وربما فقد الفلاح ما بذر. كما أن المساحات المزروعة لم تكن هامة إذ في موسم 1944-1945 لم تتجاوز 975 هكتاراً من جملة 75 ألف هكتار، وفي السنة الموالية بلغت 1350 هكتاراً (٤٢). وكثيراً ما تبقى المساحات المزروعة محدودة نظراً للتواصل الجفاف، مما جعل المنطقة غير قادرة على توفير حاجاتها من الحبوب. كما أن الجفاف كان يؤثر بصفة مباشرة على الثروة الحيوانية.

ب- تربية الماشية :

لقد تركزت الحياة الاقتصادية لسكان الواحات الشمالية على فلاحة الأرض، واحتلت تربية الماشية لديهم حيزاً هاماً ولم تكن قطاعتهم من الضأن والماعز تتتجاوز محيط الواحة إلا ببعض كيلومترات وتعود في المساء إلى أصحابها مقابل خمس فرنكات شهرياً على كل رأس. أما إذا تجاوز أحد القطعان العشرات فإن أصحابها

Ibid, p.165.(٣٩)

Ibid, p.155.(٤٠)

Martel, *Les confins...*, op. cit., T2, p.183.(٤١)

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 155.(٤٢)

يكفون بها راعيا من البدو ينتقل بها بين مواطن الكلأ والماء مقابل كساء سنوي ينكون من جهة صوفية وبرنس ومداس وأربعة خرفان على كل مائة رأس إضافة إلى كمية من الشعير (43).

غير أن تربية الماشية بقيت اختصاصا للرجل ونصف الرجل من قبائل المرازيق وغيرب أولاد يعقوب والعذاري والصابرية، إذ كانوا ينتقلون مع قطعانهم من مكان إلى آخر وكانوا يمتلكون نسبة هامة من الثروة الحيوانية بنفزاوة. وطبقا لأرقام سنة 1946 (44) كان للمرازيق 1346 رأسا من الإبل أي 22% من إبل المنطقة، كما كان لغريب 1266 رأسا أي نسبة 20%. أما بالنسبة للضأن فإن المرازيق كانوا يمتلكون 33% من ثروة المنطقة أي 8848 رأسا من جملة 26753، وتجاوز كل واحد من بقية العروش رقم ثلاثة آلاف رأس. وبالنسبة للماعز كان المرازيق يمتلكون 16338 رأسا أي 31% من قطuan نفزاوة ويمتلك العذاري 7260 رأسا والصابرية 7062 وغيرب 4323 وأولاد يعقوب 3771 من مجموع 48450 رأسا.

أما إذا وزعنا رؤوس الحيوانات على أفراد تلك القبائل (45) فإننا نجد أن غيرب يحتلون المرتبة الأولى في تربية الإبل والضأن، بينما يحتل الصابرية المرتبة الأولى في تربية الماعز والثانية في الضأن والثالثة في الإبل، ويحتل أولاد يعقوب المرتبة الثانية في الإبل والماعز والثالثة في الضأن.

ومن جهة أخرى عرفت الثروة الحيوانية بنفزاوة تطورا هاما إلى أواسط الأربعينيات، وهذا ما يبرزه الجدول التالي :

1946	1930	1920	
الإبل			
الماعز			
الضأن			

Martel, *Les confins...*, op. cit., T1, p. 86. (43)

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 166. (44)

(45) كان المرازيق يعدون سنة 1946 : 8235 نسمة، أما العذاري فعددهم 3175 نسمة وأولاد يعقوب 2974 والصابرية 2705 وغيرب 2020.

إن هذه الإحصائيات تبين أن قطبيع الإبل ازداد في ظرف 26 سنة بنسبة 72%، وسجل الماعز زيادة بـ 100%， والضأن زيادة بـ 84%. ولا يمكن أن تخفي هنا تلك النسب الانخفاضات التي كانت تسجل في سنوات الجفاف والتي سرعان ما يقع تلافيها في السنوات المولالية؛ غير أن سنة 1947-1948 سجلت انخفاضاً مهولاً لم يقع تجليزه إلى ما بعد سنة 1956 إذ قضى الجفاف على 60% من الإبل و80% من قطعان الماعز والضأن (46)، فكان أن تدهور المستوى المعيشي للرحل وأنصارف الرحل فتوجهوا بجدية نحو حياة الاستقرار، واحتل التوازن بين الفلاحنة وتربية الماشية، لكن الواحات لم تكن قادرة على الاستجابة لحاجيات هذا الرصيد البشري الجديد خاصة وأن القطاعات الأخرى لم تعرف تطوراً ملحوظاً.

جـ- الحرف :

لم تؤد الأبحاث عن المواد الأولية بالمنطقة إلا إلى اكتشاف منجم صغير للمنغنيز بجبل الشارب، شرعت شركة بريطانية في استغلاله واستعملت لذلك عمالاً من جهة قفصة، وكان الإنتاج ينتقل إلى صفاقس غير أن الأشغال توقفت سنة 1939 رغم أنه يحتوي على نسبة تتراوح بين 50 و55% من مادة المنغنيز (47)، ولم تستند نفزاوة وبالتالي من هذا المنجم.

ومن جهة أخرى بقيت الصناعة ذات طابع حRFي ويشكل النسيج أهم قطاعاتها إذ تتوفر المواد الأولية من صوف وشعر ووبر بالمنطقة، وكان هذا القطاع من اختصاص النساء إذ يعتبر العمل به وإجادته أحد أهم العناصر التي تقيم بها المرأة عند الزواج، ويندر أن يوجد منزل بدون منسج.

ومن الصوف كانت النساء يصنعن بمنازلهن البرانس والحوالي (48) والأغطية الصوفية، وقد اشتهرت كل من بلديتي أم الصمعة والعوينة بجودة منتوجاتها من البرانس، ويجمع ذلك الإنتاج تجار متقلون يوجهونها نحو الأسواق البعيدة.

Baduel, Société..., op. cit, pp. 54-54 bis. (46)

Moreau, Le pays des Nefzaouas, op. cit, p. 174. (47)

(48) مفردها حولي وهو قطعة مستطيلة (9 أذرع×3) يصنع من الصوف ويستعمل عوض البرانس في بعض مناطق الجنوب وجهات طرابلس.

وكان هذا القطاع مزدهرا حتى بداية الفترة الاستعمارية إلا إلى سنة 1885 كانت نفزاوة تصدر سنويا إلى خدامس أربعة آلاف حولي و 1200 برنـس⁽⁴⁹⁾، وفي سنة 1903 بلغت المداخيل المتأنية منه 120 ألف فرنك بينما بلغت مداخيل التمور على أهميتها في اقتصاد المنطقة - 185 ألف فرنك⁽⁵⁰⁾، غير أن تدهور تجارة القوافل في اتجاه الجنوب جعل هذا القطاع يوجه منتوجاته شرقا إلى قلبـس ومنها إلى أسواق أخرى بالجنوب والشمال.

أما من مادتي الشعر والوبر، فكانت البدويات يصنعن الغرارـة لحمل الأثقال وخزن الحبوب والتمور، كما ينسجن الفلاجـنـ التي يجمع عدد منها إلى بعضها لتصبح خيمة. ومن مادتي الصوف والشعر كان رجال غريبـ والصـابـرـية يصنـونـ الأـذـبةـ الصـحـراـوـيـةـ التي يـسمـىـ الواـحـدـ مـنـهاـ العـفـانـ،ـ غيرـ أنـ نـاطـقـ اـسـتـعـمـالـهـ كانـ مـحـدـودـاـ ولـمـ يـكـنـ يـرـوجـ بـالـأـسـوـاقـ.

وإضافة إلى النسيجـ،ـ نـجدـ صـنـاعـةـ الجـلدـ إـذـ كـانـتـ القـوـافـلـ الصـحـراـوـيـةـ تـجـلـبـ الجـلـودـ السـوـدـانـيـةـ إـلـىـ دـوـرـ حـيـثـ يـقـعـ تـحـوـيلـهـاـ إـلـىـ أـذـبةـ يـسـمـىـ الواـحـدـ مـنـهاـ مـدـاسـ كـانـ يـسـتـعـمـلـهـ الـبـدـوـ فـيـ تـقـلـاتـهـمـ.

أما المواد الأولية المتأنية من النخيل فكانت تحول في نطاق عائلي إذ تصنع من الليفـ الـحـبـالـ،ـ وـمـنـ السـعـفـ الـقـفـافـ وـالـمـظـلـاتـ وـالـمـروـحـاتـ،ـ وـمـنـ الـخـشـبـ الـأـبـوـابـ وـالـأـسـقـفـ وـبـعـضـ أـجـزـاءـ الـمـنـسـجـ.

وفي الجملـةـ فإنـ الصـنـاعـةـ النـفـزاـوـيـةـ حـافـظـتـ عـلـىـ طـابـعـ حـرـفـيـ وـكـانـ نـاطـقـ تـرـوـيـجـهاـ فـيـماـ عـدـاـ النـسـيـجــ ضـيقـاـ.

دـ.ـ التجـارـةـ:

1/ـ دـ.ـ التجـارـةـ المـحلـيةـ :

شهدت التجـارـةـ المـحلـيةـ تـطـورـاـ مـلـحوـظـاـ بـإـحـدـاثـ ثـلـاثـةـ أـسـوـاقـ أـسـبـوعـيـةـ مـوزـعـةـ جـغـرـافـياـ عـلـىـ شـمـالـ الـمـنـطـقـةـ (ـسـوقـ الـأـحـدـ)ـ وـوـسـطـهـاـ (ـسـوقـ الـبـيـازــ قـبـلـيـ)ـ وـجـنـوبـهـاـ

Ibid., p. 167.⁽⁴⁹⁾

Martel, *Les confins..., op. cit.*, T2, p.183.⁽⁵⁰⁾

(دوز)، وزمنيا على أيام الأحد والثلاثاء والخميس. والسوق هو عبارة عن مساحة مربعة الشكل وفسيحة يحيط بها ستون دكانا. وقد أقيم سوق الأحد سنة 1938 بين قرى المنشية وبوب عبد الله والقليعة، بينما أقيم سوق البياز شمال واحة قبلي في مكان غير بعيد عن قرى تلمين والمنصورة الجديدة إضافة إلى بازمرة والرحمات؛ وقد كان يسيطر على التجارة فيه اليهود.

وكانت هذه الأسواق تتفاوت من حيث أهميتها وحركتها، ويمكن تبيان ذلك من خلال أرقام معاملاتها. ففي الفترة الممتدة بين أبريل 1945 وأبريل 1946 مثلًا بلغ مجموع المعاملات التجارية بالأسواق الثلاث حوالي 107 مليون فرنك⁽⁵¹⁾. وقد احتكر منها سوق دوز نسبة 39%， وأحتل سوق البياز المرتبة الثانية بنسبة 34% بينما لم يسجل سوق الأحد غير 26%.

ومن جهة أخرى، كانت حركة هذه الأسواق تزداد في فصل الخريف بمناسبة جندي التمور ومثال ذلك سوق قبلي إذ تسجل المعاملات ارتفاعا هاما في فترة أكتوبر-جانفي وخاصة في شهر نوفمبر.

2/د. التجارة مع المناطق الأخرى :

كانت نفزاوة قبل الاستعمار الفرنسي مرتبطة بالمسالك التجارية الصحراوية، إذ كانت القوافل القادمة من جنوب الصحراء تصل إلى غدامس ومنها تتجه في اتجاهها إلى البلاد التونسية ثلاثة مسالك، يتجه أحدهما نحو قابس والآخران نحو الجريد ونفزاوة⁽⁵²⁾، وقد كانت القوافل تتطلق من غدامس في اتجاه تيارت ثم المنتصر دوز وقبلي وطرة، وتخترق الشط في اتجاه الجريد أو قفصة، ومن هناك إلى تونس. وكانت المنطقة تستفيد من بعض البضائع التي تحملها هذه القوافل ومن بينها خاصة الجلود السودانية المسماة بالفيلي وذئب العبيد، كما تزودها عند عودتها بالمنسوخات الصوفية الجيدة من حوالي وبرانس. وكان المرازيق والعذاري يصدرون نحو غدامس الحبوب والسمن والمواشي.

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 173.⁽⁵¹⁾

Martel, *Les confins...*, op. cit., T1, pp. 93-95.⁽⁵²⁾

غير أن هذه التجارة تراجعت مع دخول الاستعمار الفرنسي وأصبحت المنسوجات النفزاوية توجه نحو قرى ومدن الجنوب التونسي وبصفة أقل نحو البلاد الخرابلية، وشجعت السلطات الاستعمارية التجارة بين الجنوبيين الجزائري والتونسي، فكانت تربط بينهما في بداية القرن حوالي ستين قافلة سنويا، يقودها تجار من ورقلة، فيمرون بدور في اتجاههم نحو قابس التي يتزودون منها بالسكر والقهوة والشاي والتوايل⁽⁵³⁾. إلا أن المنطقة بقيت مجرد ممر لهذه القوافل.

أما الملاك القديم مع الجنوب فقد عوضته تجارة التهريب التي كانت السلطات تقاومها بشدة ولا يتورع أعنوانها عن إطلاق النار على التجار الذين يهربون البارود من طرابلس إلى الجزائر، ويجلبون إلى المنطقة النبع السوفي⁽⁵⁴⁾، غير أن هذه التجارة لم تكن تعود بالفائدة إلا على فئة قليلة من السكان.

كما أن منطقة نفزاوة كانت وجهة لقوافل الحبوب القادمة من إفريقيا أي الشمال التونسي والتي تأتي في الخريف من كل سنة لاستبدال حمولاتها بالتمور فكانت ساقية التمر تستبدل بساقية من الشعير أو قلبية من القمح⁽⁵⁵⁾. وكانت التمور المطلوبة ذات نوعية عادية إذ يسهل نقلها وحزنها. وقد بلغت كمياتها في موسم 1945-1946 حوالي ثلاثة آلاف طن⁽⁵⁶⁾، وكانت المنطقة في مقابل ذلك تتزود بحاجياتها من المواد المصنعة.

وفي الجملة وقعت رزععة العلاقات التجارية القديمة لنفزاوة في سبيل تركيز علاقات جديدة ربطتها أكثر بالشريط الساحلي دون أن تقضي على علاقاتها القديمة مع مناطق السبابس والشمال التونسي، فدخلت المنطقة في دورة تجارية جديدة جعلتها مصدراً للتمور وسوقاً لترويج البضائع المصنعة القادمة من السواحل أو الحبوب القادمة من المناطق الشمالية.

Augias, "Deux années...", op. cit., pp. 52.⁽⁵³⁾

Ibid.⁽⁵⁴⁾

⁽⁵⁵⁾ تساوي ساقية التمر حوالي 6.5 كغ وساقية الشعير 8.5 كغ وقلبية القمح 4.5 كغ.

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 171.⁽⁵⁶⁾

من جهة أخرى، وإن تواصلت طريقة المقايضة في بعض القطاعات فإن الاقتصاد النقي فرض نفسه في آخر الفترة على المعاملات التجارية، وقد كان هذا التحول الاقتصادي موازياً لتحولات بشرية هامة.

2- التحولات البشرية :

أ. النمو السكاني :

كانت نفزاوة تعداد سنة 1883 حوالي 18 ألف نسمة⁽⁵⁷⁾، وفي سنة 1926 ارتفع عدد سكانها إلى 31806⁽⁵⁸⁾، أي أن الزيادة بلغت طيلة الفترة 76%. ولا بد في هذا الإطار من الإشارة إلى وفود عدد من الفرنسيين واليهود الذين كان وجودهم منعدماً في بداية الاحتلال. وقد بلغ عدد اليهود سنة 1926 : 351 نسمة، وفي سنة 1946 : 513 نسمة وكان أغلبهم مستقرين بقبلي، أما عدد الفرنسيين فقد بلغ الخمسين، وفي نفس هذه السنة بلغ مجموع سكان نفزاوة 45550 نسمة وارتفع ذلك إلى حوالي 65 ألف نسمة سنة 1956⁽⁵⁹⁾، أي أن الزيادة السنوية في العشرينية الأخيرة من العهد الاستعماري بلغت 3%， وهي زيادة هامة تعود إلى التحسن في الرعاية الصحية إذ كان بقبلي مركز صحي متواضع تتمثل أهميته خاصة فيما كان يقوم به من حملات تلقيح ضد حمى المستقيعات وجرب العيون وهو ما من الأمراض الأكثر انتشاراً في المنطقة.

ب. حركة السكان :

لم تكن الهجرة من نفزاوة في الفترة الاستعمارية هامة إذ اقتصرت بعد الحرب العالمية الأولى على بعض العاملة الذين لم يتجاوز عددهم العشرين والذين توجهوا نحو فرنسا. وفي فترة لاحقة ساهم أربعون جندياً من نفزاوة في معارك الحرب العالمية الثانية⁽⁶⁰⁾.

Sternberg (B.S), "Semi-nomades du Nefzaoua", in, **Recherches sur la zone aride, nomades et nomadisme au Sahara**, UNESCO 1963, p. 124.

R.G.F., Historique..., op.cit., p. 11 et sq.⁽⁵⁸⁾

(59) لجنة البحوث التربوية بقبلي، تاريخ نفزاوة، نفس المرجع، ص 15.

Baduel, Société..., op. cit., p. 35.⁽⁶⁰⁾

ولم تكن حركة النزوح هامة أيضاً إذ لم تمكِّن إلا بعض القرى مثل جمنة والمنصورة وأم الصمعة والمنشية التي كان عدد من أهلها يغادرونها نحو قابس أو صفاقس أو تونس أو منطقة المناجم بحثاً عن الشغل⁽⁶¹⁾. وكان عدد آخر من شبان قبلي والمرازيق وجمنة وبوعبد الله يتوجهون نحو العاصمة للدراسة بجامع الزيتونة وقد بلغ عددهم سنة 13-1914 عشرة⁽⁶²⁾، وبعد الحرب العالمية الثانية وصل إلى مائة طالب⁽⁶³⁾.

وفي مقابل ذلك كانت نفزاوة مركز جذب للنازحين من أبناء الوسط وخاصة منهم الهمامة الذين كانوا يستقرُون حول الواحات لمدة أربعة أو خمسة أشهر سنوياً للمساهمة في جنى صابة التمور. وقد قدر عددهم في موسم 1946-45 بسبعين ألف نسمة. كما كانت المنطقة تعرف حركة ظعن مستمرة، اتجهت نحو التراجع بعد الحرب العالمية الثانية، فبدأ يختال التوازن القديم بين الرحيل والمستقررين لصالح حياة الاستقرار.

ج. أزمة الترحال :

من خلال العلاقة بالأرض، كان سكان نفزاوة ينقسمون إلى مستقررين ورحل. وكان المستقررون منهم يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الفلاحة الواقية المكتفة، أما الرحل فكانوا يعتمدون أساساً على تربية الماشية، ولا يعني ذلك أنهم لا يملكون بعض الواحات الصغيرة متلماً أن المستقررين كانوا يربّون بعض الرؤوس من الضأن والماعز. غير أن التوجّه العام الذي عرفته الفترة المعاصرة يتمثّل في استقرار أعداد متزايدة من الرحل. وللحظة التطور نحو حياة الإستقرار يمكن المقارنة بين دراستين قام بالأولى منها الملازم لابي (abbé) سنة 1898⁽⁶⁴⁾ والثانية بيار مورو سنة 1947⁽⁶⁵⁾.

Ibid., p. 72. ⁽⁶¹⁾

⁽⁶²⁾ أبوت، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، الصندوق 1، ملف 6، جريدة أسماء التلامذة بالجامع الأعظم في سنة 1913/1914.

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., p. 186. ⁽⁶³⁾

Cité par Violard (Emile), *L'extrême sud tunisien*, Tunis 1906, pp. 64-66. ⁽⁶⁴⁾

Moreau, *Le pays des Nefzaouas*, op. cit., pp. 175-183. ⁽⁶⁵⁾

يتفق الباحثان على أن سكان شبه الجزيرة كانوا مستقرين، أما سكان الواحات الواقعة على خط قبلي-دوز فيصنفهم الملازم لابي ضمن أنصاف الرحل إذ يغادرون واحتلهم بداية من شهر جانفي ولا يعودون إليها إلا في موسم حني التمور. أما مورو فقد لاحظ بعد خمسين سنة أن فترة تنقلهم تبدأ في الربيع وبالتالي ازدادت فترة استقرارهم لتمتد على أكثر من نصف السنة، ولذلك اعتبرهم مستقرين منتجعين، ومن بينهم سكان قرى بشلي والقطعاية وكلوامن والبليدات والجرسين والمساعيد والقلعة وجمنة ونوبيل.

ونصف الملازم لابي قبائل المرازيق والعذاري وغريب ضمن الرحل، إذ يعيشون أغلب السنة متقللين مع قطاعتهم بحثاً عن المراعي ويعودون لمدة وجيزة إلى واحتلهم الضيق، أما مورو فقد صنف المرازيق وأولاد يعقوب وعوين ضمن نصف الرحل، إذ تبدأ فترة ترحالهم في الربيع فيتوجهون إلى مناطق بعيدة نحو الجنوب ويعودون في شهر سبتمبر؛ ولم يبق ضمن الرحل غير العذاري الذين يغادرون واحتلهم بعد فصل الشتاء، وغريب الذين تمتد فترة استقرارهم على شهري أكتوبر ونوفمبر فقط.

وبالتالي فإن التوجة نحو حياة الاستقرار كان ثابتاً رغم بطئه ولكنه شهد تسارعاً ملحوظاً بعد أن تقهقرت تربية الماشية إثر جفاف 1948-1947⁽⁶⁶⁾، وأصبحت أعداد هامة من أنصاف الرحل والرحل يقضون أغلب فترات السنة قرب الواحات، وأصبحوا يتوجهون إلى فلاحة الأرض حتى لم يعد الرحل يمثلون غير 10% من سكان نفزاوة سنة 1966⁽⁶⁷⁾ (بعدما كانوا يعودون 50% سنة 1926⁽⁶⁸⁾).

وفي الحقيقة فإن السلطات الاستعمارية دفعت نحو حياة الاستقرار لأن الرحل كانوا يمثلون بالنسبة لها هاجساً أمنياً متواصلاً بينما كان المستقرون أكثر استعداداً للخضوع. غير أن تراجع الترحال أضر من جانب آخر بالتوازن الاقتصادي الجهوبي وأدى تراجع الثروة الحيوانية إلى ازدياد الضغط على الواحات، وبذلك لم يمس تقهقر حياة التنقل والترحال النطاق الصحراوي فقط وإنما المنطقة بأسرها.

Baduel, Société..., op. cit., p. 54 bis.⁽⁶⁶⁾

Ibid; p. 57. ⁽⁶⁷⁾

⁽⁶⁸⁾) لا يتوزع سكان نفزاوة بين رحل عدهم 15886 ومستقرين يعودون 1556 >9.

آل الحبيب : عائلة من أعيان وطن تلمين في القرن التاسع عشر ، كان مقر سكناهم ببلدة الجديدة القرية من تلمين ، وكانتوا على قدر من الثروة والجاه. أشهر من أجياله هذه العائلة آنذاك محمد الحبيب أو محمد بن الحبيب بن حسين بن أحمد السوداني الذي عين خليفة على تلمين لأكثر من مرة بين خمسينات وسبعينات القرن التاسع عشر. ولعل أبرز ظهور له على الركح كان عندما استجاب لدعوة السلطة المركزية لمساعدة المحلة التي قدمت إلى نفزاوة في خريف 1857 لملائحة الشائر الطرابلسي غومة محمودي. وبالفعلتحق بها عند محاصرتها لبلدة قبلي ومعه "بعض خيل وترس" كما ورد في تقرير محمد خزندار . والأهم من ذلك أنه تقدم لشراء واحة قبلي عندما عرضتها المحلة للبيع بالإشهار العلني ، ملتزمًا بمفرده بدفع مائة وخمسة وعشرين ألف ريال صغيراً، غير أنه ما فتئ أن اقتسم تلك الواحة مع كل من أهالي القلعة والجمندين مكتفياً منها بالربع. هل كان ذلك لعجزه على تسديد المبلغ بمفرده أم إشراكاً لغيره في الغنيمة والمسؤولية؟ قد يكون هذا وذاك معاً . وعلى أية حال يبدو أن وجوده على رأس وطن تلمين اهتز بعد ذلك، عندما حاول أن يدعم مكانته لدى السلطة بالاجتهاد في جمع أكثر ما يمكن من الضرائب مستعملاً القوة والعنف حتى أن أهالي أم الصمعة اشتراكوا في أوت 1858 من أنه هجم في مائتي تراس على بلدتهم وأسفر عن ذلك الهجوم مقتل اثنين منهم. وربما لذلك السبب وقع عزله في ربيع 1859 وتعويضه بعلي بن الأغا . ورغم ذلك فإنه لم يتأمن من العودة إلى منصبه، إذ نراه قد حرك تلمين الجديدة ضد علي بن الأغا ثم ضد خلفه أحمد بن البراق سنة 1277/1860. حتى آل الأمر إلى نزاع مسلح انتهى بقتل الخليفة بن البراق، وبعدهما دعي محمد بن الحبيب إلى تونس بتهمة الوقوف وراء المحرضين سمي من جديد خليفة على تلمين، غير أنه لم يستمر طويلاً حيث عزل من جديد ثم سمي بعد عام واحد ليستمر على رأس وطن تلمين إلى سنة 1873. ففي هذه السنة رأت السلطة المركزية أن توحد نفزاوة إدارياً في محاولة منها الحد من الصراعات بين صفي يوسف وشداد، وأقرت عليها الخليفة أحمد بن

بلغاً، فوجد محمد بن الحبيب نفسه خارج اللعبة. ثم وقعت محاسنته من قبل أحمد بن بلقاسم وهو ما أسف عن القرار بمصادره أملاكه وبيعها بالمزاد العلني. كما أنه سجن من ربيع 1873 إلى ديسمبر 1874 حيث أطلق سراحه بضمان من أعيان تلمنس. عمل بعد ذلك على استرداد أملاكه بالتردد على العاصمة. كما استغل تورط الخليفة أحمد بن بلقاسم في أحداث بلدة جمنة سنة 1879 ليتحرك ضده ويُولّب الرأي العام عليه. أما أخوه محمود فقد كان آنذاك سجينًا إلا أنه لم يبلغ مكانته هو، وإنما أقصى ما بلغه أن عين شيخاً على بلدة الجديدة، وهو المنصب الذي تجدد له في العهد الاستعماري.

ابن أبي الجعد، عبد الملك (القرن 52-8م) : أحد قادة قبيلة ورفجومة النفزاوية، وهو الذي تولى القิروان بعد سيطرة قبيلته عليها واستطاع بعد مقتل عاصم بن جميل أن ينفرد بقيادتها وبقيادة المذهب الصفري معاً. وتمكن من صد الهجوم الذي شنه حبيب بن عبد الرحمن على القิروان. غير أن المصادر السننية والإباضية اتهمته بسلوك سياسة شدة إزاء أهلها، واتخذ الإباضية ذلك ذريعة للتدخل قصد الحد من النفوذ الصفري. فوّقعت أول مواجهة بين المذهبين سنة 141هـ/759م. انتهت بمقتل عبد الملك بن أبي الجعد وهزيمة نفزاوة الصفريية. (الشماخي، 112)

ابن أبي زيد، أبو محمد عبد الله (310-386هـ/996-922م) : فقيه مالكي دشن العصر الذهبي للفقه بإفريقية، وقد سمي بمالك الصغير. ولد بالقيروان وتوفي بها ومن هنا حمل لقب القديسي، ولكن عدداً من المؤرخين قد يما وحديثاً يرجعون نسبته إلى نفزاوة، ومن بين القدامى ابن خلون، ومن المحدثين الاهادي إدريس والاهادي الدرقاش اللذين دحضاً ما ذهب إليه ياقوت في معجم البلدان من أن ابن أبي زيد ينحدر من منطقة شاطبة بالأندلس، ولا يستبعد الدرقاش أن يكون أحد أجداد ابن أبي زيد قد ارتحل إلى القิروان من نفزاوة لغرض التعلم فاستقر بها، وكون ما عرف فيما بعد بأسرة النفزاوي أولاً والقيرواني ثانياً. درس ابن أبي زيد بالقيروان، وشغف بالفقه، وحفظ الموطأ وهو ابن خمس عشرة سنة. ومن مشائخه أبو العرب التميمي وبين الباد، وتخرج على يديه الكثيرون. وقد ألف عشرات الكتب والرسائل ذات المواضيع المختلفة أشهرها : الرسالة في الفقه المالكي والعقيدة السننية. (إدريس، ص 718-720، ابن خلون، ج 6، ص 106؛ الدرقاش، ص 98-100).

ابن جمبل، عاصم (القرن 2هـ/8م) : زعيم قبيلة ورجومة في ثلثينات القرن 2هـ/8م، استجار به عبد الوارث بن حبيب أحد الفهريين الذين كانوا يتشارعون على السلطة بالقيروان، فأجراه. ولكنه طمح في أن يلعب دوراً أكبر من ذلك، فتحالف مع يزيد بن سكوم أمير قبيلة ولهاصنة. وزحفت جموع نفزاوة على القيروان سنة 140هـ/758م، وتمكن من دخولها بعد أن فر عنها إليها حبيب بن عبد الرحمن إلى قابس، فتبعد عاصم وهزمها بها ثم لاحقه إلى الأوراس، ولكن عاصماً انهزم أخيراً وقتل هناك. (ابن خلدون، ج 6، ص 111-112)

ابن زياد، طارق (القرن 1هـ/7-8م) : فاتح الأندلس. هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نير غامس بن ولهاص بن يطوف بن نفزاو، فهو إذن ينتمي إلى قبيلة ورجومة النفزاوية، وقد ذكر ابن عذاري أنه من سبي البربر، وأنه مولى لموسى بن نصير والي إفريقية. غير أن الاسم العربي الذي يحمله قد يدل على أن إسلامه سابق لمجيء هذا الوالي. وفي سنة 85هـ كان ضمن الجيش المتوجه نحو المغرب الأقصى لفتحه، ولعله كان آنذاك أحد أبرز قواه مما رشحه لأن يعين عاماً على طنجة حيث بقي معه عدة آلاف من العرب والبربر. ومن طنجة استطاع طارق أن يطلع على حالة الأندلس وربما استعان في ذلك بأحد الأمراء الإسبان، فاجتاز إليها سنة 92هـ/711م وفتح أهم مدنها وخاصة منها قرطبة ومالقة وغرناطة ومرسية وطليطلة وإشبيلية، مما جعل نجمه يعلو على مولاه موسى بن نصير الذي التحق بدوره بالأندلس سنة 93هـ/712م. ولم يكن اللقاء بين الرجلين ودياً فبينما خرج طارق معظمها ومبادرًا للطاعة، أبدى له موسى الغضب "وقيل إنه وضع السوط على رأسه، وقيل إنه ضربه أسواطاً كثيرة وحلق رأسه"؛ لكن يبدو أن طارقاً لم يرد على تلك الإهانة. وفي سنة 95هـ/714م، تدخلت سلطة دمشق ل تستعي القائدين، وقد سخط سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي على موسى بن نصير، أما طارق بن زياد فقد خبا ذكره وربما يكون قد توفي في نهاية القرن 1هـ أو بداية القرن 2هـ. (ابن عذاري، ج 1، ص 43، وكذلك الجزء 2، ص 5، 9-16).

ابن نصير أو ابن نصر، صالح (القرن 2هـ/8م) : زعيم قبيلة ورجومة، أعلن الثورة سنة 161هـ/778م، فأرسلت القيروان لمقاومته جيشاً ضم عشرة آلاف رجعوا

على القبيلة الصفرية وألحقوا بها هزيمة ساحقة حتى "ركدت ريح الخوارج من البربر من إفريقيا ونداعت بدعهم إلى الأضلال". (ابن عذاري، ص 113 و 115)

إينس : تحمل هذه القرية موضعًا مرتفعًا غير بعيد عن قرية القطعاية، وهي تنسب إلى جم من الأولياء (أولاد بالأحمر). اعتبرها بيشفال سنة 1889 متوسطة الأهمية. غير أنها من خلال الدفاتر الجبائية لم تكن كذلك، حيث لم يكن بها سنة 1852 غير 372 نخلة وتطور ذلك إلى الضعف بعد عشر سنوات، وفي مقابل هذا التطور انخفض عدد أصول الزيتون في نفس الفترة من 406 إلى 226، وتراجع ترتيبها بذلك في نفزاوة من الرتبة الثالثة بعد بلدي يوعبد الله وتتربع إلى الرتبة الثامنة. أما إداريا فقد كان يشرف عليها شيخ وكانت تابعة إلى وطن شداد. هجرها أهلها في القرن العشرين ليسقروا بمدينة قبلي، دون أن يقطعوا علاقتهم بها حيث يتربدون عليها للفلاحه ولزيارة أضرحة أوليائهم (أو.ت، دفتر 1681؛ ببلغيت، 2001، بيشفال 1889).

أبو داود القبلي النفزاوي (القرن 2هـ/8م) : فقيه من نفزاوة، تلقى مبادئ الإلحادية عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، إذ توجه إليها ضمن البعثة الأولى التي ضمت خمسة طلبة تسميم المصادر الإلحادية بحملة العلم الخمسة. وقد بقوا بالشرق بين 135 و 140هـ. وبعد عودتهم مال ثلاثة منهم إلى العمل السياسي إذ أعلن أبو الخطاب المعافري سنة 140هـ إماماً الظهور بطرابلس، ومات عاصم السدراتي في حصار القيروان سنة 141هـ، وأسس عبد الرحمن بن رستم الدولة التي حملت اسمه سنة 160هـ، بينما توجه أبو داود القبلي إلى العمل الداعوي. ولعله استقر بطرة عاصمة نفزاوة حتى أصبح "شيخاً مشهوراً" كما يقول الشماخي وأخذ عنه وكان الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه إذا جلس بين يديه كالصبي أمام المعلم". وقد ساهم أبو داود فيما يبدو في تحويل نفزاوة من المذهب الصفرى إلى المذهب الإلحادي وهياها وبالتالي لأن تكون موالية للدولة الرسمية. ويبدو أنه توفي في النصف الثاني من القرن الثاني هـ (الشماхи، ص 51).

أبو زرجونة (القرن 2هـ/8م) : زعيم قبيلة ورفجومة في أواسط القرن 2هـ، نزلت قبيلته سنة 151هـ مدينة طبنة التي احتطها والي القيروان عمر بن حفص. ولم تنس ورجومة فيما يبدو هزيمتها أمام الإلحادية فناصرت الوالي العباسي ضد عبد الرحمن بن رستم لكنها ثارت سنة 157هـ/774م بقيادة أبي زرجونة الذي نجح في

البداية في التصدي للجيش الذي أرسلته القิروان، فتكون جيش ثان قاده العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي تمكن من إخماد الثورة وخسرت ورجمة أعدادا هائلة من أبنائها (الشماخي، ص 115).

استقطامي : هي قرية صغيرة كانت تسمى أيضا زاوية استقطامي وتوجد على الطريق المؤدي إلى سهلي الشارب والسفلي ، وكانت ملحقة إداريا ببلدة المنشية. يوجد بها حمام استشفائي يقصده الناس من مختلف قرى نفزاوة. كانت واحتها في أواسط القرن التاسع عشر صغيرة إذ لم يكن بها سنة 1852 غير 676 نخلة، ويبدو أن هذا الرقم لم يكن دقيقا حيث نجد بها حسب الدفتر الجبائي المؤرخ سنة 1862 : 2510 نخلة.

الأسود، إبراهيم: هو قصاص تونسي معاصر، ولد ببلدة قبلي سنة 1942 وتوفي بالعاصمة يوم 14 جويلية 2007 ودفن بمقدمة الجلاز. درس بالفرع الزيتوني بقبلي ثم واصله بتونس العاصمة. التحق بعد ذلك بوزارة التربية ليعمل بالمعاهد الثانوية. بُرِزَ في المجال الثقافي حيث نشط خلال وجوده بالعاصمة في نادي القصبة، ثم أسس بعد عودته إلى قبلي "نادي الفكر" الذي استمر وجوده بين أواسط السبعينات وسنة 1989، وأشرف في إطاره على مجلة أضواء الفكرية الثقافية، ونشر مجموعة قصصية عنوانها "أحلام بحار متعب"، تونس 1988.

أم الصمعة : إحدى قرى شبه الجزيرة. كانت تتوسط على أحد تلال جبل طباقة غير بعيد عن موضعها الحالي المنبسط. وهي بذلك تشرف على الطريق الرابط بين نفزاوة والجريدة. وتمتد واحتها عند سفح الجبل مستفيدة من مياه العيون الطبيعية، وفي القرن التاسع عشر كانت بها عين واحدة، ثم انفجرت في السبعينيات عينان آخرتان فضلا على العين الأولى، ولكنهما سمحتا بتوسيع الواحة. أما تاريخيا فقد وجدت بها آثار تعود إلى العهد الروماني، وقد رأى تيسو أنها هي نفسها المركز العسكري ترسيس تماليني الوارد ذكره في مسلك أنطونينوس. وفي القرن 11هـ/17م نزحت إليها أعداد هامة من سكان جمنة واتخذوها مرطنا لهم. وفي القرن التاسع عشر كانت تقطنها إلى جانبهم مجموعات بشرية أخرى هي المجابرة والسماعلة والمهاملة والشواشين، وكانت طبقاً لدفاتر المجبى تعداد سنة 1278هـ/1861 ما مجموعه 54 من الخاضرين للمجبى أي حوالي 6.08% بالنسبة لمجموع نفزاوة، وهي نسبة تقوت بكثير ما يعود

إلى القرية من نخيل إذ لم تكن تعد آنذاك غير 3342 نخلة أي 2.43% من نخيل نفزاوة. كانت أم الصمعة خلال القرن التاسع عشر عرضة للعديد من عمليات التخريب، من ذلك أن خليفة تلمين محمد الحبيب السوداني شن عليها في جوان 1859 هجوماً أسفراً عن قتلى وجرحى. وفي أبريل 1879 فر أهلها أمام الهجوم الذي كان يقوده محمد المرابط أمير أمراء عساكر القروان والمكلف بالجريدة. وفي 2 أبريل 1882، تعرضت البلدة إلى التخريب من قبل القوات العسكرية الفرنسية بقيادة الجنرال فيليار، وكان عدد من أهلها قد هاجروا إلى طرابلس رفضاً منهم لانتساب الحماية الفرنسية على تونس. خلال العهد الاستعماري اشتهرت أم الصمعة بما كانت تتسجه نساوتها من برانس. وظهر بها الشاعر الشعبي منصور الحلفاوي (تروسي، ص 41؛ مورو، ص 119؛ ضيف الله، 2005، ص 70-69 + 77-78).

أولاد بلوم : هم حسب أسطورة تأسيس قبلي أبناء محمد بلوم حفيد عبد الله بن بوizard المحمودي. قدم هذا الأخير إلى نفزاوة من طرابلس في أواسط القرن العاشر هـ/16 م، إذ أرسله الوالي العثماني بطرابلس إلى نفزاوة ليضبط أمرها ويضمن تبعيتها إلى طرابلس. وقد استقر في بداية أمره ببلدة بشرى، ثم انتقل إلى قبلي وربما ولد في هذه الفترة حفيده للابن محمد بلوم الذي تذكر إحدى الوثائق المكتوبة أنه تولى شؤون البلدة بعد أبيه لمدة أربعين سنة تمت بين 1010 و1050 هـ / 1640 م. وقد وصف في نفس الوثيقة بأنه "كان حاكماً عادلاً من أهل السياسة زاهداً في الدنيا"، بما يجعله جديراً بأن يكون جداً ترجع إليه عروش البلدة، وتضييف الوثيقة بأنه "خلف ثلاثة بنين بنور وإبراهيم ومنصور"، ومنهم انحدرت عروش قبلي الأربع، وهي المناصرة والدراوية والخوالدية والسوافية وينحدر من المناصرة القواسمة. غير أن الملفت للنظر أن لا أحد من تلك العروش يحمل لقب بلوم، ثم أن بعض الألقاب الموجودة بقبلي حالياً والتي تعتبر من أولاد بلوم تتطابق مع أسماء بعض عشائر المحاميد بلبيبا (المتصحر، الفيتوري، سيف النصر، مرسيط ...)، وهو ما يجعلنا نشكك في تاريخية محمد بلوم، وإنما هو أقرب إلى الأسطورة التي اختلفت به دف ملطف المهاجرين الطرابلسيين بملاط العلاقة الدموية والقرايبة. ومهما يكن من أمر فقد سيطر أولاد بلوم على بلدة قبلي منذ القرن السادس عشر، وكان لهم في القرن التاسع عشر ميعادهم الذي يمكن اعتباره الأهم بنفزاوة آنذاك حيث كان يجتمع كلما دعت الضرورة.

إلى ذلك ويقوم بترشح من يرونـه مناسـيا ليصبح خليفة على وطنـ شـداد، فضلاً عن ترشـحـ من يـرونـه مناسـيا لـمشيخـةـ الـبلـدـةـ.ـ كما نـعـبـ هـذـاـ المـيـعادـ دـورـاـ هـامـاـ بـعـدـ عـلـمـ 1857ـ 1274ـ فيـ التـأـثـيرـ عـلـىـ السـلـطـةـ الـمـرـكـزـيةـ لـلـإـذـنـ لـأـهـلـ قـلـيـ باـسـتـرـدـادـ وـاحـتـئـمـ.ـ غيرـ أنـ دـورـ مـيـعادـ أـوـلـادـ بـلـوـمـ تـقـلـصـ بـعـدـ تـولـيـ أـحـمـدـ بـنـ بـلـقـلـمـ الـذـيـ كـانـ يـمـيلـ إـلـىـ الـانـفـرـادـ بـالـأـيـ،ـ وـوقـعـ القـضـاءـ نـهـائـاـ عـلـيـهـ بـعـدـ الـاحتـلـالـ (ـضـيـفـ اللهـ،ـ 2005ـ).

أـلـادـ بـوـبـكـرـ أـوـلـادـ بـوـكـرـ:ـ هـمـ أـحـدـ عـرـوـشـ أـلـادـ يـعـقـوبـ،ـ جـدـهـمـ الـأـعـلـىـ طـبقـاـ لـشـجـرـةـ نـسـبـهـمــ هـوـ عـلـيـ بـنـ سـلـطـانـ الـمـتـوفـيـ سـنـةـ 1720ـ.ـ وـقـدـ تـولـواـ الـرـيـاسـةـ فـيـ أـلـادـ يـعـقـوبـ،ـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ قـوـةـ رـجـالـهـمـ،ـ وـغـطـواـ عـلـىـ بـقـيـةـ الـعـرـوـشـ مـنـذـ الـقـرنـ الـتـاسـعـ عـشـرـ.ـ وـإـلـيـهـمـ يـنـتـسـبـ مـحـمـدـ بـوـعـلـاقـ وـسـعـيدـ بـنـ نـفـزاـوـةـ فـيـ بـيـنـ 1898ـ وـ1922ـ.

أـلـادـ يـعـقـوبـ:ـ هـمـ كـنـفـرـالـيـةـ قـبـلـيـةـ،ـ لـمـ يـكـنـ يـجـمـعـ بـيـنـ عـرـوـشـهـاـ رـابـطـ دـمـوـيـ،ـ وـهـذـهـ الـعـرـوـشـ هـيـ:ـ أـلـادـ سـبـاعـ وـالـمـكـاشـرـةـ وـأـلـادـ عـزـيزـةـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـمـكـنـ اـعـتـبـارـهـ النـوـاـةـ الـأـسـاسـيـةـ الـتـيـ اـنـضـمـ إـلـيـهـاـ بـعـدـ ذـلـكـ أـلـادـ مـيـرـةـ الـمـنـهـدـرـوـنـ مـنـ الـهـمـاـمـةـ،ـ وـأـلـادـ بـوـبـكـرـ وـالـمـقـارـحةـ الـقـادـمـوـنـ مـنـ الـأـرـاضـيـ الـطـرـابـلـسـيـةـ،ـ ثـمـ عـوـيـنـ الـمـنـهـدـرـوـنـ مـنـ نـفـاتـ،ـ وـالـمـهـاـمـلـةـ ذـوـ الـأـصـوـلـ الـغـامـضـةـ.ـ وـيـضـيـفـ الـبعـضـ إـلـيـهـمـ الـمـخـالـيـةـ وـالـغـيـالـيـفـ.ـ كـانـ أـلـادـ يـعـقـوبـ يـقـضـونـ أـغـلـبـ السـنـةـ فـيـ التـقـلـ وـالـتـرـحالـ وـكـانـوـاـ يـصـلـوـنـ حـتـىـ رـمـادـةـ بـأـقـصـىـ الـجـنـوبـ ثـمـ يـعـودـوـنـ فـيـ الـخـرـيفـ إـلـىـ نـفـزاـوـةـ حـيـثـ كـانـوـاـ يـتـخـذـوـنـ مـنـ بـلـدـةـ مـرـكـزاـ رـئـيـسـيـاـ لـهـمـ كـمـاـ كـانـوـاـ يـمـلـكـونـ النـخـيلـ بـغـيـرـهـاـ مـنـ وـاحـاتـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ.ـ غـيـرـ أـنـ شـهـرـةـ أـلـادـ يـعـقـوبـ تـعـودـ إـلـىـ فـروـسـيـتـهـ وـعـمـلـيـاتـ الـغـزوـ وـالـغـارـاتـ الـتـيـ كـانـوـاـ يـشـنـوـنـهـاـ بـالـجـنـوبـ وـحـتـىـ بـالـجـزـائرـ،ـ كـمـاـ أـنـهـمـ فـرـضـوـاـ حـمـايـتـهـمـ عـلـىـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الـقـبـائـلـ بـالـجـنـوبـ الـتـونـسـيـ فـضـلـاـ عـنـ الـقـرـىـ وـالـعـرـوـشـ الصـغـيرـةـ بـنـفـزاـوـةـ،ـ مـقـابـلـ أـدـاءـ نـوـعـ مـنـ الـضـرـبـيـةـ.ـ كـانـتـ شـقـ أـلـادـ يـعـقـوبـ عـدـدـ اـخـتـلـافـاتـ،ـ وـقـدـ طـالـ ذـلـكـ حـتـىـ اـنـتـمـاءـهـمـ الصـفـيـ،ـ إـذـ رـغـمـ أـنـهـمـ عـرـفـوـاـ بـاـنـتـمـائـهـمـ إـلـىـ صـفـ يـوسـفـ،ـ فـيـانـ الـبعـضـ مـنـهـمـ وـمـنـ بـيـنـهـمـ أـلـادـ سـبـاعـ وـالـمـكـاشـرـةـ كـانـوـاـ يـتـمـونـ إـلـىـ صـفـ شـدـادـ.ـ أـمـاـ عـنـ عـلـاقـتـهـمـ بـالـسـلـطـةـ الـمـرـكـزـيـةـ فـيـ الـعـهـدـ الـحـسـينـيـ،ـ فـقـدـ كـانـوـاـ يـعـتـبـرـونـ قـبـيلـةـ مـخـزـنـيـةـ إـذـ كـانـوـاـ يـدـعـونـ لـتـعـزيـزـ قـوـاتـ الـمـحلـةـ مـقـابـلـ إـعـافـهـمـ مـنـ الـصـرـائـبـ.ـ وـقـدـ غـلـبـ عـلـيـهـمـ هـذـاـ النـقـلـيـدـ فـيـ خـدـمـةـ السـلـطـةـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ الـعـهـدـ الـاسـتـعـمـاريـ،ـ وـمـنـ أـبـرـزـ مـنـ نـجـحـ فـيـ هـذـاـ الإـطـارـ سـعـيدـ بـنـ نـصـرـ الـذـيـ تـولـيـ قـيـادـةـ نـفـزاـوـةـ لـمـدـةـ رـبـعـ قـرـنـ،ـ ثـمـ اـبـنـهـ نـصـرـ الـذـيـ تـولـيـ الـقـيـادـةـ ثـمـ الـوزـارـةـ.ـ وـلـاـ يـنـفـيـ ذـلـكـ أـنـ

بعض أولاد يعقوب اتخذوا موقفاً مصادراً لانتصار الحماية الفرنسية بتونس ومن أبرزهم علي بوعلاق الذي قاد آنذاك عدداً من أبناء عمومته إلى طرابلس وشنوا من هناك بعض الغارات على من اعتبر خاصعاً للحكم الكفار" (صيف الله، 2005؛ مورو، ص 118).

باب الرتينة : أحد الأبواب الخمسة لبلدة قبلي، يفتح باتجاه الغرب بحيث ينتهي فيه الطريق المؤدي إلى القرى الغربية لنفزاوة بدءاً من قرية بشلي. توجد قرب هذا الباب زاوية سيدى بنعيسى حتى تkan وجودها في هذا الموقع من البلدة يذكر بأصل ذلك الولي المغربي. كما ارتبط بهذا الباب اسم معلم آخر هو مسجد بالرتينة الذي كان يحتل آنذاك المرتبة الثالثة بين مساجد قبلي، وقد بلغ عدد النخيل المحبس عليه 219 سنة 1862 (صيف الله 2005).

باب البوادي : أحد الأبواب الخمسة لبلدة قبلي، يقال إنه سمي باسم أحد حراسه، ويفتح هذا الباب باتجاه الشرق. وكانت توجد بالقرب منه زاوية سيدى عبد القادر الجيلاني التي يذكر وجودها في هذا الاتجاه بالأصل الشرقي لهذا الولي، كما أن سيدى عبد القادر يبدو من خلال موقع زاويته وكأنه أحد حراس البلدة وحاميها. ارتبط بهذا الباب اسم الساقية القرية منه والتي تمر مياهاها باتجاه القسم الغربي من الواحة. وربما أعطى لهذا الباب أكثر أهمية بسبب أهمية الطريق التي تتطلّق منه باتجاه الشرق، ثم لقربه من سكنى عروش أولاد بلوم.

باب الزاوية : هو أحد الأبواب الخمسة لبلدة قبلي وكان يفتح على الجهة الشمالية حيث ينفذ منه على الطريق الذي يربط قبلي بالواحات الشمالية لنفزاوة ومنها بلاد الجريد. توجد بالقرب من هذا الباب زاوية سيدى علي بدر الدين، وكأن هذا الولي حينئذ يتولى حراسة البلدة من هذه الجهة.

باب السوق : كان هذا الباب يفتح على الجهة الجنوبية لبلدة قبلي أي باتجاه قرى الشارع بدءاً من الرحّمات وبازمة وصولاً إلى دوز.

باب الشباك : كان هذا الباب يفتح على الجهة الشمالية الغربية لبلدة قبلي بما يسهل على الفلاحين العودة إليها أو الخروج منها باتجاه بسايدينهم. وكانت ترتبط به بعض معالم البلدة وأهمها جامع الشباك وهو ثانى جامع بها، وكان عدد النخيل المحبس عليه

سنة 1862 : 332؛ كما تحمل اسم باب الشباك الساقية القريبة منه والتي يمر منها الماء إلى القسم الغربي من الواحة.

باب الشواشين : هو أحد ثلاثة أبواب لبلدة المنشية، وكان يفتح باتجاه الجنوب شأنه في ذلك شأن البابين الآخرين بباب الظواهرية وباب أولاد المري، في حين لم يكن للبلدة باب على الجهة الشمالية حيث تمتد واحتها، وذلك من شأنه أن يدعم مناعة البلدة من هذه الناحية. في حين يندعم دور سور بجبل حلوص من الناحية الجنوبية، فلما بضر فتح الأبواب نحو الجنوب، خاصة وأنها تمكن البلدة من الإشراف على الطريق المحوري الذي يربط نفزاوة بالجريدة.

باب الظواهرية : هو أحد الأبواب الثلاثة لبلدة المنشية، كان يفتح باتجاه جبل حلوص الذي توجد البلدة على سفحه الشمالي، والذي يمر قرب سفحه الجنوبي الطريق الذي يشق نفزاوة ثم الشط في اتجاه بلاد الجريد. ولا شك أن هذه الأبواب تمكن المنشية من مراقبة الحركة بذلك الطريق.

باب أولاد المري : هو أحد ثلاثة أبواب لبلدة المنشية، يفتح باتجاه الجنوب أي نحو جبل حلوص الذي تقع البلدة على سفحه الشمالي. وقد أطلق عليه اسم أحد عروش العروش الثلاثة للبلدة (أولاد المري) ربما لقرب سكناهم منه واستعمالهم له في الخروج والدخول إلى البلدة التي كانت مسورة.

بازمة : كانت هذه القرية تحتل ربوة تمكن من مراقبة ما يحيط بها ويعطيها وبالتالي دورا دفاعيا. كان يحيط ببازمة حتى النصف الثاني من القرن 13هـ/19م سورا وخذق لحمايتها من الهجمات الخارجية، وتذكر مرثولجيتها ببلدة قبليي المعاصرة لها إذ كانت طرقاتها ضيقة جدا. أما ثروتها المائية فلم تكن هامة، مما جعل واحتها محدودة المساحة. أما من حيث الموقع فقد كانت بازمة تحتل موقعا استراتيجيا باعتبارها آخر قرى نفزاوة على الطريق المؤدية إلى قابس والتي تمر بجنوب جبل طباقة، وكانت تلتقي عندها الطريق التي تربط قرى جنوب نفزاوة وغربها بالطريق القديمة من شبه الجزيرة. ولعل هذه الأهمية هي التي جعلت السلطات الإستعمارية تهبي بشرقيها ميدانا لهبوط الطائرات كما ركز بها الكولونيل بو جا Pujal مشروعه لنزربية النعام، غير أن تغير الطريق إلى شمال جبل طباقة قضى على نقاط القوة في

موقع هذه البلدة. اختلف في انتهاء هذه البلدة إذ اعتبرها ناسي وديمبروجيو ضمن صفح شداد غير أن الدفاتر الجبائية تصنفها ضمن يوسف. في سنة 1852 كانت يواحتها 2374 نخلة وتطور هذا العدد ليصل سنة 1862 إلى 3905 إلا أنها نعتقد أن جانبا من هذه الزيادة يعود إلى إحكام الإحصاء الثاني أكثر منه إلى توسيع حقيقي للواحة خلال العشر سنوات. إلا أن ما يثير الانتباه هو أن بازمة كانت تتصدر وطن يوسف من حيث عدد أصول الزيتون بـ 326 سنة 1852 و 476 سنة 1862 وهو ما أدى إلى إقامة معصرة للازيتون بها. من ناحية أخرى كانت هذه البلدة تؤدي ضريبة إلى بني زيد (غيران، ص 240-241؛ مارتال، ص 86؛ أوجيلاس، ص 43؛ الشيباني، ص 240 وما بعدها؛ ضيف الله 2000).

البازمي، بلقاسم (1923-1954): ينحدر من وسط اجتماعي متواضع. أسس شعبة بازمة سنة 1950 وتولى رئاستها، ثم التحق بالثورة المسلحة ضد الاستعمار منذ اطلاقتها في جانفي 1952 صحبة والده أحمد بن بلقاسم البازمي. وشارك في عدة عمليات ومعارك ضد القوات الفرنسية في الجنوب ومن أهمها معركة العيدودي قرب الحامة في أوت 1953. ثم انتقل إلى شمال البلاد حيث نشط بجهة الكاف إلى أن استشهد في أواخر أكتوبر 1954. أما والده فقد سلم نفسه إلى مكتب التسouون الأهلية في بداية سنة 1953 (عميرة، المقاومة الشعبية، ص 144؛ شهادة البشير القربيوي؛ الزهرة، 6 فيفري 1953).

بدر الدين، علي : هو أحد أولياء بلدة قبلي يتخد عرش التبابسة جدا لهم، وهو الولي المحلي الوحيد من أقيمت لهم زوايا قبلي، ويمكن اعتباره من هذه الناحية سلطاناً للبلدة. تقع زاوية سidi على بدر الدين قرب باب الزاوية الذي يفتح باتجاه الشمال، بما يذكر بانحداره من بلاد الجريد. ولا شك أن لموقع الزاوية قرب الباب دور رمزي يتمثل في حراسة البلدة من هذا الجانب. كما أن مساكن التبابسة كانت مجاورة للزاوية من الناحيتين الغربية والجنوبية، وفي الناحية الشمالية توجد لهم تربة بدون قبور، وكأنهم في حمايته أحياء وأمواتا. كان يرتبط بزاوية سidi على بدر الدين مسجد صغير يسمى جامع الزاوية أو جامع التبابسة، وقد كانت محبسة عليه بعض النخلات بواحة قبلي.

البرغوثي، أحمد، شاعر شعبي شهير. ولد أحمد بن محمد بن سالم البرغوثي سنة 1296هـ/1879م في قرية البرغوثية ذات الواحة المحدودة مما جعل أهلها يتوجهون نحو حفظ القرآن والاشغال بالتعليم والميل إلى قول الشعر، وقد أشعوا بذلك على كامل نفزاً وفراً. وقد لازم أحمد البرغوثي كتاب القرية لحفظ القرآن على يدي مؤدب جريدي، وقال الشعر منذ وقت مبكر ولا غرو في ذلك فهو ابن شاعر كبير هو حمد بن سالم الذي كان إماماً وعدلاً موقعاً قبلياً وكانتا خاصاً لكا Hickie نفزاً وفراً. أحمد بن حمادي الذي كان يقول الشعر أيضاً ويحبه. فقد عاش أحمد البرغوثي إذن في بيته شعرية وتعرف في إطارها على نجل الكاهية الشاعر محمد الغراب فربطت بينهما الصداقة الحميمة ونظم الشعر. لكن في أثناء ذلك، انتقلت عائلة حمد بن سالم إلى الحامة حيث استقرت لمدة سنوات وتفرغ أبناءها ومن بينهم شاعرنا للدراسة بزاوية سيدى علي الصيد ثم قصد جامع الزيتونة، وبعد مدة وجيزة عاد ليستقر بالغربيه حيث اشتغل مؤدياً للصبيان على عادة أبناء بلده. وقد سمح له مستقره الجديد بذيع صيته وانتشار شعره في تلك الربوع. وبعد سنوات عاد أحمد البرغوثي إلى قبلي، واشتغل كاتباً بإدارة عامل نفزاً وفراً كما عمل خياطاً إلى أن توفي في 7 جويلية 1933. إن شعر أحمد البرغوثي شاهد على عصره، وقد لعب دوراً هاماً في مجتمع لم تبلغه بعد وسائل الإعلام المختلفة فحفظته الجماهير، وتجاوز صداح المنطقة إلى بقية مناطق البلاد وحتى خارجها وما ذلك في الحقيقة إلا دليل على الأبعاد الإنسانية التي عبر عنها بصدق وإبداع منطلاقاً من بيته المحلي. وقد اهتم البرغوثي في شعره برسم ملامح الطبيعة ووصف الإبل والخيول كما كتب روائع الشعر الغزلي واهتم بذكر الأحداث والتشكك من تقلبات الزمن وكانت مراسلات الشاعرية مع والده حمد بن سالم والشاعر منصور اللطيفي المهدني ومساجلاته مع محمد غراب دليلاً على مقدرة بلاغية فائقة.

(ابن سوف (الهاشمي)، "من أعمال المنطقة الشاعر الشعبي أحمد البرغوثي"، في، أضواء، ع 2، 1975، ص 31-45؛ ابن سالم (المهدني)، "الجوانب الخفية في شعر أحمد البرغوثي"، محاضرة مخطوطة في 30 ص. قدمت في ملتقى أحمد البرغوثي للشعر الشعبي (قبل 1988).

البرغوثية : قرية صغيرة تقع على الطريق الغربي المحاذي لشط الجريد، وكانت بها عين طبيعية وواحة بها 1231 نخلة و 187 أصل زيتون سنة 1852 وتطور ذلك سنة 1862 إلى أكثر من ألفي نخلة وأكثر من ثلاثة أصل زيتون. كانت هذه البلدة

تابعة إلى وطن شداد، وقد اشتهرت كما ذكر بيشفال سنة 1889 بما كانت تنتجه من برائس، وربما الأهم من ذلك أن أهلها عرروا باهتمامهم بالتعليم، وكان بعضهم يقصدون لذلك بلاد الجريد ثم يعودون إلى المنطقة فتنتظم حولهم حلقات المتعلمين. وقد اشتهر من بينهم من الفقهاء سالم بن محمد وال حاج محمد بن طالب وال حاج محمد بن كمال، ومن الشعراء حمد بن سالم الذي تولى الإمامة والشهادة بقبلي وأحمد البرغوثي الشاعر الشعبي المعروف. وقد تجاوز إشعاع البرغوثية نفزاوة إلى مناطق عديدة بالبلاد التونسية جنوباً وشمالاً حيث كان أبناؤها يحفظون القرآن للدائنة ويعلمونهم مبادئ الدين (أو.ت، دفتر 1681؛ ضيف الله، 2000، الشيباني 2001، ص 239؛ لجنة البحوث التربوية، ص 24، وكذلك : ابن سالم (المهدي)، الجوانب الخفية...).

بشرى : أو بشرى، أو حتى بشرة كما ورد في معجم البلدان لليعقوبي، هي من أهم مدن نفزاوة خلال العهود الإسلامية وإلى بدالية العهد الحديث، وقد جاءت أهميتها من موقعها بمدخل شط الجريد وسيطرتها وبالتالي على الطريق الرابطة بين نفزاوة وقسططيلية. وخلافاً لما يوحى به اسمها ذو الجذر العربي، فإن تأسيسها أسبق فيما يبدو من الفتوحات الإسلامية، إذ يذكر الحميري، في معجمه الروض المعطار في خبر الأقطار، بأنها "مدينة مسورة قديمة"، وهي الصفة التي كان يطلقها الجغرافيون العرب على المدن ما قبل الإسلامية. دون الاطلاع على ذلك المصدر ذهب الضابط العسكري الفرنسي دونو (Donaue) إلى أن الاسم القديم لبشرى هو (Ad Templum). غير أن هذا الاسم اللاتيني الذي يحيل إلى رموز سابقة للدين الجديد استبدل باسمها الحالي الذي يحمل معانٍ الفرح والسرور. وربما أطلقه عليها العابرون لشط الجريد الذي أطّلب الرحلة العرب في وصف ما يحف بعيوره من أحطارات. فتراهم يستبشرون بسلامتهم بمجرد مشاهدتهم لمدينة بشرى وواحتها الممتدة المحاذية لذلك الشط. وعلى أية حال فقد أصبحت بشرى في العهود الإسلامية -على الأقل في القرن 3 هـ/9- المدينة العظمى بنفزاوة، وكان ينزل بها العمال، ويذكر اليعقوبي بأن سكانها "قوم من الأفارقة القدم ومن البربر"، ينحدرون ولا شك من قبيلة نفزاوة ولذلك أطلق البكري على هذه المدينة اسم تلك القبيلة. ويذكر ابن حوقل والحميري أن بشرى كانت مسورة، أما البكري فيذكر أن لها سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وبها جامع وحواليها عيون كثيرة، ويضيف ياقوت الحموي إلى ذلك الحمام والأسواق الحافلة. وبالتالي

توفرت فيها كل مقومات المدينة العربية الإسلامية. لكن يبدو أن بشري قد تعرضت منذ النصف الثاني من القرن 6هـ/12م إلى التراجع شأنها في ذلك شأن بلدة طرة بوسط نفزاوة، إذ امتدت إليهما العمليات العسكرية حتى أنه دفن ببشرى في النصف الأول من القرن 8هـ/14م أحد قادة الجيش الحفصي. وعندما زارها التجاني لاحظ أنها مجرد قرية أضخم من جميع ما قبلها من قرى نفزاوة وأصبح اقتصادها يرتكز أساساً على القطاع الفلاحي، إذ كانت تنتج التمور وغيرها من الثمار مثل السفرجل والإجاص، ولم يشر ذلك الرحالة إلى توفر أي عنصر من مقومات المدينة ومن بينها السوق. ورغم أنها كانت في القرن 10هـ/16م مسورة ويقطنها عدد هام من السكان، فإن الحياة القروية قد طفت عليها تماماً وكان سكانها حسب دي مرمول - يرزحون تحت الضرائب المشطة وهو ما أثر على دورها الإداري وانتقلت عاصمة نفزاوة إلى داخل المنطقة لتصبح أقرب من كل القرى وبقيت كذلك إلى حد الآن (ابن خلدون، ج 7، ص 373؛ التجاني، ص 153-154؛ دي مارمول، ج 2، ص 38-39؛ الحميري، ص 118؛ العقوبي، ص 102؛ ابن حوقل، ص 92؛ للبكري، ص 92؛ ياقوت الحموي، ص 1736).

بشي : إحدى قرى الشارع تقع غربي بلدة قبلي. كانت تابعة إلى وطن يوسف. وكانت بوأحتها سنة 1862 أقل من أربعة آلاف نخلة وهي بذلك أهم واحة على الطريق الغربي، كما كانت تحتل المرتبة الثانية في وطن يوسف من حيث عدد أصول الزيتون، بـ 260 سنة 1852 و 366 بعد ذلك بعشرين سنة.

بشنى : قرية تقع جنوب شط الجريد غير بعيد عن مدينة درجين التاريخية، استحدثت في ثمانينات القرن العشرين وكانت قبل ذلك مجرد "زيرة" صغيرة بها بعض النخلات البعلية، غير أن واحة عصرية نشأت قربها بعد أن تم حفر بئر ارتوازية، وتكون حولها تجمع سكني جهيز بعد ذلك بمدرسة ابتدائية.

البلوطى، منذر بن سعيد (273-355هـ/887-966م) : قاضي قرطبة. ينحدر من طواعن ولهاصلة النفزاوية وبالذات من بطن سوماته. وقد اعتبره ابن خلدون أحد ستة اشتهروا بالعلم في البربر. نشأ بالأندلس ودرس بها لمدة قصيرة ثم اتجه نحو المشرق حيث بقي أكثر من ثلاث سنوات ألم فيها بالأصول وأوجه اختلاف العلماء فيها. وعاد بعد ذلك إلى الأندلس واشتهر أمره حتىولي قضاء ماردة ثم التغور الشرقي، وأصبح من أشهر الفقهاء، ولذلك حضر الاستقبال الذي أقامه عبد الرحمن

الناصر لسفراء بيزنطة سنة 338هـ/949م، ولما عجز العالم البغدادي أبو علي الفالي عن إلقاء خطاب في ذلك الجمع، ارتجل منذر بن سعيد بدلا عنه خطابا علا به نجمه وانتشر به صيته، فولاه الناصر الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثم عينه قاضيا للجامعة بقرطبة بعد وفاة القاضي محمد بن عبد الرحمن بن أبي عيسى، وبقي في هذا المنصب إلى عهد المستنصر. وقد عرف كيف يستغل مكانته في توجيهه الحاكم ونقده، كما أنه تعزى إليه المكانة التي أصبح يحتلها قاضي الجماعة باعتباره أكبر شيوخ عصره. وكان منذر بن سعيد إذا جلس للقضاء قضى بمذهب الإمام مالك المذهب الرسمي للدولة، ولكنه إذا جلس للتدريس بدا متحررا من هذا المذهب بل قد قيل إنه من المؤيدين لابن مسرة في معظم آرائه، وبين مسيرة هذا كان يميل إلى الاعتزال، ولذلك قال فيه ابن الفرضي إنه "كان بصيرا بالجدل منحرفا إلى مذاهب أصحاب الكلام لهجا بالاحتجاج". ومع علمه ومكانته اشتهر منذر بن سعيد بدعاته وخفة روحه (ابن خلدون، ج 6، ص 105-106؛ حسين (محمد الخضر)، ص 84-85؛ مؤنس (حسين)، ص 70-72؛ راضي (على محمد)، الأص 53-55، ابن عذاري، ج 2، ص 250).

البليدات : إحدى القرى الغربية لنفزاوة، توجد على الطريق الذي يمر جنوب شط الجريد. وقد اتخذت لها موقعا مرتفعا حول عين طبيعية ضعيفة المنسوب، وتحيط بها مجموعة من "الزير" أو جزر التخل التالية : فاميلايا، شرديوش، بن زيتون، برقو. وطبقا للرواية الشفوية فإن هذه الجزر كانت عبارة عن بلدات صغيرة اشتقت منها اسم البليدات بعد أن قرر سكانها تجميع قواهم بالسكن إلى جوار بعضهم في الموضع الجديد. إلا أنها نعتقد أن هذه التسمية قد تكون أطلقت على مجموعة من البلدات التي كانت تعود بالنظر إلىشيخ واحد وهي البليدات والجرسين والطوبية، وقد استأثرت أولاهما بالتسمية لوجود الشيخ بها، بينما حافظت البلدتان الأخريان على اسميهما. ترجع الروايات الشفوية سكان البليدات إلى أصول مختلفة، بربرية وعربية، محلية ووافدة من كل الاتجاهات، من الساقية الحمراء والبليدة غربا، ومن صرمان بليبيا شرقا، ومن المهاجرة شمالا. وكانت واحتها متواضعة في القرن التاسع عشر إذ لم يكن بها سنة 1862 غير 2321 نخلة و 44 أصل زيتون. وهي من أصغر واحات وطن شداد آنذاك ولا شك أن ذلك يعود إلى توسيع منسوب عينها الطبيعية التي كانت تسد نهارا ليتجمع

بها الماء لیوزع على أصحابه لیلا. وكان البعض من ماء هذه العین یوجه إلى جزيرة فاميليا (أو.ت، 1681؛ ضیف الله، 2005، الشیانی 2001، میلود، ص 131: 132).

بن بلقاسم، أحمد: هو خليفة قبلي ثم نفزاوة قبل الاحتلال وعاملها بعد انتصار الحماية. ينحدر من المناصرة أحد العروش الأربعة لأولاد بلوم ولد بلدة قبلي في ثلاثينات القرن التاسع عشر. وكان أخوه حمادي بن بلقاسم خليفة قبلي وهو الذي أجار خومة المحمودي سنة 1857. أما هو فقد سمي في مطلع ستينيات القرن التاسع عشر شيئاً على قبلي ثم أصبح خليفة لوطن شداد. وفي أبريل 1973 سمي خليفة على نفزاوة بعد توحيدها. وفي فيفري 1876 سمي كاهية وجق الجريد وهو اللقب الذي غالب على اسمه في الذاكرة الشعبية. كانت علاقات متواترة مع الأهالي وخاصة منهم من ينتمون إلى صف يوسف. ومن الأحداث التي جدت في في عهده قدوم المحطة لمعاقبة بلدة جمنة لرفضها الإحصاء، وقد انتم أحمد بن بلقاسم بتحريض السلطة المركزية على تلك البلدة. عند احتلال المنطقة في ربيع 1882 استقبل أحمد بن بلقاسم القوات الغازية وعبر لها عن استعداده العمل معها. وبالفعل عين عاملًا على نفزاوة واستمر في منصبه إلى نوفمبر 1885 إذ وقع عزله ونفي إلى قابس نتيجة كثرة التشكبات التي رفعها الأهالي ضدّه. لكنه عاد من جديد في جويلية 1895 ليعين عاملًا على المهاذبة ثم نقل إلى نفزاوة بنفس خطته رغم موجة من الاحتتجاجات المعارضة له. وفي أواسط 1898 عزّز من جديد بتهمة الصلوع فيمقتل المركزية دي موريس. وتتحى منذئذ عن المسرح السياسي رغم محاولاته العودة من جديد (ضیف الله، 2006: 2006)

بن جمعة النولي، عمر بن عمر (1336هـ/ 23 ماي 1918 - 28 ماي 2008): منتف وشاعر وداعية أصيل بلدة نريل، درس على يديه أكثر من جيل بمنطقة نفزاوة وخارجها. حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، وأتمه بزاوية المحجوب بدوز، ثم انخرط بالتعليم الزيتوني حيث التحق بفرع توزر ثم صفاقس وانقطع عنه سنة 1938. وعاد إلى التعليم الزيتوني من جديد في مطلع الأربعينيات ودرس بالعاصمة حتى حصل على الجائزة الأولى سنة 1944. ثم أحرز على شهادة التحصيل وهو ما حول له المشاركة في مناظرة التعليم والنجاح فيها. عمل معلماً بعدة مدن خاصة بالجنوب، ثم واصل تعليمه الزيتوني والتحق للتدريس بالتعليم الثانوي ودرس بكل من قبلي ودوز. ساهم في النضال الوطني وفي الحياة الجمعياتية حيث كان من مؤسسي جمعية الطالب النفزاوي

وتولى أمانة مالها سنة 1946. وأسس أول نقابة بقني في مارس 1955 وألقى عليه القبض خلال مؤتمرها التأسيسي بما دفع سكان قبلي والقرى المجاورة للطاهر والاعتصام من أجل إطلاق سراحه وهو ما تم بالفعل. حاضر وسامر وألقى عديد الدروس قبل التقاضي وبعده في المساجد والنواحي. كما كتب الشعر في مختلف الأغراض وخاصة منها الشعر الوطني والقومي. وله ديوان شعر عنوانه "تضات" ومخطوط يحمل عنوان "استجلاء البصائر واستصفاء السرائر"، ومجموعة محاضرات وتفسير الجزء الأخير من القرآن الكريم، وجميعها لم تطبع (شهادته الشخصية صيف 2007: الصباح 13-7-2008، ص 4).

بن سعيد، نصر: هو النجل الأكبر للقائد سعيد بن نصر. ولد بقبلي سنة 1888 وكان والده آنذاك شيخاً على بعض عروش أولاد يعقوب. التحق بالمدرسة الفرنسية العربية بقبلي، وبعد أن أحرز على الشهادة الابتدائية تحول إلى العاصمة ليدرس بالمدرسة العلوية ثم باللاليسي كارنو، غير أنه لم ينه دراسته، وانخرط في الخدمة العسكرية ثم كان سنة 1911 أول تونسي ينوجه للدراسة بالمدرسة الحربية بسان سير. تخرج بعد سنتين ثم التحق خلال الحرب العالمية الأولى بجبهات القتال إلى جانب القوات الفرنسية. عاد إلى تونس سنة 1919 لكنه فضل التخلص عن الرزي العسكري واللحاق بالعمل الإداري، فعين قائداً بقصبة في فيفري 1920 ثم نقل بنفس خطته إلى عدة قيادات أخرى ومن أهمها القيروان وصفاقس، إلى أن تقاعد سنة 1947. ولكنه عاد من جديد إلى الساحة السياسية إذ عين في أوت 1954 وزيراً للتعهير والإسكان في حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية ويبقي بمنصبه إلى سبتمبر 1955. قام نصر بن سعيد بعدد من الأعمال التي تحسب له من بينها مساعدته على تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، عندما كان قائداً بصفاقس، وبعد تعيينه أنس جمعية مقاومة الأممية ونشر التعليم بين العروش، وقد نولت إنشاء العديد من المدارس في مناطق مختلفة من البلاد. خبا ذكره بعد الاستقلال إلى أن توفى في فيفري 1973 (ضيف الله، 2005).

بن سليمان العويني، محمد (1898-1983) : مدير الفرع الزيتوني بقبلي. ولد الشيخ محمد بن سليمان العويني حوالي سنة 1898 في قرية فطناسة، وقد مر في طفولته وصباه بوضع عائلي صعب، إذ حدث الطلاق بين والديه ولم يتجاوز بعد سن الخامسة، ويفي ممزقاً بين عائلتين جديدين. وقد حفزته هذه الوضعية لكي يتجه نحو

زاوية سيدى المولدى بالجريدة حيث أنهى حفظ القرآن فى أقل من سنتين رجع بعدهما إلى موطنه ليشتغل مؤدياً وراعياً للغم فى نفس الوقت، غير أن وضعه المعيشية والعائلية لم تتحسن عما كانت عليه رغم تجاوزه سن العشرين، فقرر مغادرة نفراوة نهايًا واتجه نحو الشمال الغربى حيث احتضنه بعض الأعيان وعمل هناك مؤدياً وخياطاً. وبعد عشر سنوات سمح له الظروف بالمعاملة من جديد، إذ التحق بجامع الزيتونة سنة 1930، ومما ساعده على مواصلة الدراسة به تعيينه شيخاً لأحد المبتدأت الطالبية مع ما يتمتع به من بعض الامتيازات (الأكل والسكن المجاني). وكان في العطلة الصيفية يعود إلى الشمال الغربى ليجمع مؤونة السنة الدراسية الموالية من عمله كمؤدب وخياط. وتواصلت حياته الطالبية على هذا النسق لمدة خمس عشرة سنة تحصل خلالها على شهادة الأهلية (1935) ثم التحصيل (1938) ثم العالمية في القراءات (1941) وأضاف إليها العالمية في العلوم الشرعية (1944)، وبذلك بلغ درجة علمية لم يسبقها إليها أي طالب نفراوى آخر. وتمكن بعد ذلك من النجاح في مناظرة للتدريس بجامع الزيتونة نفسه. لقد كان الشيخ محمد بن سليمان من المؤثرين بالحركة الإصلاحية وأساساً بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب مشروع إصلاح التعليم بالزيتونة، فاختاره سنة 1949 لتركيز الفرع الزيتونى بقبلي، فتولى إدارته والتدريس به إلى أن أغلق سنة 1961. لقد سمح فتح الفرع الزيتونى بقبلي بالتحاق عدد كبير من الشباب النفراوى بالتعليم ولم تكن الظروف تسمح لهم بذلك من قبل نظراً وبعد الفروع الزيتونية إذ أن أقربها إلى المنطقة يقع بتوزر وفابس. ويعود الفضل إلى الفرع الزيتونى بقبلي في تخريج عدد كبير من المتفقين والمتعلمين، فنجم بذلك تحت إدارة الشيخ محمد بن سليمان في تحقيق بعض أهداف المشروع الإصلاحي بالمنطقة. وبعد غلق الفرع نقل الشيخ للتدريس بفرع مدنين ثم جرجيس بقبلي إلى أن تقاعده سنة 1970، وقد استمر بعد تعاقده في عقد الحالات الخاصة التي كان يرشد فيها الناس ثم تفرغ للتدريس القراءات لحفظة القرآن إلى أن توفي في 21 أفريل 1983. تزوج الشيخ محمد بن سليمان وهو في عقد الخامس وأنجب ستة ذكور ومثل ذلك من الإناث
(المصدر : نجله محمد الأزهر وإبراهيم).

بن لاغة، أحمد بن سليمان: أحد متفقى الجهة ومن الشعوفين بتاريخها، ينحدر من عائلة ذات نفوذ من قرية المنصورة، وقد لعب جده الحاج علي بن لاغة قبل انتصار

الحماية، دورا هاما في نفزاوة باعتباره آغا زواوة وقد سمي سنة 1857 خليفة لوطن شداد خلفا للحاج حمادي بن بلقاسم الذي عزل بسبب إجراته لغومه المحمودي. ولد أحمد بن لاغة في 19 أوت 1911، وكان أصغر إخوه. التحق بتونس العاصمة للدراسة بجامعة الزيتونة، وشارك في التحركات الطالبية التي جدت سنة 1936 وألقي عليه القبض غداة المظاهرات التينظمها الطلبة الزيتونيون في فيفري 1936، وبقي بالسجن إلى أن انفرجت الأوضاع السياسية بالبلاد بعد شهرين. أحرز على شهادة التحصيل في العلوم سنة 1946، وانخرط في المدرسة التونسية للإدارة سنة 1949-1950 وفي مدرسة الحقوق التونسية في السنوات الموالية، ووصل إلى السنة الثانية، غير أنه لم ينه دراسته في كلا المدرستين. التحق سلك القسمين حيث عمل بالمدرسة الزيتוניתة بقبس في النصف الثاني من الخمسينات، وفي السبعينات عمل فيما عاما داخليا بالمعهد الثانوي بقابس. ربطه مذ كان طالبا بالعاصمة علاقة جيدة مع الشيخ محمد الشاذلي التيفير مدير إدارة المدارس الزيتוניתة. وساهم بعد التحاقه بالعمل في دعم الثورة الجزائرية. شغف بتاريخ نفزاوة وكان يردد بعض فقراته بالمقاهي والمجالس، غير أنه لم يكتب شيئا. توفي عام 2005 (من بين المصادر: نجله صبري لاغة).

بن نصر، سعيد: هو سعيد بن نصر بن عبد الصادق بن بوعلاق بن علي بن سلطان، من أولاد بوبكر أحد أهم عروش أولاد يعقوب. ولد ببلدة نقة حوالي سنة 1860، سمي والده لفترة وجيزة خليفة على أولاد يعقوب (بين مارس 1860 و1879). وإلى جانب الواجهة، ورث سعيد بن نصر الثروة حيث كان من أهم أثرياء أولاد يعقوب إذ كان يملك سنة 1889 18 منزلا و400 نخلة ومائة زيتونة وثلاثة أفراس و10 من الإبل و200 من الضأن. أما من حيث التكوين فقد كان متعملا بما يكفيه لكي يمسك حساباته بنفسه حسب تعبير بيشفال. لعب مع والده دورا هاما في خصوص المنطقة إلى الاستعمار، ولذلك عين سنة 1884 شيخا على أولاد ميرة وأولاد عزيزة وأولاد بوبكر، واستمر في هذا المنصب إلى ديسمبر 1890، حيث دعي لقيادة مخزن قبلي الذي بعث حدثا آنذاك، برتبة باش شاووش، واستمر في المخزن إلى سنة 1898. وقد نجح آنذاك في العثور والإتيان بحالة الرحال الفرنسي المركيز دي موراس الذي قتله التوارق بالصحراء في جوان 1896، كما أن علاقاته المتينة مع الضباط الفرنسيين جعلتهم يرشحونه لقيادة نفزاوة وصدر بالفعل الأمر العلي بتلك التسمية في 3

جويلية 1898 وبقي في هذا المنصب إلى 25 جانفي 1922 وبذلك ناهزت مدة ولايته ربع قرن، وهي فترة قياسية بالنسبة للذين تولوا قيادة نفزاوة، بما يعكس مدى ما كان يحظى به الرجل من تقدير لدى السلطات الاستعمارية فضلاً عن السلطات التونسية، غير أن ذلك لم يشفع له إذ أزيح في ظروف صعبة بالنسبة له. تحصل سعيد بن نصر على الأوسمة الثلاثة التالية : ميدالية الشرف الفضية بتاريخ 23 أوت 1896، ونيشان افتخار بتاريخ 1 جوان 1905 ويبدو أنه كان من الصنف الثاني وأبدل بالصنف الأول سنة 1931، والأهم من ذلك وسام الليجيون دونور بتاريخ 20 جويلية 1907. توفي سعيد بن نصر -حسب ما سجل على شاهد قبره- يوم 21 جمادى الأولى 1358 أي ما يوافق يوم 9 جويلية 1939، وقد دفن بجامع السوق الذي يقع بجوار منزله بقبلي.

(ضيف الله 2005، آ.و.ت)

بن يعقوب، البشير (1936-2006): متقدّم داعية ومدرس. هو الشيخ البشير بن التهامي بن الحاج إبراهيم بن علي بن يعقوب، ولد في جويلية 1936 بنزلة العبيد بقبلي، في وسط عائلي يهتم بالتربيّة والتعليم، إذ كان والده مؤديباً، ودرس خاله محمد الحسين بن يعقوب في جامع الزيتونة وترأس سنة 1950 جمعية الأخوة النفزاوية الطالبية، أما خاله محمد الكيلاني بن يعقوب فقد درس بالمدرسة الفرنكوا-عربية بقبلي دون أن يتمكن من إكمال دراسته. في هذا الإطار التحق البشير بن يعقوب بكلّ سيدى علي بدر الدين ببلدة قبلي، ليتعلّم مبادئ الكتابة وحفظ القرآن الكريم على يدي المؤدب الطاهر الفيتوري. وقد مكّنه ذلك فيما بعد من اللحاق بالتعليم الزيتوني، ولم يحل دون ذلك انفصال أمه عن أبيه إذ تولى تربيته وتكوينه خاله محمد الكيلاني وعاش في كفالة جدته للأم حتى توفيت سنة 1962. وكان خلال العطلة الصيفية يحضر دروس الشيخ محمد الجلبي. التحق في أواخر الأربعينيات بالفرع الزيتوني بقبلي، وكان من بين شيوخه محمد بن سليمان العويني مدير الفرع وعمر بن جمعة... وتحصل في جوان 1955 على شهادة الأهلية، ثم انتقل في السنة الموالية إلى العاصمة للدراسة بجامع الزيتونة وكان من زملائه هناك عدد من سيرزون في ميدان التربية والتعليم ومن بينهم محمد دراويل ومصطفى الصغيرون وعلى ميلود والخموسي الصغير. استقر في العاصمة بالمدرسة القاسمية ثم بالمدرسة العنقية، وحصل على شهادة التحصيل في جوان 1958. وكان من أساتذته حمادي الجريري في الفرنسية

ومحمد المقدم في الرياضيات وعبد الكريم المرارق في الفلسفة ومحمد بن الزنابيقي في التشريع الإسلامي وأحمد قاسم في التاريخ وزكرياء بن مصطفى في الكيمياء... وقد تمتع في السنة الدراسية 1958-1959 بفرض زيتوني غير أنه بعد دراسة سنة كللت بالنجاح في التعليم العالي الزيتوني شارك ونجح في مناظرة انتداب معلمين سنة 1959. فالتحق للعمل بعد من المدارس الابتدائية : مدرسة مينول بولاية جندوبة (1959-1963) ثم طبرية ثم علامات مثلوش بمدنين. غير أنه حرص على إكمال دراسته الجامعية بعد ذلك فعاد إلى العاصمة سنة 1969 ليشارك في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين وتحصل على الإجازة سنة 1973. وقد عين للعمل بالمعهد الثانوي للذكور بصفاقس 1973-1974 فعمل به لمدة ثلاثة سنوات. ثم التحق بالمعهد الفني بقابلي سنة 1977-1978 وبقي يدرس به إلى أن أحيل على التقاعد المبكر بعد 35 سنة من العمل وكان ذلك سنة 1994. وقد توفي في مارس 2006، وخرج لتشييعه الآلاف من أهالي قابلي في جنازة لم تشهد المدينة مثيلا لها من قبل. برع الشيخ البشير بن يعقوب في العمل الجمعي وفي عدد من الأنشطة الاجتماعية والخيرية والدينية الثقافية. فقد انتخب في مارس 1955 حافظ مكتبة الفرع النفزاوي لجمعية التلميذ النفزاوي، ثم انتخب في أكتوبر من نفس السنة بممثل تلك المهمة لمكتبة الجمعية الأم بتونس العاصمة. وترأس صندوق الزكاة بولاية قابلي منذ تأسيسه، كما تولى إماماً جامعاً بلال بقابلي منذ سنة 1979 وإلى ما قبل وفاته ببضعة أشهر، وكان وراء تأسيس كتاب جامع بلال، وكان عضواً رابطاً الجمعيات القرآنية، كما كان أحد الأعضاء العاملين بنادي الفكر بقابلي، وأحد مؤسسي فرع الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان بقابلي. كما كان يستدعي للاستشارة في العديد من الهيئات وكان من المدافعين على أراضي المجموعة المحلية. ينتمي الشيخ البشير بن يعقوب إلى الجيل الزيتوني الأخير، فكان خلاصة للتقليد الزيتوني، من حيث التمكن من كتب التراث، كما كان في نفس الوقت شغوفاً بالاندماج في حركة العصر، وتشهد على ذلك مطالعاته المتنوعة وثقافته الموسوعية، ودوره الأسبوعية التي استمرت لعدة سنوات وقد تناول فيها نظرية الاقتصاد الإسلامي، غير أنه لم يدونها كما لم يقع تسجيلها. وفي كلمة فإن الشيخ البشير بن يعقوب متثقف عضوي بكل ما يكتزه هذا المفهوم من معاني (شهادات شفوية متطابقة).

بني محمد : تقع على الطريق الغربي غير بعيد عن كلوamen ، كانت تابعة إداريا في القرن التاسع عشر إلى وطن يوسف الذي يعود بالنظر إلى بلدة تلمنين . وكانت آنذاك ذات واحة صغيرة إذ كانت تعداد سنة 1852 حوالي الألف نخلة مع 13 أصل زيتون .

بوعبد الله : كانت هذه القرية تحظى أحد مرتفعات جبل حلوص وتمتد على سفحه الجنوبي مقتربة من الطريق الذي يشق شبه الجزيرة باتجاه الجريدي . أما تاريخياً فيبدو أن البلدة تعود إلى العهد الروماني . وفي القرن 9هـ/15م أتى إليها المرابط سيد زيدان ليصبح الجد الجامع لأهلها . وفي القرن الثامن عشر انضمت بوعبد الله إلى صف شداد وساهمت عند مقدم غومة محمودي إلى المنطقة سنة 1857 في احتضان أصحابه . أما ديمغرافيها فقد كانت بوعبد الله تحظى المرتبة الثالثة بنفزاوة بما يفوق الثلاثمائة نسمة سنة 1861 ، وهو ما كان يناسب دورها الاقتصادي إذ كانت واحتها آنذاك تحظى المرتبة الثانية في وطن شداد مباشرة بعد قبلي بما يفوق 11 ألف نخلة سنة 1852 و 22 ألف سنة 1862 ، أما في نفزاوة فكانت تحظى المرتبة الثالثة مما يؤشر على أهميتها في المنطقة ، بل أنها كانت تحظى المرتبة الأولى من حيث عدد النخيل من صنف القطيمي والمرتبة الثانية من حيث أصول الزيتون . لكن يبدو أن هذه البلدة عرفت في أواخر ذلك القرن بعض الصعوبات نتيجة ضعف منسوب العين التي تسقي واحتها (يراجع 78).

بوعلاق، احمد (1875 - ...) : ينحدر من أولاد بوبكر أحد أكبر عروش أولاد يعقوب ، وقد تولى رياستهم لمدة تفوق العقدين تمتد بين الخمسينات وأواسط سبعينات القرن التاسع عشر . برز لأول مرة عندما قدمت المحلة إلى نفزاوة في خريف 1857 للاحقة الثالثة غومة محمودي المتحصن ببلدة قبلي ، فقد قدم لمساعدة المحلة وكان على رأس حوالي العشرين فرداً من بينهم ابنه وأخوه . وقد امتحنه قائد المحلة في التقرير الذي رفعه إلى السلطة المركزية ذاكر بشأنه ما يلي "قد رأينا من مكانتيه وبلغنا عنه ما لا يمكن التعبير عنه من النصح في الخدمة المذكورة وبذل الجهد فيها" . وتبعاً لذلك طلب مجامعته "بما يقتضيه نظركم وترونه مناسباً إما بالكتابة له أو غير ذلك مما يأخذ بخاطره وتنظيره به مزية خدمته" . وفي هذا الإطار سمي خليفة على أولاد يعقوب . غير أن هذه التسمية لا يمكن اعتبارها مجرد مجازاة له على ما قام به إلى جانب

المحلة، وإنما تدخل في إطار استرategic السلطة آنذاك لطبع جماعة القبائل المتنافلة وربما الوصول فيما بعد إلى إخضاعها لدفع الضرائب. غير أن أولاد يعقوب لم يكفوا عن شن غاراتهم في مختلف الاتجاهات وذلك حتى بعد تسمية محمد بوعلاق خليفة عليهم. ولم يكن أمام السلطة إلا أن تلتئم منه كبح جماعتهم، ولم يكن أمامه إلا الذين في مخاطبتها من ذلك أنه كتب إلى عامل الجريدة بتاريخ ربيع الثاني 1287/جويلية 1870 قائلاً : "ورغبت إخواني أولاد يعقوب في استجلاب العافية وفي ترك الاشتغال بما كانوا متلبسين به من التعرض في الطرق وبالغت في إنذارهم وتحذيرهم من عاقبة العود لما ذكر فساعدوني كلهم". غير أنه ما فتئ أن اتهم بالمشاركة مع خمسة فرسان من قبيلته في قتل صباغي والاستحواذ على ما كان يحمله من مال لخليفة الوديان وكان ذلك في ذي قعدة 1290/ديسمبر 1873-19 جانفي 1874. وقد أدت هذه العملية إلى إلقاء القبض عليه في بداية سبتمبر 1874، وحمل محفوراً إلى قلنس ومن هناك إلى العاصمة. ويبدو أنه توفي في سجنه سنة 1875 حيث انقطع ذكره في الوثائق بعد شهر أبريل من تلك السنة. (صيف الله 2005، أو.ت)

بوعلاق، علي (...-1915): ينحدر من أولاد بوبكر أحد أكبر عروش أولاد يعقوب بنغزاوة وهي قبيلة مخزنية، تولى والده محمد بوعلاق قيادتها ما يقرب من عقدين كاملين. وإلى جانب الرئاسة كانت هذه العلاقة ذات ثروة هامة حتى أن علي بوعلاق كان من أهم الملوك بواحة نقة إذ كان يعود له قرابة 6 بالمائة من ثروتها المائية مع ما يعنيه من أهمية ملكيته للنخيل بتلك الواحة. قاتل علي بوعلاق تحت قيادة والده إلى جانب المحلة التي قدمت إلى قبلي في خريف 1857 لإخراج غومة محمودي. سعى بعد وفاة والده سنة 1875 إلى لعب دور قيادي داخل قبيلته، ولا أدل من ذلك أنه لما عاد من العاصمة في نوفمبر 1877، نظم له استقبال كبير إذ "اجتمع عليه جم غفير من الناس وهو في الطريق"، وقد أراد أن لا يفوت تلك المناسبة ليحاول سحب البساط من تحت الخليفة أحمد بن بلقاسم، وهو ما استغل ضده وأدى إلى سجنه، فقضى سنة 1878 كاملة وراء القضبان، وفي جانفي 1879 وقع التشفع له لدى الباي لإطلاق سراحه، وهو ما تم بالفعل بل لم تمر إلا بضعة أشهر حتى عين خليفة لأولاد يعقوب (جويلية 1879)، ثم ارتقى ليصبح خليفة على وطن تامين في أكتوبر 1879 عوضاً عن الحاج محمد بن الكيلاني، واستمر في منصبه إلى فرض الحماية الفرنسية

ويبدو أنه دعى آنذاك إلى الحاضرة قبل أسبوع من توقيع معايدة الحماية، وتؤكد المصادر الفرنسية أنه سجن بالكراكة وأنه فر من سجنه بعد مجيء الفرنسيين. وقد كان موقفه مضاداً لانتصارات الحماية إذ كتب بشأنه محمد المرابط عامل الجريدة بتاريخ 11 رجب 1298 / 9 جوان 1881 "إن وطن نفزاوة لما شوشهم علي بن محمد بوعلاق توقف خلاصهم لأنه أفسى فيهم أخباراً لا تليق وكذلك في طريقه لما قدم من الحاضرة مر على أولاد سعيد وعلى الهمامة وأفسى فيهم ما ذكر". وقد أمرت السلطة المركزية بالقبض عليه لكن الرجل كان آنذاك قد انخرط في حركة المقاومة. وقام فعلاً في أكتوبر 1881 مع الهمامة بهجمات على عدة جهات بالشمال، كما أغروا على أسوار الكاف وعلى التحوم الجزائرية واستهدفو قطاع الإبل والأغنام ومرانز القوم الفرنسية. وعندما دخلت القوات الفرنسية إلى نفزاوة في ربيع 1882 اتجهت نحو نفقة لهم برج علي بوعلاق، بينما كان هو قد اتجه مع حوالي المائتين من قبيلته نحو البلاد النبوية. ومن هناك شنوا بعض الغارات على القوات الفرنسية والأهالي الذين قبلوا الاحتلال بصمتهم أو مؤازرتهم. ولم يعد إلى المنطقة إلا سنة 1907 ليتوفي سنة 1915. (أبو.ت ، ضييف الله ، 2000 ، 2005) (المرزوقي (محمد)، صراع مع الحماية، ص 219-219 ؛ مورو، ص 105 ؛ مارتا، ص 120-122).

بيض حمام : نوع من الرطب ينضج في سبتمبر، يكون في حجم بيضة الحمامة ومن هنا جاءت تسميته، وهو أصفر اللون وطري بحيث تتأثر نوعيته بسبب نقاشه، ولذلك فهو يستهلك طازجاً كما أنه لا يخزن.

التباسة : أحد عروش بلدة قبلي، وهم ينحدرون في الأصل من توزر، وقد جاء جدهم المرابط أحمد بن محمد التباسي أو الدباسى (المتوفى سنة 930 أو 932هـ/ 1524 أو 1525) إلى نفزاوة، ونعتقد أنه استقر ببلدة قبلي حيث ترك سلالته التباسية. أما زاربتهم المعروفة فهي زاوية سيدي علي بدر الدين التي تقع شمال البلدة على البابالمعروف بباب الزاوية. ويعود الفضل لبعض التباسة في إدخال نخيل الدقلة إلى واحة قبلي أو وسط القرن التاسع عشر، فقد كان بدر الدين بن محمد التباسي يملك سنة 1862 : 43 نخلة من صنف الدقلة أي ما يفوق نصف ما كان يوجد بواحة قبلي آنذاك من هذا الصنف، كما اهتم بالأصناف الجيدة الأخرى من النخيل حيث نجد له بجنة دنوش سنة 1852 : 14 دقلة، ومثل ذلك فطيمي، و 7 حرمة بالإضافة إلى 70

شكان، وكانت له بستان بن حورش إحدى عشرة نخلة من صنف الدقلة خمسة منها مازالت لم تثمر آنذاك. وكان الرجل من أكبر ملاكي البلدة سنة 1862 بـ 1662 نخلة (أبوت، دفتر 1681 : محمد ضيف الله، 2005).

التباسي أو الدباسى، أحمد بن محمد (المتوفى سنة 930 أو 932هـ/1524 أو 1525)؛ أحد المتصوفة. أصيل مدينة توزر، وهو ينحدر من عائلة ثرية، غير أنه التحق بالشيخ الصوفي أحمد بن مخلوف الشابي، "خدمه وأخذ عنه الطريق" الصوفي، وصار كما يقول نجم الدين الغزى "من كبار العارفين" به، انتقل بعد ذلك إلى نفزاوة وربما عاش ببلدة قبلي حيث يتنسب إليه أحد عروشها (التباسة). وجاء في المصادر أنه توفي بنفزاوة بعد أن تجاوز المائة سنة، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثلاثين وتسعمائة /أكتوبر 1524م أو 13 محرم 932هـ/30 أكتوبر 1525م. وأقيمت عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي بدمشق، وهو ما يعكس مكانته في عالم المتصوفة في زمانه (الغزى (نجم الدين)، ص 79).

تلمين: كانت عاصمة نفزاوة في العهد الروماني تسمى تريس تماليني Turris Tamalleni ويرى بعض الباحثين أنها تلمين الحالية، في حين يذهب آخرون إلى أنها كانت تضم قرى تلمين والرابطة والمنصورة والجديدة وربما قبلي، وهي بذلك تمتد على بضعة كيلومترات مربعة. ولكن الأرجح أنها كانت تضم جزعين، أحدهما بلدة طرة التي كانت ترکزت بها حامية عسكرية للسيطرة على مصدر المياه وكانت وبالتالي المركز الإداري للمنطقة، أما الجزء الثاني فهو تلمين التي اكتفت بالوظيفة السكنية، وكانت تحتوي على كنيسة، يبدو أنها تأسست بها لتكون قريبة من السكان. لقد تأسست تلمين على الأقل في القرن الأول للميلاد، وذلك بعد أن وقع تحديد أراضي قبيلة البنجني أو نفزاوة سنة 29-30 بـ م فكانت مركزاً متقدماً في الاليماس الطرابلسية، ثم وقع ربطها بكل من قابس سنة 83 بـ م وقصبة سنة 105 بـ م وهما مدینتان مرومتان مما رشح عاصمة نفزاوة إلى أن ينسحب عليها هي الأخرى قانون المدينة الرومانية وأصبحت وبالتالي مونيقبيوم، وذلك في عهد الإمبراطور هدريانوس (117-138).

و تعرضت تريس تماليني طوال قرنين ونصف للتأثير القائم من روما حتى أنها أصبحت مركز أسقفيّة في القرن الرابع بـ م. وعندما قدم عقبة بن نافع سنة 50هـ/673-674م إلى إفريقية من بنفزاوة وفتح عاصمتها، وأسس حذو كنيستها

جامعاً بقى يحمل اسمه إلى حد الآن، وهو منتصب بقلب بلدة تلmineن، غير أن ذكر هذه البلدة خبا في المصادر العربية بعد ذلك وفي كتب الرحلات خاصة لفائدة بلدة طرة المجاورة. وقد سماها الحميري في كتابه الروض المعطار في خير الأقطار، تيمين، وأعتبرها بلدة ثم ذكر أنها "مدينة لطيفة حصينة لها أرباض ولها غابة نخل وزيتون وجميع الفواكه فيها". ولا شك أن تردده بين مصطلحي البلدة والمدينة، يدل على أهميتها النسبية، خاصة وأننا لا يمكن أن نتكلم عن أرباض إلا بالنسبة للمدن، وربما هو يقصد بالأرباض القرى المجاورة لها والتي اعتبرها بهذه الصفة تابعة لها. أما تلmineن أو تيميلين فقد قدم الحميري بشأنها طرفة في المقارنة بينها وبين مصر أو القاهرة إذ أورد ما قاله بعضهم فيها من أن "تيميلين سبعة أحرف على لطفها وخمول ذكرها، ومصر ثلاثة أحرف على عظمها وسمو ذكرها". وعلى أيّة حال فقد أصبحت تلmineن في بداية القرن 19 مقرًا لأحد خليفتي نفزاوة مما مكّنها من قيادة صرف يوسف في مواجهة قبلي التي كانت مقراً ل الخليفة صف شداد. واستمرت هذه الوضعية إلى سنة 1873، وبينما تحولت قبلي لتصبح عاصمة لنفزاوة تراجعت تلmineن لتصبح مجرد مشيخة تابعة لها. (كارتون، ص 210؛ مورو، ص 61 و 97-98؛ الحميري، ص 148).

تتبيب: تقع هذه البلدة غربي تلmineن وتحتفى وسط الواحة التي تحيط بها من جميع الجهات. وقد وجدت بها حجارة مهندمة وبقايا أعمدة وتيجان رومانية، بما يدل على تعميرها في العهد الروماني وربما كانت آنذاك جزءاً من تربس تامليني. غير أن ذكرها قد خبا بعد ذلك، وفي أواخر القرن التاسع عشر كان يقطن بها العدل محمد بن حميدة الذي تعود إليه بالنظر الدائرة القضائية الثانية بنفزاوة أي القرى المجاورة لتتبيب بما في ذلك القطعاية وإينس. أما اقتصادياً فقد كان عدد النخيل التابع لأهل تتبيب سنة 1862 يفوق الخمسة آلاف، والأهم من ذلك أن بلدتهم تتصدر قرى نفزاوة من حيث عدد زياتينها إذ كانت تعداد 800 أصل زيتون سنة 1852 وتتطور ذلك إلى 1621 بعد عشر سنوات، وهو ما دفع إلى إقامة معصرة بها. أما إدارياً فقد كانت في القرن التاسع عشر تابعة لوطن شداد، وكانت مركزاً لمشيخة. (بيشغال 1889، الشيباني 2001، 239 وما بعدها).

تنزاج: اسم إحدى قرى نفزاوة، ومن الممكن أنه الاسم القديم لإحدى قرى شبه الجزيرة. وقد ورد ذكرها في النصف الثاني من القرن 2 هـ/8 على أنه كان بها شيخ

إباضي يسمى أبو بكر بن يوسف النفوسي وصفه الدرجيني بأنه "رجل عالم" ووصفه أبو زكرياء بأنه "عالم فقيه" بلغ صيته إلى بلاد الجريد مما حدا بإبراهيم بن أحمد في إطار مواجهته للإباضية أن يبعث في طلبه. ويبدو أن الوجود الإباضي تواصل بتزاح إلى القرن 55هـ/1115م وكان بها آنذاك مسجد (الدرجيني، ج 1، ص 87؛ أبو زكرياء، ص 155).

جبل حلوص : هو امتداد جبل طباقة غرباً بين شطي الفجيج والجريدة، وقد نشأت على مرتفعاته مجموعة من القرى التي تشرف على الطريق المحوري لنفزاوة، ومن هذه القرى القليعة وبوعبد الله وأم الصمعة وقد غيرت جميعها مواضعها القديمة، أما المنشية فقد تموضعت على سفحه الشمالي وكأنها تكمن وراءه متدرعة به في مواجهة ما قد يأتيها من أخطار. وبالإضافة إلى سكان تلك القرى المعروفة ارتبطت بجبل حلوص عدة مجموعات بشريّة، من بينها الحلاصة وهم من البربر وقد اختلطوا مع الحوامد كما رجح ذلك نانسي وديميروجيو، كما ذكرنا -استناداً إلى ما استقياه من روایات شفوية- قبيلة الفرجان التي كانت تقضي الصيف عند سفحه ولكنها تركت مكانها للحوامد وانتشرت في الإيالة. وقد ذكر لنا أحد شيوخ بوعبد الله سنة 1983 تسمية قريبة من الفرجان وهي الفراجوة، وهذا نلاحظ هذا الشبه بين هذين الأسمين وأسم قبيلة ورفجومة النفزاوية حتى أنها تذهب إلى الاعتقاد بأنها أسماء لنفس هذه القبيلة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ إفريقيا في القرنين 1 و 2هـ/7-8م، وقد خبأ ذكرها مندثراً في المصادر المكتوبة (نانسي وديميروجيو 33).

الجديدة : إحدى القرى التي نشأت حول المركز الإداري القديم لنفزاوة، قرب بلدي طرة والمنصورة. أنشأها بعض سكان تلmine وأطلقوا عليها في البداية اسم تلmine الجديدة، وبالفعل بقىت تابعة لها في الدفاتر الجبائية لقرن التاسع عشر. وقد لاحظ بيشفال سنة 1889 بأنها كانت كثيفة السكان.

الجرسين : تقع هذه البلدة على الطريق الذي تربط بين نفزاوة والجريدة عبر جنوب شط الجريد. وتحتل موقعاً دفاعياً إذ تحيط بها الكثبان من ثلاثة جهات، وذلك ما جعلها من جهة أخرى معرضة لزحف الرمال. وقد أشار إلى هذه الظاهرة بومخير في مقولاته التي تعود إلى القرن 55هـ/1115م كما أشار إليها ليوبولد برابان Leopold Baraban الذي زار المنطقة في ربيع 1885. ومن جهة أخرى لا تبعد الجرسين عن

قلعة درجين إلا بحوالى عشرة كيلومترات فقط. وطبقاً لأسطورة التأسيس، فإن السكان الأوائل للجرسين قدموا إليها مباشرةً من موضعين لا يبعدان عنها وهما الشكرية جنوباً وبرقو شمالاً، وبما أن هذين الموضعين كانوا مرتفعين فإنهما يبدوان للناظر من بعيد وكأنهما ضرسين أو كما كانت تطلق زرسين، ومن هنا جاء اسم القرية الجديدة. لقد كان انتقال السكان إليها نتيجةً اكتشاف الماء بموضعها، وكان ذلك إثر انتباهم إلى أن قطة لهم كانت مبتلة الشعر نتيجةً مرورها بالموضع الذي سيحفرونه ويتحول إلى عين طبيعية، سميت عين القطوسية تخليداً لذكرى تلك القطة. من خلال هذه الأسطورة يمكن التأكيد على النقاط التالية : 1- أن تأسيس هذه القرية لا يعود الفضل فيه إلى إنسان ولا وجود لجد واحد مؤسس، بل لا يوجد من بين سكان الجرسين من يدعى الانتماء إلى أصول شريفة أو مرباطية، حتى أن القرية تخلو من أيولي محلي، ولم توجد بها زوايا لأولئك صالحين، رغم المد الذي عرفته الطرقة في نفزاوة في العصور الحديثة، بما يجعل الجرسين من الاستثناءات النادرة في هذا المجال. 2- أن تأسيس هذه القرية مثلها مثل كل القرى الواحدة يرتبط باكتشاف الماء وحفر العيون. 3- أن قدوم السكان الأوائل من كل من الشكرية جنوباً وبرقو شمالاً، يرمز إلى مناطق أبعد في كل الاتجاهات، فمن الجنوب جاء الزراقين (زرقان) وتحديداً من منطقة تطاوين، ومن الشرق السلمة (سليم) الذين يرجعون أصولهم إلى الصعيد المصري، ومن الشمال جاء المناجلة الذين يرجعون أصولهم إلى أولاد سعيد بالنفيضة، ومن الغرب جاء أولاد ضيف الله من منطقة كويتين بوادي سوف بالجزائر ... أما تاريخياً فقد ورد ذكر الجرسين لأول مرة في تاريخ ابن نخيل الذي نقل عنه ابن خلدون. لكن وقع تصحيف في رسم اسمها بإدخال الراء وأوا إذ ذكر صاحب العبر أن الصنهاجيين عينوا قبل الزحف الهلالي عبد الله بن محمد بن الرند عاماً على ققصة ويرجع نسبة إلى "بني مرین" (كذا والأصح بني أزمرتين من مغراوة، وكان مسكنهم بالجوسين (كذا) من نفزاوة، فضيّط ققصة وقطع عنها عادية الفساد"، وانفصل عن الدولة الصنهاجية سنة 445هـ/1054م؛ لكن لا ندرى مدى قدم أو حداة استقرار بني الرند بقصصة؟ ثم ما هو سبب تزامن تعين أحدهم عالماً عليها مع تخرّب قلعة درجين الإباضية؟ فهل كان ذلك جزاءً لهم على مساعدة الجيش الصنهاجي؟ إن ما يمكن التأكيد عليه أن بني أزمرتين أو يزمرتين الذين كانوا يقطنون بعض قرى نفزاوة ومن بينها الجرسين

حافظوا على انتقامهم للمذهب الإباضي على الأقل إلى النصف الأول من القرن 5هـ/11م، ولا ندري هل أن تعين بنى الرند الذين ينحدرون منهم، على رأس عمالة قصبة، يدل على تخليهم عن هذا المذهب. وفي القرن 13هـ/19م، انتبه إلى أهمية موقع الجرسين التاثير غومة بن خليفة المحمودي فانتقل إليها من قبل في بداية سنة 1274هـ/1857م، ولكنه لم يستقر بها طويلاً إذ وقعت مهاجمته من قبل القبائل الموالية للسلطة، فانسحب من هناك إلى الجنوب الجزائري. وللتذكير هنا فإن الجرسين كانت آنذاك تابعة إدارياً إلى وطن شداد الذي تقاده قبله، وكان يعين عليها في بعض الفترات شيخ منها أحياناً وأحياناً أخرى تجمع مع البليدات تحت نظر شيخ واحد إما أن يكون من هذه القرية أو تلك، ففي سنة 1887 عين عليها الشيخ صالح بن سليم، ثم أصبحت في أواخر ذلك القرن تعود بالنظر إلى شيخ البليدات محمد بن عبد الله. أما اقتصادياً، فكان بها حسب الدفتر الجبائلي المؤرخ سنة 1852 : 1306 [نخلة وحسب الدفتر المؤرخ سنة 1862 : 2890 نخلة، غير أن ذلك لا يعكس تطوراً بقدر ما يتعلق بإحکام الإحصاء في الحالة الأخيرة، وهو عدد لا يمكنه أن يضاهي ما بوأهات وسط وشمال نفزاوة، لكن بالمقارنة مع الواحات الغربية لم تكن تفوقها إلا واحدة بشالي (3717 نخلة)، وكان بعض ذلك التخليل على ملك أفراد من قبيلة غريب وأساساً من عرشي الفضيليين والغزليمة (أوكت 1681، 783؛ ضيف الله 2000؛ الدرجي، ص 160؛ أبو زكرياء، ص 242؛ إدريس ص 222-223؛ ابن خلدون، العبر، بيروت 1956-1957، ج 6، ص 338، وفي طبعة 1979، ج 6، ص 165، باربان، ص 49).

جزيرة الوحيشي: هي إحدى القرى الجبلية التي تقع على الطريق المتجه نحو بلاد الجريد. وقد كانت مرتبطة بقرية المنشية إذ يعود الفضل في تأسيسها إلى الحوامد من سكان المنشية، وكانت تابعة مثلها إلى نفس الانتماء الصفي أي إلى صف شداد. وقد لاحظ بيشفال بشأنها سنة 1889 أنها قرية هامة بنيت من الحجارة، وذلك يعود ولا شك لقربها من جبل طباقة. كانت واحتها تضم سنة 1862 أكثر من ستة آلاف نخلة بالإضافة إلى أكثر من مائة أصل زيتون (ضيف الله، 2000؛ الشيباني، 2001؛ بيشفال 1889).

جملة : تقع بلدة جمنة على بعد 16 كم من قبلى على الطريق الجنوبي الموصى إلى دوز، وقد احتلت موضعًا مرتفعاً يمكنها من مراقبة القادمين من كل الاتجاهات،

وامتدت واحتها حوالياً. أما تاريخياً فقد عثر بها على آثار رومانية تتمثل في أعمدة وتيجان وبقايا مطاحن، ويدعو الباحث بول تروسي والضابطان نانسي وديمبرجيو إلى اعتبارها المحطة الرومانية المسماة آدمبلوم (Ad Templum) التي ورد ذكرها في مسلك أنطونينوس، ويدعو رأيه بابتعادها عن تريس تماليني (تأمين) بالثني عشر ميلاً كما ورد ذلك في المسلك المنكور. أما في العهود الإسلامية فلم يرد ذكرها في كتاب الغرافين أو الرحلة العرب إذ لم يمر بها أحد منهم لبعدها عن المسلك الرئيسي بنفراوة آنذاك. أما أول من ذكرها فهو العيشي في رحلته (ق 17م) إذ ورد فيها ثم ارتحلنا منها ومررنا في طريقنا على قرى كثيرة فاقت الحصر وبتنا بأخرها في زاوية يقال لها جمنة وبها قبر رجل من الصالحين يقال له سيدى أحمد الجمني وعقبه إلى الآن بالقرية متمسكون بسيرة الفقراء يطعمون الطعام". ولا شك أن ذكرها دون غيرها من القرى يدل على أهميتها، ثم أن العيشي أشار إلى أنها كانت زاوية، بمعنى ارتباطها بالطرقية والتصوف. وهنا فإن أسطورة التأسيس قد تلقي أصواتاً أكثر على هذا الجانب. ينحدر الجنينون من الصحابي المقداد بن الأسود الكندي، وقد قدم أحد أحفاده سيدى عبد الله بالحاج إلى نفراوة في منتصف القرن الهجري الثاني/8م، وتوقف في قرية جمنة التي كانت آنذاك آهلة بالسكان غير أنها كانت تعاني من شح الماء فضلاً عن تعفنه. فكان سيدى عبد الله بن الحاج يجد صعوبة في الوضوء، وعندما وجد ذات يوم الماء أكثر وسخاً من العادة صالح : "جمي ببركة الله" طالباً لها من الله أن يملأها، فارتفع مستوى الماء لتزول عنه النجاسة. ومن هنا جاءت تسمية البلدة. وهذا نجد أن الماء هو أصل الاستقرار كما هو الشأن بالنسبة للقرى الواحية الأخرى، كما ارتبط ذلك بالشرف والمجد الدينيين، وبالجد المؤسس. أما تاريخياً فيبدو أن البلدة شهدت في النصف الأول من القرن السابع عشر تحولات عميقة جعلتها تبحث عن منافذ جديدة لحل الصعوبات التي كانت تعترضها، نتيجة الخلل بين وزنها الديمغرافي ومحدودية مجالها الواحي. وفي هذا الإطار نزحت مجموعات من الجنينين متوجلين في شبه الجزيرة واستقروا بكل من بلدتي أم الصمعة وزاوية الحرج ، ويعد أحد عقود الأحياء هذا النزوح إلى سنة 1035هـ/1626م. ويبدو أن هؤلاء النازحين استثمروا وهم في مواطنهم الجديدة الجانب الديني الصوفي وهذا ما قد نستشفه من اسمى القرىتين (الزاوية والصمعة). وقد بقيت هاتان القرىتان رغم بعدهما عن القرية

الأم مرتبطتين بها، بل اكفتا بدور التابع لها في ولاءاتها وانتمائهما الصفي ومرجعياتها الروحية. كذلك ظهر في هذه الفترة ذاتها أشهر الجنين في العصر الحديث ألا وهو العلم الصوفي سيدنا إبراهيم الجمني (1037-1134هـ - 1628-1722م). والحقيقة أن خروجه من البلدة وتوجهه مغرباً ومشرياً من أجل العلم لا يمكن تفسيره بعوامل ذاتية بحتة أو النظر إليه في قطعية عن البيئة التي عاش فيها وربما محدودية إمكانيات عائلته وانحسار النطاق الواحي لبلدة جمنة عموماً. وبعد عودته أراد أن يستقر بها للتدريس لكنه لم يجد العدد الكافي من الطلبة فارتحل عنها إلى جربة وهناك داع صيته وشتهرت القرية التي ينسب إليها. وإنما في القرن السابع عشر أسس التقليدن بلدة جمنة، أولهما : هذا التوجه العام نحو التعلم والاحتراف أهلها الخطط الدينية والتعليمية حيث اشتهرت جمنة منذ ذلك بسيطرتها على هذا المجال أكثر من أي بلدة أخرى فكانت تزود المنطقة بالمفتيين والدعاوى والمؤذنين والأئمة، كما أنها احتكرت وظيفة القضاء بنفزاوة إلى حدود سنة 1903، وقد سمح لها هذه الوظائف باشتراء العقارات بمختلف واحات المنطقة، بقبلي والجديدة وتلمسن والرابطة ونقة... وثاني التقليدن : النزوح نحو مناطق أخرى سواء بنفزاوة مثلما أشرنا إلى استقرارهم بأم الصمعة وزاوية الحرج أو خارجها حيث استقر عدد منهم بمطماطة وجربة، وفي القرن التاسع عشر بدأ التوجه نحو الحاضرة حيث استقر أول الجنين مؤسسين لجالية سينكائف وجودها هناك في القرن العشرين. من جهة أخرى كانت واحدة جمنة والجزر المحيطة بها تعد سنة 1852 أكثر من ستة آلاف نخلة وأكثر من ثلاثة عشر ألف سنة 1862 وهو ما يجعلها أكبر الواهات بجنوب بنفزاوة على الإطلاق. أما ديمغرافيها فقد كانت سنة 1861 تحتل المرتبة الأولى في وطن يوسف والرابعة بنفزاوة بحوالي الثلاثمائة نسمة. نشير كذلك إلى أن جمنة شاركت في القردين 12-13هـ / 18-19م في الصراع بين يوسف وشداد وبدت في فترة ما وكأنها تقود الصف الأول، حتى أن كاهية قبلي حرض عليها السلطة المركزية فتشكلت محلة لإخضاعها وهجمت عليها سنة 1879م وألحقت بها أضراراً جسيمة حتى سمي ذلك العام بعام خلاء جمنة (أ.و.ت، الدفتران 783، 1681، أوجياس، ص 50؛ العياشي، ص 53؛ مورو، ص 119؛ تروسي، ص 48؛ بنبلغيث، "كافح الشيخ غومة..."، ص 310؛ ضيف الله .(2005، 2000).

الجمني، إبراهيم (1037-1134هـ/1628-1721م): صاحب مدرسة بجريدة. هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر وينتهي نسبه إلى المقداد بن الأسود الكندي، ولد بجمنة، وارتبط إلى المغرب الأقصى وأخذ عن الشيخ عبد الله بن بلقاسم الجلالي بزاوية خنقة سيدى ناجي ثم توجه إلى بلاد زواوة بالجزائر لطلب العلم وعاد منها إلى الجنوب حيث استقر بزاوية الحمارنة ودرس بها الحديث النبوى. وفي سنة 1072هـ/1662م، توجه إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر، ومن شيوخه هناك الشيخ ياسين والشيخ اللقاني. كما أخذ الطريقة في مصر عن الشيخ الخدوبي الطرابلسي. وعاد عن طريق البحر سنة 1075هـ/1665م لكن السفينة التي كانت تقله غرفت ففقد الكتب التي كان جلبها معه. وبعد إقامة وجيزة بمسقط رأسه رجع إلى مصر ليجلب كتاباً أخرى، ويدرك ابن أبي الضياف أنه "مكت بها مدة يدرس". وبعد عودته النهائية أراد الاستقرار بجمنة غير أنه لم يجد بها طلبة ، فقد جرب واجتمع عليه الطلبة وذاع صيته هناك حتى سمع به مراد باي، فقرب منه وأمر له ببناء مدرسة سميت "المدرسة المرادية"، وذلك سنة 1085هـ/1674م، كما أن إبراهيم الشريف الذي استبد بالسلطة في تونس فيما بين 1705-1702م "عظمه وأكرمه واستمد منه صالح الدعاء"، واستجاب لشفاعته في أحد المساجين، وتواصل هذا الاهتمام به مع حسين بن علي الذي له "محبة واعتقاد في هذا السيد" كما يذكر ابن أبي الضياف، وقد حبس على مدreste عدة ضياع وكان يمد طلبها سنوياً بالطعام. وقد تخرج منها عدد هام تولى الشيخ الجمني إرسالهم إلى المناطق النائية لتعليم الناس وإرشادهم ومن بين من تخرج عليه الولي محمد الغرياني والسولي أبو الفداء بن إسماعيل بن الولي أحمد الباهي صاحب الزاوية الباهية بتونس العاصمة. وقد دفن في 5 ربيع الثاني 1134هـ / 24 ديسمبر 1721م بمدرسته بحومة السوق بجريدة وأصبح قبره يزار للتبرك (خوجة، ص 130-132؛ الجريبي، ص 95-96؛ ابن أبي الضياف، ج 2، ص 129-130؛ العزاري (المنوبى)، "الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الجمني"، في، أصوات (مجلة نادي الفكر بقلاي)، ع 6، نوفمبر 1988، ص 54-56، المربي (محمد)، إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمتوية ودار الجنوب للنشر، تونس 2005، ص 338 وما بعدها).

الجمني، موسى : هو موسى بن عمر بن عبد الرحمن الجمني، مؤسس المدرسة والزاوية التي تنسب إليه في مطماطة. ولديبلدة أم الصمعة سنة 1120هـ / 1708

وتوفي بمطماطة سنة 1184/1770-1771. درس على إبراهيم الجمني بجريدة، وربما هو الذي أشار عليه بالاستقرار في مطماطة. والأكيد أيضاً سكانها قد رحبوا به، وقبلوا به حكماً لفضن نزاعاتهم وخلافاتهم. والأهم من ذلك أنه فتح مدرسة بترخيص من علي باشا سنة 1755. واستمر عمله فيها بعد عودة أبناء حسين بن علي إلى السلطة في السنة الموالية. وقد اشتهرت مدرسته وجاءها الطلبة من المناطق البعيدة حتى كتب عنه وقد تحدث عنه الورثيلاني سنة 1179هـ/1766م، إذ كتب ما يلي: «أما الصالح على الإطلاق، والعالم العارف بالاتفاق، سيدي موسى الجمني الذي تؤخذ الآن عنه العلوم والفنون شتى تأتيه الطلبة من كل البلاد، وتشد إليه الرجال من جميع العباد، فقد ظهر فضله وثبت حلمه عند كل الناس في تلك الأقطار، وتبين فضله في جميع القرى والأمسار». وقد استمرت هذه المدرسة بعد وفاته وطيلة ما يقرب من قرنين (الورثيلاني، ص 654؛ ضيف الله بحث عن جمني مطماطة 2008).

جنورة : هو الحي الجنوبي لمدينة قبلي ويقع على الطريق التي تربطها بلدة دوز، وقد جاءت هذه التسمية من الولي احمد جنورة، دفين مقبرة المكان، والذي يحظى بمكانة خاصة لدى الأهالي المنحدرين من بلدة الكعبي.

الحرة : صنف من التمور ينضج في شهر سبتمبر، وهو من الأصناف التي يمكن تخزينها لونه فاتح، وله طعم خاص وبه بعض الطراوة التي لا تؤثر على جودته عند نقله. كان يعتبر من الأصناف الجيدة في نفزاوة، وكان إنتاجه وما زال يرווج على مستوى وطني، غير أن مكانته تراجعت بعد إدخال الدفلة إلى المنطقة. أما تاريخياً فقد كان يوجد في منتصف القرن التاسع عشر بأربع عشرة واحة على رأسها الواحات التالية بوعيد الله ثم تلمين فالقليعة ثم قبلي فنقة وأم الصمعة، بما يفوق 7 آلاف نخلة (الشيباني، 2001، ص 243).

حنيش : منبسط من الأرض يقع جنوب واحة دوز، اتخذ ساحة لتنظيم الألعاب والاستعراضات المتنوعة بمناسبة مهرجان الصحراء الدولي، إذ تجري فيه أمهام المتابعين مسابقات الخيل والمهاري فضلاً عن لوحات الصيد بالسلوقي وغيرها من الأنشطة.

الحوامد : نسبة إلى الولي سيدى حامد الحشانى أو سيدى حامد الشريف وهما حسب الأسطورة يعودان بأصولهما إلى الأشراف الأدارسة. استقر أحدهما بالقصر الأحمر والآخر بالمنشية. ونشأت حول ضريح كل منهما زاوية، وتركا سلالة يسمون بالحوامد. أنشأ حوامد المنشية جزيرة الوحشى ثم الجزيرة البعيدة. أما حوامد القصر الأحمر فقد انتقلوا من بلدتهم إلى جمنة. وكان يعود للحوامد ربع العيد من أحباس التخيل بواحة المنشية وبغيرها من واحات نفزاوة ومن بينها واحة قبلي مثلا. كما كانت لهم أحباس شاسعة بسهل السقى والشارب (صيف الله 2000 ؛ 2005 ؛ صالح بن حمادى، ص 86 وما بعدها).

الدبابة : قرية صغيرة كانت الأقرب إلى مدخل شط الجريد، وكان بها شيخ في نهاية القرن التاسع عشر. إداريا كانت تابعة إلى وطن يوسف الذي يشرف عليه خليفة تلمين. وكانت تعداد سنة 1852 حسب الدفاتر الجيالية 1422 نخلة، وتجاوز ذلك العدد ثلاثة آلاف نخلة بعد عشر سنوات، وكانت آنذاك تحتل المرتبة الثانية من حيث عدد نخيل الدقلة بـ 28 نخلة، كما كان بها عدد من أصول الزيتون. غير أن القرية هجرت تماما نتيجة زحف الرمال وقد إنجه أهلها للسكن بقرية فطناسة القريبة منها.

درجين : حمل هذا الاسم تجمعاً سكرياً، خرب أولهما وهو قلعة درجين قبيل منتصف القرن 5هـ فانشئ غير بعيد عنه تجمع ثان سمي درجين السفلى الجديدة. وقد لعبت درجين دوراً هاماً في التاريخ الإباضي لمنطقة نفزاوة، ثم اندثرت شهرتها مع انحسار ذلك المذهب عن المنطقة. فـ"أين تقع درجين؟ وما هو الدور الذي لعبته؟" ذكر المستشرق البولوني تدورز ليتشكي سنة 1935 أن قلعة درجين تقع على الطريق بين الجريد وواحة سوف، وقد درج الباحثون بعده على تحديدتها ببلاد الجريد من بينهم الهادى روچي ابریس الذى يقول إنها "كانة غربى نفطة" وأنه "مازال بعض آثار خرابها قائمة وأسماء جنات باسمها"؛ أما درجين السفلى الجديدة فيؤكد أنها تقع بجر بني على من واحة نفطة ويضيف أنه صاحف "من يعرف من كان يسكن بجنوب شرقى (سيدى مرزوق) بنحو نصف ميل (منطقة درجين السفلى الجديدة) (كذا) التي لم تدرس إلا في أو آخر (القرن الماضى) (كذا) وانتقل سكانها شمالي موقع درجين السفلى الجديدة مشرفين على الواحة". لكن يبدو أن ما ذهب إليه أولئك الباحثون والنتائج المرتبطة به

كانت خاطئة ذلك أن درجين سواء القديمة أو الجديدة تقع جنوبى شط الجريد وليس شماله وبالتالي فهي بمنطقة نفراوة الحالية وتبعد عن قبلي نحو الجنوب الغربى بحوالى 40 كم. ويفرق سكان المنطقة بين الدرجين بتسمية الأولى الدرجين الخالى ، بما يشير إلى أنها أخلت من سكانها وهذا ما تم فعلا عندما خربتها جيوش المغز بن باديس الصنهاجى، ويبدو أن الرمال غمرتها بعد ذلك وفي السنوات القليلة الماضية ظهرت بعض آثارها بعد انتقال تلك الرمال. أما درجين الجديدة، فتسمى حاليا الدرجين العاشر وهي ذلك إشارة إلى أنه وقع تعميرها بعد ذلك وفي السنوات القليلة الماضية ظهرت إلى أن الدرجين الخالى هي نفسها قلعة درجين والدرجين العاشر هي درجين السفلى الجديدة التي تذكرها المصادر الإباضية. أما من حيث موقعها فتحتل قلعة درجين منطقة استراتيجية، إذ تحدوها جنوباً كثبان الرمال الممتدة، بما يشكل سداً طبيعياً مديعاً إلى حد ما أمام ما يمكن أن يتهددها من أخطار، أما من الجهات الثلاث الأخرى فتحيط بها امتدادات شط الجريد، أي أنها تحتل شبه جزيرة، وبلغ ارتفاع موضعها 50 م، بينما لا يتعدى الارتفاع شرقاً 16 م وغرباً 18 م، وبالتالي فهي ذات أهمية دفاعية. أما درجين السفلى الجديدة فهي أيضاً تتوسط بنفس شبه الجزيرة، لكنها في مكان أكثر حماية. وقد سميت بالسفلى مقارنة مع قلعة درجين، إذ لا يتعدى ارتفاع موضعها الحالي 37 م، أما ما حولها من السباخ فيتراوح ارتفاعها بين 14 م غرباً و16 م شرقاً. وهذا الموضع يمكنها من مراقبة ما حولها. كذلك فإن درجين السفلى تقع إلى شمال القلعة بنحو 6 كم أي أنها لم تبتعد عن الطريق الذي كان يربط بين فرى نفراوة وبلاط الجريد عبر جنوب الشط، كما أنها تقع على الطريق الذي كان يربط بين جبل نفوسه وتأهرت عاصمة الدولة الرستمية، وكانت أيضاً مرتبطة ببلاد سوف وأريغ بجنوب المغرب الأوسط. وقد جعل هذا الموقع من درجين همزة الوصل بين أهم المناطق الإباضية فكانت تمر بها القوافل التجارية والتآثيرات الثقافية والمذهبية. وبالنسبة لنورها التاريخي: يرجع تأسيس درجين إلى قبيلة ببربرية تسمى بنى درجين. ويبدو أن هذه المدينة كانت ذات دور دفاعي بحت -على الأقل في البداية- ولذلك سميت بالقلعة، ويعنى ذلك أنها كانت مسورة وربما كان أهلها يعيشون حولها معتمدين على تربية الماشية. وقد تعرضت كتب الطبقات الإباضية إلى ذكر هذه المدينة التي كانت إحدى قواടع المذهب وعاصمة له بالمنطقة. وإضافة إلى بنى درجين كانت

تسكن هذه المدينة قبيلة مزانة اللوائية، كما أنها كانت تستقبل النازحين الإباضيين من جبل نفوسه وغيره في فترات الماجاعة. وقد سكناها من شيوخ الإباضية أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي ورجون. ولكن هذه القلعة وقع تدميرها سنة 440هـ/1049م من قبل الجيش الصنهاجي الذي ضرب حولها حصاراً شديداً مما اضطر سكانها إلى المواجهة التي لم تكن في صالحهم إذ قتل المئات من الرجال وهدمت قلعة درجين وأحرقت وقد المذهب الإباضي عدداً من شيوخه. وهاجر من بقي من سكانها غرباً إلى سوف وأربيع، ثم عاد قسم منهم إلى آثار مدinetهم وأسسوا قريباً منها مدينة أخرى هي درجين السفلى الجديدة. ويبدو أن هذه المدينة استفادت من مجد المدينة القديمة حتى اشتهرت في القرن 6هـ/12م بملابسها الصوفية الممتازة كما كانت تتتجّب البقول والتمور والزيتون. واستطاعت أن تؤوي إليها بعض النازحين من المناطق الأخرى مثل جبل نفوسه والجريدة، ومن بين من قصدها قادماً من نقطة سعيد بن سليمان التمييجاري النفوسى وذلك في النصف الثاني من القرن 6هـ وكان مقدمها يسمى في هذه الفترة ابن علي أما المصدر الذي كان يتولى القضاء والإفقاء فهو ميمون بن أحمد المزاتي. غير أن درجين السفلى أصبحت تراجع لصالح مناطق إباضية أخرى من بينها ورقلة، تراجعت مع تراجع المذهب الإباضي والاحتلال معبني هلال (إدريس، ص 166؛ باجية، ص 40 و 147 و 188؛ أبو زكرياء، ص 305؛ الشماخي، ج 2، ص 347؛ Lewicki, "Notice...", pp. 150-151 et "Al-Dardjini", p. 144).

محمد حسن، ج 1، ص 295.

الدرجيوني، أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان (القرن 6-13هـ) : فقيه وشاعر وراوية إباضي. انتقل جده الأعلى يخلف بن يخلف من تميجار بجبل نفوسه إلى بلاد الجريد حيث احتل نسله مكانة هامة بين إباضيتها. وفي النصف الثاني من القرن 6هـ / 12م، انتقل والده إلى درجين السفلى الجديدة ودرس بها على ميمون بن أحمد. وبها تزوج بدرجين وولد له بها في بداية القرن 7هـ/13م أبو العباس أحمد الدرجيوني. قضى أبو العباس طفولته بمسقط رأسه وشهد تراجع المذهب الإباضي بها، فتوجه سنة 616هـ/1219م إلى ورجلان للدراسة، يقول : "دخلت حلقة وارجلان حرسها الله تعالى سنة 616 في ربيع الآخر منها في أول ما وجب علي الصوم والبال خالي من الهم و كنت أعجب من ينفرد ولا يجتهد ومن يخلو بالمفید كيف لا يستفيد

(...) وأقامت بوارجلان حولين كاملين وشهرين". غير أنه لم يعُد إلى درجتين، وإنما استقر بتوزر وانتقل منها في مرحلة لاحقة إلى جربة حيث حظي بمكانة هامة وتقدير كبير، وألف بها كتاب طبقات المشائخ الذي يقف به في حدود سنة 650هـ / 1252م. كما أجاب عن عدد من المسائل الفقهية جمعها بعده أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجطالي تحت عنوان كتاب الحساب وقسم الفرائض"، ولأبي العباس أيضاً ديوان ورسائل شعرية. ويبدو أنه توفي في النصف الثاني من القرن 7هـ - ودفن بجربة. (لويسكي، مقال الدرجيني ومقال نوئيس؛ الشماخي ج 2، ص 347، البرادي، ص 215-216).

الدقّة : هي أجود أصناف التمور بواحات الجنوب الغربي التونسي وما يقابلها من واحات بالجزائر. غير أن لفظة الدّقل في العربية تحمل نقىص ذلك المعنى، إذ ورد في لسان العرب أن التّقل من التمر أرداً أنواعه، وفي وصف هذا الصنف ورد بأن تمر الدقل أحمر، ومنه ما تمره أسود وجرم تمره صغير ونواه كبير، أي أن الدقل هو ما يطلق عليه اليوم بنفزاوة اسم الشكان. فكيف أطلقت تسمية الدقة على أجود أصناف التمور؟ يذهب البعض إلى أن هذه الكلمة اشتقت من اسم نهر دجلة بالعراق حيث موطن التمور والنخيل، إلا أنها لا ترى ذلك لعدم وجود هذا الصنف من التمر هناك. وإنما نعتقد أنها اشتقت من اللفظة العربية ذاتها، بما أن الدقل كما ورد في لسان العرب - ما لم يكن من التمر أجناساً معروفة، وهذه حالة الدقة في بدايتها كأي صنف آخر جديد. ذلك أن نوى التمر إذا زرع يعطي أنواعاً جديدة مختلفة عن النوع الأم، وغالباً ما يكون رديناً لكن قد يصادف أن يكون من بينها ما هو جيد إن في طعمه أو في لونه أو في حجمه، وهذا الصنف عادة ما يقع توليده وغراسته عن طريق الفسائل، وهذا ما كان مع نخلة الدقة. وربما الهام أيضاً أن نخلة الدقة اختصت فيما يبدو بالتسمية العامة، وأعطتها معنى جديداً، ليصبح الدقل هنا أجود التمور. يندرج هذا الصنف من التمور في أكتوبر ونوفمبر، وهو حساس للرطوبة وللأمطار خاصة إذا نزلت في شهر أغشت (14 أوت/ سبتمبر)، فيحزن الفلاحون لنزول المطر خلال هذه الفترة من السنة. أما تاريخياً فإن هذا الصنف من التمور لم يدخل نفزاوة إلا في القرن التاسع عشر بينما كان واسع الانتشار بالجريدة. وفي سنة 1862 لم يكن بكل قرى نفزاوة غير 147 نخلة دقلة نصفها بواحة قبلي، ويتوزع النصف الباقي على

القرى التالية الدبابشة 28، تلمن 18، المنية 14، بوعبد الله 8، أم الصمعة 4، القليعة 2. معنى ذلك أن غراسة هذا الصنف من الدقلة لم تبتعد حتى ذلك الحين عن الطريق القائم من الجريد والذي انتقلت معه الشجرة إلى المنطقة، ومن الطريق هنا أن الذين اهتموا بها من القبلاوية هم التابسة أصيلو الجريدة. إن دخول هذه الشجرة إلى نفراوة وتطور غرستها تم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخاصة في القرن العشرين وكان ذلك على حساب الأصناف الأخرى من النخيل، حتى لا نكاد نجد حالياً في الكثير من البساتين إلا نخيل الدقلة. وقد ساهم ذلك من جهة أخرى في ربط المنطقة باقتصاد السوق، حيث تروج كميات من الدقلة في الأسواق التونسية وتتصدر كميات أهم إلى عدة بلدان بأوروبا وغيرها.

دوز : هي أهم مدينة بنفراوة من حيث عدد سكانها. اتخذت في البداية الربوة التي يوجد بها الجامع الكبير بدور الشرقي موضعها لها، ويبدو أن هذا الموضع المرتفع كان لغاية دفاعية ثم خوفاً من فيضان (واد الحلو) الذي كان يمر جنوب ذلك الموضع، وكذا للاستفادة من مياهه في ري المساحات المنخفضة التي ستتشكل نواة الواحة فيما بعد. أما عن الوجود البشري بهذه المنطقة فهو قديم إذ عند بناء برج الشؤون الأهلية بدور سنة 1887 وقع العثور على عدد هام من النقود التي تعود إلى العهد الروماني، وفي نفس هذا السياق يذكر محمد المرزوقي أن اسم دوز ورد في الأطلس الجغرافي الروماني. لكن طوال القرون الإسلامية الأولى لم يرد ذكرها لبعدها عن المسلك الذي يشق شط الجريد والذي وصفه عدد من الجغرافيين والرحالة العرب. ولعل أقدم الوثائق الأثرية التي ورد فيها اسم دوز تعود إلى القرن التاسع عشر، إلا أن أغلب تلك الوثائق تسميتها زاوية المرازق وحتى بلد المرازق نسبة إلى القبيلة التي اتخذتها مركزاً لها منذ أواخر القرن 8هـ/14. فقد حل آنذاك بدور المرابط حمد بن مرزوق بن عبد الله بوديوس المعروف بالغوث وبعد سنوات التحق به حفيده عمر المحجوب بن علي، وتحقق فيما عائلات من المرازق وعائلات عربية أخرى نزلت بجوارهما واتخذت من زاويتهما ملذاً ومركزًا فنشأت حول كل زاوية قرية. واحترم في التنظيم المجالي الاتماء القبلي. غير أن المرازق كانوا شبه رحل إذ يقضون أغلب فصول السنة منقلين وراء قطعانهم بمنطقة الظاهر (السرير) والرمل (الصحراء) ويعودون في الخريف إلى مركزهم ليقوموا ببني التمور إذ كانت لهم بعض البساتين الصغيرة

التي يقومون بمجهودات جباره لتهيئتها، فكانوا يزيلون الطبقة المتكلسة من سطح الأرض، فيستعملون حجارتها في البناء ويستغلون المساحات التي تصبح منخفضة ببعضهـة أمـتر وقـريةـة من الطـبقة المـائـية السـطـحـية لـغـرـاسـة النـخـلـ والـتـينـ. ويـطـلـقـ علىـ تلكـ البـسـاتـينـ اـسـمـ الأـغـواـطـ (ـمـ.ـ غـوـطـ)ـ غيرـ أنـ عـدـدـ نـخـلـهاـ كـانـ مـحـدـودـاـ إـذـ لـمـ يـتـجاـوزـ 4500ـ نـخلـةـ سـنـةـ 1862ـ كـماـ كـانـ الـمـراـزـيقـ يـمـتـكـوـنـ مـنـ ذـلـكـ الـقـرـنـ 15/9ـ بـعـضـ البـسـاتـينـ بـالـوـاحـاتـ الـهـامـةـ بـنـفـزاـوـةـ مـثـلـ نـقـةـ وـقـبـلـيـ وـتـلـمـينـ.ـ وـفـيـ سـنـةـ 1909ـ تمـ حـفـرـ أـوـلـ بـئـرـ إـرـتـواـزـيـ بـدـوـزـ ثـمـ حـفـرـ بـئـرـ ثـانـيـةـ سـنـةـ 1913ـ،ـ وـهـوـ مـاـ أـدـىـ إـلـىـ اـمـتـدـادـ الـواـحـةـ حـتـىـ بـلـغـ عـدـدـ نـخـلـهاـ سـنـةـ 1946ـ 1ـلـلـاثـلـيـنـ أـلـفـ نـخلـةـ،ـ وـقـدـ أـثـرـ ذـلـكـ عـلـىـ حـيـاةـ التـرـحالـ التـيـ تـرـاجـعـتـ وـبـدـاـ النـاسـ يـمـلـؤـنـ إـلـىـ الـاسـتـقـارـ خـاصـةـ وـقـدـ تـدـعـمـ الـقـطـاعـ الـأـوـلـ بـإـشـاءـ سـوقـ أـسـبـوعـيـ سـاـهـمـتـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ فـيـ التـحـامـ الـبـلـدـيـنـ لـيـشـكـلـاـ مـعـاـ بـلـدـةـ دـوـزـ الـحـالـيـةـ.ـ (ـالـمـرـزـوقـيـ،ـ ثـورـةـ صـ 20ـ وـمـاـ يـلـيـهاـ ؛ـ مـارـتـالـ،ـ صـ 87ـ ؛ـ مـورـوـ،ـ صـ 136ـ ؛ـ أـلوـتـ،ـ صـندـوقـ 21ـ،ـ مـلـفـ 241ـ،ـ وـثـ 58ـ وـ66ـ وـ70ـ وـملـفـ 243ـ،ـ وـثـ 51ـ وـ52ـ...ـ).

رأس العين : هو اسم العين الطبيعية الرئيسية التي تروي واحة قبلي، وهذه التسمية نفسها كانت تطلق على عيون أخرى بنفزاوة ومن بينها عين ليماقس كما كانت موجودة بالعديد من المناطق بالبلاد التونسية مثل توزر وزغوان وحتى بالشرق العربي. تقع رأس العين شرقى واحة قبلي وهي تتكون من حوضين رئيسيين يتجمع فيما الماء المنبع من عشرين تبعاً صغيراً، يقدر دفقها في بداية القرن العشرين بحوالي 100 ل/ث، ينحدر الماء من ذيذ الحوضين متخذًا مجرى رئيسيًا لينقسم بعد ذلك إلى ثلاثة مجاري يتجه كل واحد منها نحو جانب من الواحة، ويوزع على أصحابه طبقاً لنظام معلوم بينهم.

الرحمات : قرية تقع في بداية الطريق الجنوبي المتوجه من قبلي إلى دوز. كانت في القرن التاسع عشر تابعة إدارياً إلى وطن شداد الذي تقاده قبلي. كان عدد دافعي الضرائب في حدود السنة سنة 1861، بما يعني أن البلدة لم يكن بها آنذاك إلا حوالي الثلاثين نسمة. أما اقتصادياً فقد كان بوأحتها سنة 1862 ما يزيد عن ثلاثة آلاف نخلة بعضها كان على ملك القبلاوية، كما كان بها حوالي أربعين نخلة أصل زيتون، وهذه الأرقام تطورت بكثير مما ورد بالدفتر المؤرخ سنة 1852 إذ لم تكن تتجاوز عشر ذلك العدد بالنسبة للنخيل أما بالنسبة لأصول الزيتون فقد كان بحدود 305.

زاوية الحرش : تقع هذه البلدة غربي أم الصمعة بشبه الجزيرة، وقد عمرها هي أيضاً الجمنيون في القرن 11هـ/17م. وارتبط مصيرها بمصيرهم، خلال الصراعات التي خاضوها في القرن التاسع عشر. كانت زاوية الحرش سنة 1861 تعد 36 من الخاضعين للجمبى أي أن عدد سكانها كان حوالي 144 نسمة. ولم تكن بوادتها آنذاك غير 1446 نخلة أي حوالي 1% فقط من ذخيل المنطقة. كان يقطن بها سنة 1889 عمر بن إبراهيم أحد عذلين يعود لهما النظر على القرى الواقعة بين جزيرة الوحيشى وفطناسة.

زاوية الشرفاء : تقع هذه البلدة على الطريق الرابطة بين نفراوة والجريدة ومن الواضح أن تسميتها ذات صلة بالصوفية والمجد الديني والإلتقاء إلى آل البيت، وقد قدم سكانها من الجريد في القرن 11هـ/17م (مورو 119).

زاوية العانس : تقع هذه البلدة على الطريق الذي يشق شط الجريد وينحدر سكانها من قرية بشرى، وكانت في غالبيتها تابعة إدارياً في القرن التاسع عشر إلى صف شداد مثل قسم من سكان البلدة الأم. كانت واحتها تعد سنة 1852 : 1311 نخلة، و2854 سنة 1862، بما يجعلها من أصغر الواحات الشمالية.

زاوية علي بن عبد الله : قرية صغيرة توجد داخل واحة تلmine، غير أنه لم يرد ذكرها في الدفاتر الجبائية مثلها مثل قرية الجديدة، وكانت تتبع إلى صف يوسف أي أنها تعود بالنظر إلى خليفة تلmine.

زواوة : تعود تسمية هذه القرية لإقامة البعض من عسكر زواوة بها، وكان برج المنصورة يسمى أيضاً برج زواوة، وهو ما يدل على التداخل الكبير بين القرىتين. وقد ميز بيشفال سنة 1889 بينهما معتبراً أن زواوة محاورة للمنصورة، وهذا يظهر من خلال وضعياتهما الإدارية حيث كان على رأس كل واحدة منها آنذاك شيخ. كما كان موضع زواوة يختلف عن موضع المنصورة التي اعتبرها بيشفال قد أقيمت بالمكان الذي كانت تحتله قديماً مدينة طرة. لكن رغم ذلك فإن قرية زواوة لم تظهر من خلال الدفاتر الجبائية مثلها في ذلك مثل قرية الجديدة المجاورة لها. وربما احتسبت آنذاك مع المنصورة كما كانت الجديدة تحتسب مع تلmine (بيشفال 105).

زينب النفزاوية (القرن 5هـ/11م): زوجة يوسف بن تاشفين. هي زينب بنت إسحاق النفزاوية، كانت تسكن بأعماق جنوب المغرب الأقصى. وقد اشتهرت بجمالها وحكمتها وقامت حولها العديد من الأساطير التي تربطها بقوى خارقة "بعض يقولون إن الجن يكلمها وبعض يقولون هي ساحرة، وبعض يقولون كاهنة". ولا شك أن ذلك يعكس قوة شخصيتها وتأثيرها. وإذا يذكر ابن عذاري أنها كانت تتمتع عن الزواج قبل أبي بكر بن عمر مؤسس الدولة المرابطية، فإن ابن خلدون يذكر أنها تزوجت قبله مرتين وكان زواجهما من عليه القوم إذ تزوجها شيخ قبيلة وريكة يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس، ثم بعده أمير أخمات لقطن بن يوسف المغراوي. أما ابن عمر فقد تزوجها في ذي القعدة سنة 460هـ وبعد حوالي سنتين ونصف طافها عندما عزم على التوجه نحو الصحراء لمواصلة فتوحاته ونصح خليفته وابن عمّه يوسف بن تاشفين بأن يتزوجها "فإنها امرأة مسعودة"، وأسرع هذا الأمير بالزواج بها بعد تمام عدتها وذلك في شعبان 463هـ/1071م. ويذكر ابن عذاري أنها "أخبرته أنه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله وأعطته الأموال الغزيرة" ففتحت أمامه وبالتالي أبواب الطموح السياسي. ولا شك أنها استفادت من تجاربها السابقة كزوجة لثلاثة رؤساء، فكانت خير مستشار ومحظوظة ليوسف بن تاشفين حتى أنه كان يصرح بأن فتح البلاد، وبالتالي قيام الدولة، كان برأيها، ويظهر ذلك من خلال نجاحه في الانفراد بزعامة المرابطين، إذ عندما عزم أبو بكر بن عمر على العودة من الصحراء، اقترح زينب على زوجها عدم التخلي له عن السلطة بأن ييدي له "الاستبداد في أحواله وأن يعمد له مناع الصحراء ومامعونها"، وفي ذلك دعوة له للعودة من حيث أتى. وهذا ما فهمه ابن عمر عندما وصل إلى مراكش فسلم السلطة نهائياً إلى ابن تاشفين. ومن ابن تاشفين أذجبت زينب عدداً من الأبناء من بينهم: المعز بالله الذي ولد سنة 464هـ/1072م، وقد قاد الجيش المرابطي الذي افتاك سبتة كتمهيد للعبور إلى الأندلس؛ والفضل الذي ولد سنة 469هـ/1077م. غير أنهما لم يلعا دوراً سياسياً بارزاً فيما بعد وانتقلت سلطة المرابطين بعد أبييهما إلى أخيهما علي بن يوسف (ابن خلدون، ج 6، ص 183-184؛ ابن عذاري، ج 4، ص 18 وما بعدها حتى ص .(30)

السقى : هو اسم سهل يوجد شمال شط الفجيج على الحدود بين ولايتي فقصة وقلي، يتوجه إليه أبناء نفزاوة لزراعة الحبوب في المواسم الممطرة. وقد استغلت الجبال المحاذية له خلال الانفلاضات المسلحة وخاصة خلال الخمسينات.

الشارب : هو اسم سهل يوجد شمال شط الفجيج، يتوجه إليه أبناء نفزاوة لزراعة الحبوب في المواسم الممطرة.

الشارع : يطلق اسم الشارع على مجموعة القرى التي تقع على الطرقين اللذين ينطلاقان من قبلي في اتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وهي بازمرة والرحمات وجمنة والقلعة من جهة والقطعلالية وابنس وبشلي والبرغوثية وكلوامن وبني محمد والمسايد والبليدات والجرسين من جهة أخرى. كان سكان هذه القرى حتى النصف الأول من القرن العشرين من أنصاف الرحل، غير أنهم لم يكونوا يتولّون في الصحراء فينقطعون عن واحاتهم مثل قبائل المرازيق وغريب والعذاري، وإنما كانوا يبقون على اتصال مستمر بها إذ لا يبتعدون عنها بأكثر من مسيرة يوم. ولأنهم كانوا يخيمون على الطريق المؤدية إليها سموا بالشوارعية وسميت جهتهم بالشارع. لكن يذهب الشيخ المنوبي العزابي إلى أن هذه التسمية مرتبطة بالشرع والشريعة، إذ أن سكان جمنة وهي أهم قرى الشارع اشتهروا منذ القدم بحفظ القرآن والتلقّه في الدين ومعرفة الشرع، فأصبحت كل الجهة تحمل اسم الشارع (ضيـف الله 2000، العـزابـيـ، ص 54).

شبه الجزيرة : هي المنطقة التي توجد شمال نفزاوة وقد سميت كذلك لأن الشط يحيط بها من ثلاثة جهات، وهي تمتد من قبلي جنوبا إلى فطناسة شمالاً وتكون بالتالي من أكبر عدد من قرى نفزاوة. وتشترك جميعها في إشرافها على الطريق التي تربط بين نفزاوة والجريدة عبر الشط، كما أن تلك القرى احتلت موقع دفاعية وخاصة منها ما سميـناه بالقرى الجبلية التي تموضـعت على جبل حلوص ومن بينـها أم الصمعـة وبوـعبد الله والقـلـعة.

الشـادـاخ : أحد أصناف التمور، وقد كان معروفا في الجريـدـ في القرون الإـسلامـية الأولى، وهو من الأصناف التي كانت تعتبر جيدة. غير أنه مع ظهور أصناف جديدة من النـخيلـ وخاصة منها الدـفلـةـ تـراجـعـ اعتـبارـهـ وأـصـبحـ يـصنـفـ منـ الشـكـانـ.

شداد : هو اسم أحد الصفين المتنازعين في نفزاوة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد سمي باسم قائد قبيلة المثاليث التي ناصرت علي باشا. وقد اعترفت السلطات المركزية بالانتهاء الصفي، ووافقت على تقسيم نفزاوة بين الصفين، وكانت بلدة قبلي عاصمة صيف شداد، وتتبعها القرى التالية: بوعبد الله والقليعة والمنشية وجزيرة الوحيشي واستقطامي وليماقس وطنبار وتتبيب والرابطة والمنصورة وإيس وقبلي وبازمة والبرغوثية والرحمات والبليدات والجرسين والطوبية إضافة إلى عروش: قعود والصابرية وأولاد سباع والمكاشنة. كما ضم صيف شداد أغلب سكان بلدة زاوية العانس وثلث بلدة بشري.

الشakan : هو تسمية عامة لأصناف لامحدودة من التمور الأقل جودة إن في حجمها أو حجم النواة أو طعمها أو قابليتها للنقل أو الخزن. وهي تقابل لفظة الدفل في العربية حيث ورد في لسان العرب أن الدفل من التمر أرداً أنواعه، كما ورد بأنه ما لم يكن من التمر أجناساً معروفة. وكان الشakan يمثل أغلب ما في الواحات نفزاوة من تخيل قبل أن تنتشر الدفلة فيها، بل أن بعض تلك الواحات كان في القرن التاسع عشر لا يحتوي إلا على الشakan ومن بينها الواحات الجنوبية والغربية كالجرسين والطوبية مثلاً. ومن أنواع الشakan المعروفة العماري وميزته أنه أول ما ينضج من التمر، والهبيسة والهزاني وغرس سوف وجميعها تتضمن في شهر أوت ولها درجة مرتفعة من السكريات، والمتور وله قابلية للخزن... كما أن ثمار أصناف عديدة من الشakan تعطي علها للحيوانات إن كانت بلحا أو بسراً أو تمراً (الشيباني، 2001، ص 244؛ ابن مراد 1999، ص 243).

الشهبان : أحد العروش التي تنسب إلى الغياليف. أتى جدهم محمد بن عمر من تاجر راء بطرابلس واستقر في ثلاثة بتطاوين، وهناك نسبوا إلى ابنه بالأشهب. وقد انتقل أحدهم وهو نصر الدين إلى قبلي حيث عمل لدى الولي علي بدر الدين، حتى أصبح بدوره ولباً. ينقسم الشهبان إلى عرشين رئيسيين أولاد محمود وأولاد نصر الدين. كان الشهبان في القرن التاسع عشر يملكون البعض من واحة قبلي، حتى أن إحدى القطع تحمل اسم "مير الشهبان". كما كانوا يملكون بعض الواحات الصغيرة ومنابع الماء والمراعي بمنطقة البحairy. ساهم عدد منهم في المقاومة المسلحة في الخمسينيات وانضموا إلى الحركة اليوسفية.

شيطان : اسم إحدى قرى نفزاوة ذكرت في القرن 2هـ، إذ لجأ إليها الشيخ أبو بكر بن يوسف التفوسى. وكان يسكنها بنو تناوت وهم بربر بربز فبيهم من مشائخ الإباضية أبو المنيب إسماعيل بن درار التفراوى وأبو عبد الله محمد بن ثامر التناوتى (آخر ق. 4هـ/10م.- النصف الأول من القرن 5هـ/11م) وقد وصفه الشماخى بأنه "شيخ فاضل، عالم نقى" (الدرجيني، ج 1، ص 87 وما بعدها؛ الشماخى، ص 532).

الصابرية-الفوار : توجد هاتان المحطتان في أقصى غرب نفزاوة، وقد كانت بالفوار عين طبيعية يقصدها الرعاة لري إبلهم والتزود بالماء، أما الصابرية فقد كان بها عدد أهم من النخيل غير أنه لم يكن يتجاوز الألف نخلة يقصدها أصحابها في الخريف لجني التمور ويرتحلون عنها مبكرا نحو الجنوب في اتجاه بئر زار والمشيق وبئر عوين وقلب سعد الله.

الصلاعة : تعتبر هذه القبيلة أولاد زاوية وجدهم الولي محمد الصليعي، استقروا بالقطعاية، وهم ينحدرون من غريب، إداريا كانوا في القرن التاسع عشر تابعين إلى مشيخة أولاد يعقوب، للصلة الكبيرة بين القبيلتين حتى أن سمة إبل المكاشرة من أولاد يعقوب هي نفسها سمة الصلاعة (ميلود، ص 130).

الصنم : واحة صغيرة كانت تعد في أواسط القرن التاسع عشر 369 نخلة. كانت ملكا للعذاري.

طبقة : أو جبل طبقة هو الجبل الذي يبدأ غربي الحامة لينتهي في شكل ربوات صغيرة وقليلة الارتفاع قرب مدخل شط الجريد. وهو من التضاريس التونسية القabilية التي يعود تكوينها إلى الزمن الأول. في مطلع الخمسينات، قام الباحثان آرمبورغ وكوك، بالتقسيب في موضع عين برمبة بالسفح الغربي لجبل طبقة وعلى بعد ثلاثة كيلومترات شرق بلدة المنصورة، وقد توصلوا إلى وجود الحياة البشرية في المنطقة في عهود ما قبل التاريخ.

طرة : اسم قرية قريبة من عين الغريق. ربما كانت جزءا من عاصمة نفزاوة في العهد الروماني المسماة ترينس تماليني والتي تأسست على الأقل في القرن الميلادي الأول. لعبت طرة دور المركز الإداري لنفزاوة منذ الفتح الإسلامي إلى العهد الحسيني، وقد تعرضت إلى الدعوة الإباضية في القرن 2هـ/8م، إذ استقر بها أبو

داود القبلي النفزاوي أحد حملة العلم الخمسة الذين يعتبرون أوائل دعاة الإباضية بال المغرب الإسلامي، وبقي بها هذا المذهب على الأقل إلى القرن 5هـ/11م حيث كان يعتنقه بعض سكانها الذين ينحدرون من قبيلة لواحة البربرية، غير أنه بدأ يسجل منذ ذلك الحين تراجعه بطراة، إذ أن مقدمها المسمى أبو علي كان يتطلول على أتباع ذلك المذهب. هذا وانتشرت طرة بصناعة الزجاج والملابس الصوفية وكانت تلك الملابس "ما يتنافس فيه" حسب الوزير السراج ويصدر إلى الإسكندرية. وفي النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، تعرضت إلى تنافس شديد للسيطرة عليها باعتبارها مركزاً لنفزاوة، وقد سيطر عليها أولاً الموحدون واستقر بها اثنان من دعاتهم ثم سيطر عليها قرافقش، ولكن في سنة 586هـ/1901م، افتكتها منه بنو غانية وبقيت تابعة لهم إلى سنة 601هـ/1205م. ففي هذه السنة قام يحيى بن غانية بدمير طرة وتركها "خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها فتفرقوا في بلاد نفزاوة". ويبعد أن تلك الصراعات أثرت على مستقبل طرة في الحقب اللاحقة وقد لاحظ التجاني الذي زارها سنة 706هـ/1307م أنها بلد بالإسم وقرية بالمعنى، أما القصبة التي كان ينزل بها العمال فقد "أحالها الخراب دكا" ولم يبق منها غير سورها المحيط حسب التجاني دائماً. وفي القرن 11هـ/17م، انتقل دور طرة إلى المنصورة الملاصقة لها. (الوزير السراج، ص 82 و 387؛ القاشندي، ص 108؛ التجاني، ص 142-147).

الطرفافية : كانت واحة صغيرة في القرن التاسع عشر تابعة لقبيلة العذاري، لم يكن بها حسب الدفاتر الجبلية سنة 1852 غير 325 نخلة.

الطري، أبي يعقوب (القرن 6هـ/12م) : لم نعرفه إلا من خلال رحلة التجاني. كتب رسالة اهتم فيها بمدلولات لفظ العقل ومراتهه وربط فيها بين الأسباب وسببيتها الأصلي، غير أن هذا المنهج العقلي لم يرق لأحد كبار الصوفيين بالجريدة وهو أبو علي النبطي (498-610هـ/1105-1214م) الذي كتب رداً عليه أورده التجاني كاملاً. ويبعد أن رسالة أبي يعقوب الطري بقيت موجودة على الأقل إلى القرن 8هـ/14م (التجاني، ص 143-146).

طنبار: إحدى قرى نفزاوة، تقع شمال تلmine على الطريق المؤدية إلى الجريدة، كما تتطلق منها طريق آخر نحو بلدة نفة غرباً. وقد كانت تحمل موقعاً مرتفعاً، بما يجعلها تشرف على ما حولها. كانت في القرن التاسع عشر تابعة إدارياً إلى وطن

شداد الذي يعود بالنظر إلى بلدة قبلي. أما اقتصادياً فكان بها سنة 1852 : 3591 نخلة وتطور ذلك إلى ما يزيد عن الخمسة آلاف سنة 1862.

الطوبية : بلدة صغيرة كانت تقع جنوبى شط الجريد غير بعيد عن مدينة درجين التاريخية، وقد كانت تابعة لبلدة الجرسين إذ لا تبعد عنها إلا بضعة كيلومترات، كما كانت تتنمى إلى صف شداد، عين عليها شيخ سنة 1887. كانت بهذه البلدة عين طبيعية محدودة الدفق، بقيت جارية إلى بداية السبعينات من القرن العشرين، وكانت مياهها تروي الواحة الواقعة غرباً والتي يوجد بها في أواسط القرن التاسع عشر حوالي خسمائة نخلة بالإضافة إلى 65 أصل زيتون. بقيت هذه البلدة مأهولة إلى أواخر السبعينات حيث هجرها سكانها ليستقروا ببلدة الكليبية شرقاً والتي أحدثت بها واحة عصرية منذ أواخر الخمسينات.

عام جمنة: هو عام 1296هـ/1879م، في هذا العام هاجمت قوات المحلة بقيادة محمد المرابط بلدة جمنة، بسبب تلكها في إجراء عمليات الإحصاء لضبط عدد دافعي المجبى، بدعوى أنها بلدة زاوية. وقد دارت بين الطرفين معركة حقيقة يوم 25 أفريل 1879، أسرت عن 39 قتيلاً من جمنة و59 معتقلًا، مقابل 21 قتيلاً في صفوف القوات المهاجمة و39 جريحاً. وقد تضررت جمنة من ذلك الحدث، حتى سميت تلك السنة بعام خلاء جمنة.

عام قبلي: هو عام 1274هـ/1857م، بعد أن قام قبلي بإجارة غومة محمودي، هاجمتها قوات المحلة بقيادة محمد خزندار، ودارت معركة بين الجانبين يومي 14 و15 سبتمبر 1857 ردت على إثرها قوات المحلة على أعقابها فانكفت إلى قابس، ولكنها ما لبثت أن عادت مع تعزيزات جديدة وقامت باقتحام بلدة قبلي وتخربيها، واعتقل العديد من أبنائها وبيعت وأحتتها بتمامها، وحرم على سكانها العودة إليها، ولذلك سمى بعام خلاء قبلي.

عبد الله الحاج : هو عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر وينتهي نسبه إلى الصحابي المقداد بن الأسود الكندي. عاش في القرن 11هـ/17م. وهو الجد المؤسس لبلدة جمنة وحاميها. تعيد الأسطورة أصله إلى الساقية الحمراء، وقد استقر بجمنة بينما كان عائداً من الحج، وتتجزأ على يديه عينها. ومنه انحدرت العروش الأربع للجمنيين وهي :

العباسية (أولاد عباس) والوسليفة (أولاد يوسف) والمنسوية أو السنوية (أولاد السنوسي) وأولاد محمد. أقيمت لعبد الله الحاج زاوية بجمنة يشرف عليها وكيل عادة ما يختار من أولاد محمد. كما انحدر منه عدد من الأولياء دفوا بجمنة وخارجها من أهمهم سيدى إبراهيم الجمني بجريدة، وسيدي موسى الجمني بمطماطة.

العماري : نوع من الرطب أسود اللون، هو أول ما يتضمن من أصناف التمر بنفزاوة وذلك في أواخر شهر جويلية. غير أنه من نوعية رديئة، إذ أن جرم تمراه صغير ونواه كبير وقشرته غليظة. أما بالنسبة لانتشاره فهو هذا الصنف معروف بمختلف واحات نفزاوة، لكن قلما يوجد منه أكثر من نخلة واحدة في البستان الواحد، وعادة ما يكون إنتاجه للاستهلاك العائلي.

العناد : اسم يطلق على مجموعة من ثلاثة قرى بنفزاوة هي المنصورة والرابطة وطرة. وما يجمع بينها هو انتماها الصفي إلى شداد والعلاقات القرابية بينها. إلا أن هناك من يضيف إليها قرى أخرى مجاورة لها ومن بينها الجديدة اعتمادا على المؤثر الشعبي "شاربين العناد من واد الغريق"، أي أن العناد يشمل القرى التي تسقي من عين الغريق. وتخالف الروايات في أصل هذه التسمية، إلا أنها كانت في المنطلق صفة سلبية ثم وقع الاعتراف بها، وحتى إداريا فقد كانت هذه القرى تتضمن تحت مشيخة واحدة تحمل اسم مشيخة العناد.

العوينة : هي قرية شرقية بلدة دوز. اتخذت موضعها الأول على ربوة بها عين ماء تسمى (عوينة الذيب)، وتعد الأسطورة الفضل في انجناس تلك العين إلى السولي عمر المحجوب الذي اختلف مع عمه الغوث وكان الجد المؤسس لبلدة العوينة. كانت هذه البلدة مثلها مثل دوز آخر المحطات الواحية في اتجاه الجنوب ولم يكن موقعهما - رغم ما يمكن أن توحى به الخريطة - منزريا ولا منعزلا، إذ كان ملتقى طرفيين هامين يربط أولهما نفزاوة بخدماس ويربط الثاني المنطقة بالجنوب الجزائري. أما عن سكانها فهم أولاد سلمي وأولاد عبد الله وأولاد عمر... من المرازيق. لقد ساهم سكان العوينة مساهمة كبيرة في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

عين الغريق أو عين المنصورة : هي من أقدم العيون بنفزاوة، وهي عبارة عن مسطح مائي يتغذى من عدة منابع، تنتفع مياهها في ثلاثة أحواض رئيسية هي عين

زوابدة وواد الغريق وبلاعة الحديد، وينفصل الحوضان الأخيران بجدار أرجعه البعض إلى العهد الروماني، في إشارة إلى قدم هذه العين. وقد وصف العديد من الجغرافيين والرحالة العرب هذه المجموعة المائية، وأولهم البكري الذي تحدث عن طرة ذاكراً أن "حولها عيون وبسانين". ويدرك الحميري أنها "على نهر كثيرة النخل والشمار، وحول إليها عيون كثيرة". أما التجاني الذي مر بها في بداية القرن 14هـ / 14 م فقد ذكر بأن عين طرة "بركة ماء متعدة حسنة المنظر، شارحة للنفس، تدخل البهائم إليها عند الشرب إلى حد معلوم لا تتجاوزه وإن جاوزته غابت في مغايض لا قعر لها، وينذرون أن لها في كل عام رجل تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الغرباء". وفي ذلك إشارة إلى أهمية هذه العين. وفي القرن التاسع عشر كانت بهذه العين الكثير من الأسماك، وهو ما يؤشر على مدى إهمالها فلم يقع تعهدها بالحفر والتقطيف. وقد قدر صبيبها في النصف الأول من القرن العشرين بحوالي 100 ألف، بضاف إلى ذلك العديد من العيون الأخرى التي تتخلل واحات المنصورة الجديدة والرابطة وتتمىء ومن بينها عين شكنة بالجديدة وعين تلمين... وقد كان عدد نخيل تلك الواحات المتصلة ببعضها سنة 1862 أكثر من 70 ألف (البكري، 47-48؛ الحميري، التجاني، ص 142؛ بيشفال 1889).

عين القططوسية : هي العين الطبيعية لبلدة الجرسين، وتعيد الأسطورة سبب تسميتها بالقططوسية لأن تباه السكان إلى أن قطة لهم كانت مبتلة الشعر، فاقفوا أثرها ليكتشفوا الثرى بالمكان الذي كانت فيه، فحفروه إلى أن اتبجس الماء. وكان الناس يقدمون لهذه العين بعض القرابين الحيوانية، بما يذكر بعادة المصريين في تقديم القرابين البشرية لنهر النيل، وقد بقيت هذه العادة إلى بضعة عقود خلت. كانت عين القططوسية عبارة عن حوض مائي متسع به سبعة منابع رئيسية غير أن كمية الماء التي تدفعها لم تكن هامة حتى أن واحة الجرسين لم يكن بها سنة 1862 غير 2890 نخلة فقط. وفي سنة 1918 ارتفع صبيب هذه العين وقد قدر في خمسينات القرن العشرين بـ 26 ألف، وهو ما جعلها من أهم العيون بنفزاً. وقد انعكست هذه الزيادة إيجابياً على واحة الجرسين، إذ أصبح الري مستمراً طيلة اليوم عندما كان ليلياً، وكانت الدورة المائية تدوم 24 يوماً. غير أن ما ميز هذه العين هو أن توزيع الماء بها لم يكن

على الأشخاص وإنما حسب العروش حيث يعود لكل واحد منها عدد من الوجبات التي يقع تقاسها بين أفراده. جفت هذه العين تماماً في ثمانينات القرن العشرين.

عين برمية : موضع يقع بصفح جبل طبقة شرقى واحة المنصورة، أجريت فيه في بداية الخمسينات تقييمات من قبل الباحثين س. آرمبورغ (C. Arambourg) ور. كوك (R. Coque) . وقد عثرا فيه على دلائل على وجود سقيق للإنسان بالمنطقة يعود إلى بدايات الزمن الجيولوجي الرابع، حيث ثقبا في مستوى الفيلوفرنسي وعثرا على حجارة ذات حد قاطع كانت تستعمل للصيد، كما عثرا على عظام حيوانات من بينها النمر والفيل العملاق والكركدن وغيرها. وقد نشر نتائج ما قاما به سنة 1958 . (فراقب، 1989-1990، ص 11-12).

عين تاورغى : هي من أقدم العيون ورد ذكرها لأول مرة في مسالك البكري التي أخذها عن مصادر تعود إلى القرن الرابع هـ/10م، حيث يقول : "ولمدينة نفراوة عين تسمى بالبربرية تاورغى وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر" إشارة إلى أهمية دفعها آذاك (البكري، 47)، ولا شك أن الأهمية التاريخية لبشرى تعود في جانب كبير منها إلى أهمية هذه العين التي أصبت بها عدة أساطير مازالت تروى إلى حد الآن، ومنها ما يتصل بأصل تسميتها إذ جاء في الأسطورة أنها قد ابتلت عروساً على هودجهاء، ولما سئل عنها الخادم الذي كان يمسك برسن الجمل قال لهم : توّا رغساً. وتضييف الأسطورة بأنه عثر بعد ذلك بعين الجرسين على إصبع تلك العروس. ولستنا في حاجة هنا إلى إعادة ما كتبه البكري منذ ما يزيد عن العشرة قرون من أن تسمية هذه العين ذات أصل بربري، غير أن الأسطورة تؤكد شيئاً وهو أن العيون الطبيعية بنفراوة تتبع من نفس الطبقة المائية، كما تؤكد وجود صلات بشرية بين قريتي فطناسة والجرسين. كانت عين تاورغى عبارة على حوض مائي متسع قدر منسوبه من المياه في أربعينات القرن العشرين بـ90ل/ث، وهي تقوم بري واحات بيري وقطناسة والدبابشة، وكانت هذه الواحات مجتمعة تعداد سنة 1862 ما يزيد على العشرين ألف نخلة. لكن يبدو أن حفر الآبار الارتوازية منذ بداية القرن العشرين قد أثر سلباً على العيون الطبيعية ومن بينها عين تاورغى التي جفت تماماً بين أكتوبر 1936 وماي 1940 ثلاث مرات متتالية، وقد نضبت تماماً في ثمانينات القرن العشرين (مورو 42، ضيف الله 2000).

عيون جمنة : بالنظر إلى عدد النخيل المسجل على بلدة جمنة في القرن التاسع عشر، يمكن اعتبار عينها من أهم العيون بالجهة الجنوبية من نفزاوة، غير أن الحقيقة غير ذلك إذ أن ما سجل آنذاك يشمل إلى جانب واحتها جزر النخيل التابعة لها والمحيطة بها. ذلك أن عين جمنة لم تكنتمكن من رؤي مسترسل طوال اليوم، وإنما كان حوضها يسد هو الآخر نهاراً ليوزع ما تجمع به من الماء ليلاً، وكانت الدورة المائية تدوم 11 ليلة وكانت لكل واحدة من الليالي اسمها كليلة الشرف. كما كان بكل جزيرة من الجزر المحاطة بجمنة عيونها الصغيرة، وكانت الوحدة الزمنية لتوزيع الماء بها أيضاً الليلة، إذ كانت هذه العيون تتدفق نهاراً ويوزع ماؤها ليلاً، ويمكن أن نذكر من بينها عين جزيرة حمو، حيث كانت الدورة المائية تدوم 35 ليلة، وجزيرة السليمانية حيث كانت الدورة تدوم ثماني ليالٍ وجزيرة تمداهر حيث كانت الدورة المائية تدوم 11 ليلة، وكذلك عين جزيرة المنصورية...

غريب : هي كنفدرالية قبلية مجالها غربي نفزاوة وصولاً إلى منطقة الوادي بالجزائر وبالجريد فضلاً، كانت إلى القرن العشرين تعيش على التنقل والترحال ثم استقرت شيئاً فشيئاً بالعديد من القرى بنفزاوة مثل الصابرية والفوار والمطروحة وبشني والرجيم وغيمة وغيرها. تكون كنفدرالية غريب من أربعة عروش كبيرى هي: الصابرية وقعود وعوينة راجح والصلاحية. غير أن هذه العروش لا تتحدر من جد واحد. وحتى داخل كل واحد من تلك العروش فإن لكل لحمة مرجعيتها من ذلك مثلاً بالنسبة للصابرية، نجد أن شبيب يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين لبلدة الصابرية وأن جدهم هو سيدى غانم، بينما يشتراك الكرايمة والرحامنة والبيضان في أن جدهم هو سيدى المختار. وينحدر الفضيليين من المرابطة أمي هندة دفينية عوينة راجح. كما تختلف عروش غريب من حيث انتمائها الصفي، من ذلك أن الصلاحية والفضيليين كانوا من صف يوسف بينما كان الصابرية وقعود من صف شداد. من جهة أخرى، كان غريب يعتبرون أولاد زاوية فكانوا معفون من دفع الضرائب حيث لا نجد لهم أثراً في دفاتر المجبى في القرن التاسع عشر (مليود، ص 108-111).

خليسيبة : كانت مركز قبيلة العذاري في جنوب نفزاوة، يعودون إليها في فصل الخريف لجني التمور والزيتون، إلا أنها كانت في أواسط القرن التاسع عشر ذات واحة صغيرة، إذ كانت تعداد 325 نخلة سنة 1852 و 29 أصل زيتون، وتطور هذا

العدد بعد عشر سنوات على التوالي إلى 555 نخلة و45 أصل زيتون (وجياس، ص 51؛ بنبلغيث، "التخيل بنفزاوة..."، ص 570).

الغماري التفزاوي، أبو بكر بن فتح (النصف الثاني من ق 7هـ/13ـ بدأية القرن 8هـ/14م) : فقيه وشاعر، استغرب التجاني وجوده بنفزاوة عندما زارها سنة 706هـ/1307م وذكر أن "له التقم في حسن الخط وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط في أنواع الخط المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريدة أخذوها عنه"، كما أورد التجاني في رحلته البعض من شعره (التجاني، ص 147ـ 177).

الغول، عبد الله (1910ـ1950) : أحد الثوار على الاستعمار الفرنسي. ينحدر عبد الله بن عمر بن محمد الغول أصيل بلدة العوينة من عائلة ساهم أبناؤها في انتفاضة 1915 و1943 واستشهد فيما عدّ منهم، فقد شارك والده عمر في انتفاضة الجنوب سنة 1915 ثم تسرد بعد فشلها في الصحراء حتى تمكنت السلطات الفرنسية من القضاء عليه سنة 1924. ونشأ أبناؤه على روح الرفض والثورة ومن بينهم عبد الله. ولد عبد الله الغول قبل خمس سنوات فقط من التحاق والده بالانتفاضة، ونفي مع عائلته صغيراً إلى بني خداش. وعندما شب عمل في قطاع الفلاح وتربية الماشية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، إذ كشفَ هذه الحرب عن حدود القوة الفرنسية وعجزها أمام قوات المحور، فكان ذلك حافزاً له لكي يظهر حقه على الفرنسيين. لقد كان عبد الله الغول من أوائل الذين رفعوا السلاح ضد الفرق الفرنسية الصحراوية المرابطة بالجنوب الغربي، إذ كان أحد سبعة سلمهم الإيطاليون السلاح للدفاع عن الحمى، فكان أحد مجربي انتفاضة المرازيق في غرة جانفي 1943، وشارك فيما بعد في أغلب الاصطدامات مع الفرنسيين وخاصة منها تلك التي وقعت بقصر تارسine ودوز في ماي 1944 وبئر الأنس وطويل الصابرية في جوان 1944، وفي آخر ذلك الشهر انقسم المجاهدون إلى ثلاثة مجموعات ضمت إحداها أبناء الغول الذين توجهوا نحو جبل مطماطة وأصطدموا عديد المرات مع القوات الفرنسية، وقد جرح عبد الله في إحدى تلك المصدامات قبل أن يتوجّل مع أصحابه في التراب الليبي؛ لكن القوات الأنجلوأمريكية ألقت عليه القبض في بداية 1948 رفقة اثنين من مجموعته وسلموا للسلطات الفرنسية. غير أن عبد الله الغول تمكن من الهرب من السيارة التي كانت تقلّه من تطاوين إلى بني خداش، فانتقم الحراس من رفيقه بأن أطلقوا عليهما النار فقتلواهما.

أما هو فقد تحول إلى منطقة الغالييف قرب الحامة بحثاً عن رفاقه القدامي ثم اتجه نحو الوطن القبلي، لكن تم اكتشاف أمره وألقي عليه القبض من جديد وقدم للمحكمة العسكرية الفرنسية التي حكمت عليه بالإعدام سنة 1949 ونفذ فيه ذلك الحكم يوم 20 نوفمبر 1950 (المروزوفي، ثورة المرازيق، ص 55 وما بعدها ثم ص 126-128 و 150-153. كذلك شهادة ابنه السيد محمد الغول).

الغالييف : إحدى القبائل البدوية بنفزاوة وتمتد مراعيهم بالظاهر والبحائر. لهم مزار محاذ لواحة قبلي. وقد دفن جدهم ابن غيلوف في القرية التي تُنسب إليه قرب بلدة الحامة. كانوا يعتبرون في القرن التاسع عشر أحد العروش المكونة لأولاد يعقوب، حيث كانوا يعودون بالنظر إلى شيخ هذه القبيلة، وكانت طبقاً لذلك يقومون بدور في ترشيح هذا الشيخ، من ذلك أن خمسة عشر من رجالهم ضمنوا في أكتوبر 1894 في ترشيح محمد بن نصر بن عبد الصادق لمشيخة أولاد يعقوب، علماً وأن عدد الضامنين وصل آنذاك إلى 93 شخصاً ينتسبون إلى مختلف العروش بالإضافة إلى أهالي نقة. لعب الغالييف دوراً كبيراً في حركة المقاومة المسلحة في بداية الخمسينات، واستشهد منهم حوالي السبعة (أ. و.ت؛ ضيف الله، 2005، سعيد، البشير القربي).

الفرع الزيتوني بنفزاوة : تأسس هذا الفرع بقبلي سنة 1949 وقد أسندت إدارته إلى الشيخ محمد بن سليمان العويني. ساهم أبناء نفزاوة في العناية بهذا الفرع من خلال توسيعة الجامع الذي يحتضنه وبناء قاعتين لتدريس الرياضيات وإصلاح مدرسة سكنى الطلبة. وكان يدرس به خلال السنة الدراسية 1949-1950 حوالي مائتين وخمسين تلميذاً. وله الفضل في توجيه العديد من أبناء نفزاوة للتعليم. أغلق الفرع الزيتوني بنفزاوة سنة 1961،

فرعون : واحة قرب مدخل شط الجريد تقع شرقى بلدة بشري. ذكر التجاني في بداية القرن 14م أن جميع الأهالي يعتقدون أن قد غرسها فرعون وأن تمرها مباح لمن مر بها من الغرباء (التجاني، ص 142).

الفزاني : نوع من أنواع التمور، ينضج في سبتمبر، كثير الحلاوة. يبدو أنه جيء به من منطقة فزان الليبية ومن هنا جاءت تسميته.

قطناسة : تقع هذه البلدة قرب مدخل شط الجريد وغير بعيد عن بلدة بشري العاصمة التاريخية نفزاوة، وربما كانت حياً تابعاً لها. وقد استمدت اسمها من اسم قبيلة فطناسة البربرية التي تتحدر من قبيلة مزاتة. كانت فطناسة في القرون الإسلامية الأولى مركزاً إباضياً هاماً إذ يروي سليمان بن عبد الله بن شكر الفطناسي المزاتي أنه أدرك بها في أواسط القرن 5هـ/11م اثنى عشر مسجداً، وهو ما يدل على أهميتها الديمغرافية واتساع رقعتها. لكن يبدو أنها اتجهت نحو التراجع خاصة بعد أن انتقلت عاصمة نفزاوة من بشري إلى قبلي مع بداية العهد العثماني (أبو زكرياء، ص 328-329).

الفطيمي : ويسمى أيضاً العليق، وهو من أحسن أصناف التمور مباشرةً بعد الدقلة، ويشبهه من حيث الحجم أو يفوقه قليلاً، ويختلف عنه من حيث لونه إذ لل العليق لون داكن، كما أن له نكهة خاصة، وهو صالح للخزن ولا يؤثر النقل على نوعيته. ولذلك كان يعرف بمختلف أسواق البلاد التونسية، كما أنه أدخل كمكون في الحلويات التقليدية وعلى رأسها المقروضن. ولا شك لدينا أن ذلك في علاقة مع عراقه حيث نعتقد أنه عرف بواحات نفزاوة منذ عدة قرون، والدليل على ذلك كثافته في الواحات القديمة، وفي منتصف القرن التاسع عشر كان يوجد بست عشرة واحة فسي مقدمتها واحدة المنتشية بما يفوق ألفي نخلة ثم بأكثر من ألف نخلة بكل من الواحات تلمسين وقطناسة وقبلي.

قبلي : تقع قبلي بوسط منطقة نفزاوة وكانت إلى أواخر القرن التاسع عشر بلدة تتوسط الواحاتها إذ تحيط بها أشجار النخيل من كل الجهات وتتميز بموضع مرتفع نسبياً عما حولها من بساتين لكي لا تخمرها المياه المتدفقه بقوة أو التي يملأ بها الخندق المحبط بالسور. وقد ساهم موضعها داخل الواحة في حمايتها من الرياح وزحف الرمال الذي عرفت بها المنطقة. كان عدد سكان قبلي سنة 1889 حوالي 675 نسمة، غير أن هذا العدد ما فتئ أن تزداد بما ساهم في تغيير موضعها الأول وخروجها من وسط الواحة، وهي ليست المرة الأولى التي يحاول فيها القبلاوية مغادرة البلدة القديمة إذ قد ظهر حي جديد خارج الواحة يسمى الجاديد. أما المكان الذي اختاره الفرنسيون، فقد حرصوا على تطويره لجعله نقطة جذب ومراقبة للسكان. وبالفعل فقد مكن قبلي من أن تصبح أول نقطة بعد تجاوز جبل طباقة ومنها تطلق الطرق المؤدية إلى

أطراف نفزاوة الثلاثة : الجنوبي (جمنة/دوز) والجنوبي الغربي (بسللي/الجرسين) والشمالي الغربي (تلمين/بشي). ولهذا الموقع الجديد أهمية عسكرية إذ أنشأت السلطات العسكرية به ثكنة مراقبة وأصبح مركزا إداريا لنفزاوة. وبالعودة إلى البلدة القديمة، فإنها من ناحية مورفولوجية تتركز حول المسجد الجامع بصومعته المتواضعة، وتجاوره غربا الرحبة التي كانت تقوم مقام السوق حيث كانت تتواجد أغلب الدكاكين التجارية وتمتد المساكن شرقا وغربا. أما التخطيط فهو غير منتظم إذ أن الأنهج ضيقة وملتوية وتفضي إلى ساحات كانت تساهم في تهيئة البلدة المكتظة بالسكان وتصلح مجالا للعب الأطفال. وكانت بلدة قبلي مسورة ولها أبواب تغلق ليلا أو أثناء الهجمات على البلدة، وهذه الأبواب هي بباب البوادي شرقا، وباب الزاوية وباب الشباك شمالا، وباب ارتينه غربا، وباب الرحبة جنوبا. وإضافة إلى سور الذي تهدم جزء منه سنة 1857، كان يحيط ببلدة قبلي خندق يملا ماء للحيلولة دون دخولها من قبل المهاجمين. وقد بقي هذا الخندق إلى سنة 1903 حيث تحول إلى طريق دائري يفصل بين البلدة وبساتينها. أما البلدة الجديدة فقد أقيم بها سوق وثكنة ومركز إداري كما وقع احترام الإنماء القبلي والوظيفة الاقتصادية في التنظيم المجالي للبلدة، إذ تكون حي النزلة ليستقبل سكان قبلي القديمة الذين كانوا يشتغلون بالفلاحية بصورة تكاد تكون مطلقة. وبغربي السوق أقام اليهود منازلهم لتكون قريبة من متاجرهم. أما بشرقيه فقد استقرت مجموعات من أولاد يعقوب وحمل ذلك الحي اسمهم، وكأنوا يقumen غالبا بالوظيفة الإدارية والعسكرية. وتتجدر الإشارة إلى أن تخطيط هذه الأحياء كان متعمدا وذلك يعكس التأثر بالنمط الغربي الذي سمعت السلطات الإستعمارية إلى نشره. أما من الناحية التاريخية فاعتمادا على ما يوجد قبلى من حجارة مهندمة وبقايا أعمدة وتيجان أعد بعض المهتمين وجود هذه البلدة إلى العهد الروماني لكنهم اختلفوا في اسمها القديم. فالباحث شارل تيسو (Ch. Tissot) اعتبرها محطة (Ad Templum) المذكورة في مسلك أنطونينوس ويدلل على ذلك بوجود آثار بدت له أنها بقايا معبد استمدت منه البلدة اسمها. أما الضابط العسكري الفرنسي دونو (Donau) فقد لاحظ أن المسافة بين تلmine أو تریس تمالیني وقبلي لا تتوافق الا التي عشر ميلا التي ينص عليها مسلك أنطونينوس والتي تفصل عاصمة نفزاوة عن Ad Templum، واعتبر أن هذه الأخيرة ليست سوى بشي. ولم تفت

مسألة المسافة تيسو إلا أنه يفصل بين موقعي Tamalleni و Turris Tamallen حيث أن الأولى هي تلمين والثانية هي أم الصمعة، وهذه الأخيرة تبعد عن قبلي باثني عشر ميلاً. غير أن الباحث بول تروسي (P. Troussel) يرى أن Ad Templum قد تكون جمنة وليس قبلي أو بيري. ومهما يكن اتجاه هذه الإفتراضات أو النقاشات فإن قبلي تبدو قديمة فعلاً. أما في التاريخ الإسلامي فقد ورد ذكرها فيما يبدو في القرن 2هـ/8، إذ أن أحد علماء الإباضية الخمسة كان يسمى أبو داود القبلي النفزاوي. فهل أنها نسب إلى قبلي أم أنها نسبت إليه وتخلت عن اسمها القديم؟ يبدو أن كلام الاحتمالين وارد. وقد ذكرت قبلي لأول مرة بوضوح في رسم حجة تعود إلى عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (894هـ/1435م) الذي حبس بستان قرقدة المعروف إلى اليوم على إحدى الزوايا بالعاصمة، وقد انتقلت ملكيته بعد ذلك وصولاً إلى الجنينين وفي بداية القرن السادس عشر ألح في طلبه الولي أبو العيث القشاش إلى أن تمكن من ضمه إلى أحباسه. غير أن موقع بلدة قبلي الذي كان دون أهمية موقعاً طريراً جعلها لا تلعب دوراً تاريخياً في القرون العشرة الأولى من الوجود العربي الإسلامي، فلم يرد ذكرها في كتب الرحالة والجغرافيين العرب. ومع ذلك يمكن أن نؤكد أنها كانت آنذاك بلدة ببرية. وفي القرن 10هـ/16م، وفدت إليها عناصر بشرية جديدة تتحدر من قبيلة المحاميد الطرابلسية فاستطاعت البلدة الهدائة حتى ذلك الحين أن تحتل موقعاً جديداً في نفزاوة، إذ أن المحاميد الذين سيسموون أولاد بلوم لعبوا منذ قدمهم دوراً قيادياً بالمنطقة فكانوا يجمعون الضرائب باسم باشا طرابلس في البداية ثم أصبحوا تابعين لإيالة تونس. ومنذ القرن 12هـ/18م، برزت قبلي بقيادة المناصر لعلي باشا في الفتنة الحسينية الباشية، وعندما عاد الحسينيون إلى السلطة سنة 1170هـ/1756م لم تسلم قبلي بهزيمة على باشا فانتفضت ضد أبناء حسين بن علي مما جعل السلطة المركزية ترسل إليها محطة لإخضاعها فمات عدد هام من سكانها. وفي نهاية ذلك القرن فقدت قبلي البعض من نفوذها على نفزاوة لصالح تلمين التي كانت تقود صف يوسف بينما اقتصر دور قبلي على قيادة صف شداد، وأصبح الصراع يحتم علينا ويختت آخر بين هاتين العاصمتين إلى أن استجار غومة محمودي سنة 1857 بالحاج حمادي بن بلاقاسم خليفة قبلي، فأجراه في الوقت الذي قررت فيه السلطة المركزية توجيه محلة لطرده، غير أن البلدة

كبدت القوات الحكومية في أواسط سبتمبر من تلك السنة هزيمة قاسية مما أجبرها على العودة إلى قابس وطلب قادتها تعزيزات جديدة تمكن بفضلها من دخول البلدة بعد شهرين وقام بتدميرها وبيع واحتها إلى القرى المعادية لها فسمى ذلك العام بعام قبلي. لكن يبدو أن أهالي قبلي قد استعادوا أملاكهم بعد أن سمح لهم السلطة المركزية بشرائها من جديد وكان ذلك سنة 1860. أما إداريا فقد استطاعت قبلي أن تتجاوز الوضعية الاستثنائية التي وجدت فيها بسبب مواجهتها للمحطة، فاستعادت دورها القيادي بنفزاوة وتزامن ذلك مع بروز شخصية أحمد بن بلقاسم بن حمادي الذي سمي في البداية شيخا ثم خليفة لصف شداد وأخيرا كاهية على نفزاوة، وقد حافظت قبلي على دورها كعاصمة لنفزاوة إلى حد الآن (ترسوبي، ص 41-48؛ العزابي (المنوبي)، “نبذة من تاريخ نفزاوة”， في، أضواء، ع 4، 1977، ص 26؛ عيسى، ص 124-125؛ ضيف الله، المجتمعات المائية، ص 53-66؛ بنداخت، ”كافح الشيخ غومة...”).

قرقدة : اسم أحد البيوتين بواحة قبلي، يقع شرقي البلدة، ورد ذكره لأول مرة في رسم حجة تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وقد حبسه السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (894-839هـ/1435-1489م) على إحدى الزاويتا بتونس العاصمة. غير أنه بيع بعد ذلك حتى وصلت ملكيته للجمندين، ثم طالب به المرابط أبو الغيث القشاش وأآل إليه في الأخير وكان ذلك في بداية القرن السابع عشر، ثم انتقل حبسه إلى الزاوية البكرية بتونس. وفي القرن التاسع عشر كان به حسب الدفاتر الجبائية بين 110 و120 نخلة، كلها شakan. (عيسى، ص 124-125).

قرى نفزاوة : عرفت نفزاوة منذ القديم حياة الاستقرار، إذ كانت منابع المياه عاملا أساسيا في نشوء الواحات والانتقال إلى الاقتصاد الزراعي، فكانت تتشاء قرب تلك الواحات قرى تتفاوت أهميتها حسب أهمية دفق العيون الطبيعية، وعندما تتضب المياه يرحل السكان إلى مناطق أخرى للبحث عن ظروف مواتية، فتقلص واحاتهم القديمة وتحتاج إلى مجرد جزر نخيل، ومن أمثلة ذلك قلعة درجين التي خربت في القرن الخامس هـ وكذلك الطوبوبة وإينس إذ رحل عنهما سكانهما في النصف الثاني من القرن العشرين. من جهة أخرى عرفت نفزاوة منذ القديم بكثرة تجمعاتها السكنية، فقد ذكر البيعوقبي في ق 3هـ/9م أن ”نفزاوة عدة مدن“ وأضاف معطى آخر بقوله : ”يحيط بالمداشر التي تلي القبلة الرمال“، وهو بلا شك يقصد قرى جنوب نفزاوة التي مازالت

تعاني من زحف الرمال. وعندما جاء التجاني إلى المنطقة في بداية ق 8 هـ / 14 م. اجتاز في طريقه من طرة إلى بشرى "قرى كثيرة منها قرية تعرف بكليك وقرية تعرف بباسك وقرية تعرف ببني يوسف وقرى سواها"، وأكد ابن خلدون في نهاية ذلك القرن ظاهرة تعدد القرى بنفزاوة. واعتمادا على المصادر المكتوبة توصلنا إلى وضع قائمة تضم ثلاث عشرة قرية هي : بشرى، طرة، تيميلمن أو تلمين، قلعة درجين، درجين السفلى الجديدة، الجرسين، فطناسة، نقة، شيطان، تيزاج أو تنزاج، ياسك، كليك، بني يوسف. وانطلاقا من هذه القائمة يمكن إدراك الملاحظتين التاليتين : أولاهما أن خمسة من تلك القرى لم نستطع تحديدها ولعلها الأسماء القديمة لبعض القرى الموجودة إلى حد الآن من ذلك أن ياسك قد تكون قرية الرابطة الحالية، والدليل على ذلك أن أحد بساتينها يحمل إلى حد الآن هذا الاسم (الياسكي). أما الملاحظة الثانية فهي أن تلك القائمة يمكن أن تتسع لتشمل عددا آخر من القرى خاصة إذا أمكننا الاطلاع على الوثائق الخاصة من عقود منكية وأحباس وغيرها والتي مازال أصحابها يحتفظون بها وقد لا يقدرون قيمتها التاريخية. أما بالنسبة للتاريخ الحديث والمعاصر، فإن الوثائق تؤكد كثرة القرى بالمنطقة، وقد ذكر الكومت فيليبي سنة 1829 أنه يوجد بها حوالي خمسين قرية بعدها مائة، وبينما أنه اعتمد في ذلك على ما ثور شعبي يقول : "نفزاوة مائة بلاد وبلاط"، ولا شك أن الرقم الذي يقدمه هذا النص يحمل دلالة مجازية إذ لا يعود أن يكون تعبيرا عن كثرة القرى، وهو معطى أكدت عليه المصادر القديمة ويشهد الواقع الحالي بصحته. أما بيشفال فقد أحصى في ثمانينيات القرن التاسع عشر 48 قرية. (اليعقوبي، البلدان، ص 102 ; التجاني، الرحالة، ص 153 ، ابن خلدون، ج 6، ص 419 ؛ مونشيكور، ص 256 ؛ بيشفال، 99).

القصبي : أحد أنواع الرطب يستمد اسمه من طوله. وهو ينضج في شهر أوت ولا يقع تخزينه.

القصر الأحمر : اسم بلدة كانت تقع في الجهة الجنوبية من نفزاوة، يذكر اسمها بالصور الموجودة بأقصى الجنوب الشرقي، وهو ما يجعلنا نفترض أنها بنيت على غرارها ولنفس الأغراض خاصة وأن سكانها كانوا يقضون أغلب السنة في الترحال. انخذلها الحوامد في بداية العصور الحديثة مستقرا لهم، وفيها دفن جدهم سيدي حامد الذي ينحدر من الأشراف الأدارسة. وعاش فيها ثلاثة أجيال منهم، ولكن محدودية

ثروتها المائية دفعت الجيل الرابع بقيادة حامد الصغير إلى البحث عن مكان آخر للاستقرار فتوغل داخل شبه الجزيرة وأنشأ بلدة المنشية. لكن القصر الأحمر لم يخل تماماً من أهله إلا في القرن التاسع عشر، إذ هجرواها إلى بلدة جمنة المجاورة، وتحولت إلى مجرد جزيرة نخيل، وكانت تعود لأهلها حسب السافر المؤرخ سنة 1852: 552 نخلة و725 بعد عشر سنوات بالإضافة إلى ما يعود لزواجهم من أحباس بعض الواحات الأخرى ومن بينها واحة قبلي، كما كان بوابة القصر الأحمر 19 أصل زيتون. (الشيباني 239، بيشفال 1889؛ نانسي وديمبروجيو، 33).

القطعاية : احتلت هذه البلدة موقعاً مرتفعاً يحيط به الشط من جميع الجهات، وكانت تابعة إلى صف يوسف. أما سكانها فإن أغلبهم في الأصل من قبيلة الصلاعة من أحفاد الولي محمد الصليبي. كانت واحة القطعاية تعداد سنة 1862 حوالي ألف نخلة و156 أصل زيتون بما يجعلها من أصغر الواحات وذلك يؤشر على ضعف منسوب عينها من جهة وإحاطة الشط بها من جهة أخرى (الشيباني 2001، ميلود، 111).

القلعة : كانت هذه البلدة تحتل ربوة تمكناً من الإشراف على المنخفضات المحيطة بها، فاستمدت اسمها من موضعها المرتفع الذي جعلها تبدو منيعة كالقلعة والذي لفت من جهة أخرى اهتمام الباحثين الآثريين. فقد اعتقد دونو Cdt Donau أن موضع القلعة قد يخفي آثاراً رومانية وذهب الباحث شارل تيسو Ch Tissot إلى اعتبارها محطة Aggarsel وجراه في ذلك نانسي وديمبروجيو وقد ورد ذكر أقارب في لوح بوتنقار Table de Peutinger، غير أن تروسي يؤكد أنه لم توجد بها مواد أثرية قديمة. كانت القلعة في القرن التاسع عشر نخلة بما يجعلها أهم من دوز آنذاك، كما كان سنة 1862 ما يقرب من خمسة آلاف نخلة بما يجعلها أهم من دوز آنذاك، كما كان أصحابها يملكون عدداً من أصول الزيتون الموجودة بالجزر المحيطة بها ومن أهمها السليمانية والنعيمات والسعدية وقراد والبيضاء والخضراء... وقد اختيرت في بداية العهد الاستعماري لتكون عاصمة لنفزاوة قبل أن يسند هذا الدور إلى قبلي (تروسي، ص 49؛ بيشفال).

القلية : لا شك أن هذا الاسم يدل على الدور الدفاعي لهذه البلدة التي كانت تحتل موقعاً مرتفعاً بالسفوح الجنوبية لجبل حلوص، وكان سكانها ينسبون إليه إذ كانوا يسمون الحالصة. ثم بدت البلدة موقعاً لها إذ اتجه أهلها للنزول إلى الموضع الحالي

المتبسط مقتربين من واحتهم. أما اقتصاديا فقد كان عدد نخيلها سنة 1852 يقرب من ثمانية آلاف وفاقت العشرة آلاف سنة 1862 وهو ما مكناها من احتلال المرتبة السادسة في وطن شداد، عشر ذلك النخيل من نوع الحرفة الذي كان يعتبر من الأصناف الجيدة، كما كان يوجد بواحتها 676 أصل زيتون (يرابان 79، الشيباني، 2001، 239 وما بعدها).

الكعيبي : قرية صغيرة توجد داخل واحة قبلي، غير بعيد عن البرج الذي ابتدأه أحمد بن بلقاسم لنفسه. غير أن الكعيبي لم تكن تحت سلطته إذ كانت تتبع آنذاك إلى وطن يوسف الذي يعود بالنظر إلى خليفة تلمين. تعيد أسطورة التأسيس سكان الكعيبي إلى ثلاثة مجموعات جاءت اشتنان منها من البلاد الليبية وهما السلاسلة والعمایرة، وجاء الزغاديد من الساحل، وكان ذلك في تواريخ مختلفة. ولا شك أن موقع الكعيبي غير بعيد عن رأس العين يعطيها أهمية بالغة، غير أن البلدة تعرضت إلى وباء في النصف الأول من القرن التاسع عشر فتحول سكانها عنها إلى كدمة زريات. كان أهالي الكعيبي يملكون سنة 1852 ما يقرب من ثلاثة آلاف نخلة وارتفع ذلك العدد بحوالي ألف نخلة بعد عشر سنوات، وكان أكثر من عشر ذلك النخيل من نوع الكننة الموجه للتسويق (أ.و.ت دفتر 1681؛ نانسي ديمبروجيو 31؛ الشيباني 2001).

كلوامن : قرية توجد على الطريق الغربي لنفزاوة، سكانها من المكاشرة من أولاد بعقوب. كانت تتبع إلى صف شداد، وكان بواحتها سنة 1862 حوالي ألف نخلة فقط وبضعة أصول زيتون. اشتهرت بما تنتجه نساوها من برانس (ديمبروجيو نانسي، ورقة 95؛ الشيباني، 2001، ص 241؛ بيشفال 108).

الكننة : كانت قبل إدخال الدقلة تعتبر من الأصناف الجيدة من التمور، بعد كل من العليق والحرفة، وهي ذات لون فاتح ويمكن تخزينها ولا يؤثر نقلها على جودتها. وكانت تجد بعض الرواج في الأسواق التونسية. وتختلف الكننة عن الكنتشي المعروف بالجريدة، إذ أنها أكبر منه حجما، وإن كانت تتشبه من حيث الصالبة. وكانت في منتصف القرن التاسع عشر توجد في 15 واحة خاصة منها الواحات التي تزوى من عيني المنصورة (حوالي 8 آلاف نخلة) ورأس العين (حوالي ألفي نخلة)، وعلى رأس تلك الواحات تلمين والجديدة بما يفوق 4 آلاف نخلة، ثم الرابطة بنصف هذا العدد (الشيباني 2001، 243-244).

اللقمي : ربما تعود هذه الكلمة إلى أصل لاتيني (lacrima) وقد حذف منها حرف الراء، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ إبراهيم بن مراد، وهذه الكلمة تعني الدمع وال قطرة تحدر من صموغ النباتات والأشجار. واللقمي شراب يستخرج من النخل بعد أن يقطع جريده الوسطي من أساسه فلا يبقى منه غير الجمار، فيشتغل عليه الفلاح يوميا بما يسهل للسائل الخروج من الجمار والأنسياب قطرة قطرة نحو إناء معد لذلك. ويشرب اللقمي في الساعات الأولى من إزالته، حيث يكون عذبا، وهو شراب ومغذي فإن تجاوز ذلك أو كان الطقس حارا فإنه يتحول إلى شراب مسكر. كان سكان نفزاوة يلجؤون إلى شراب اللقمي في الربيع، وهو يباع في القرى الهامة مثل قبلي بالكأس (بن مراد، ص 361-362).

ليمافس : هي موقع ماكس (Maggs) الروماني حسب الكونت فيليبي الذي زار المنطقة سنة 1829. كانت هذه البلدة صغيرة جدا في القرن التاسع عشر حتى أن عدد سكانها في نهاية الثمانينيات كان في حدود 26 نسمة فقط، وكان بها آنذاك منزلان من الحجارة، وبها ولی محلي هو سیدي عبد اللطیف. وكانت تابعة إلى وطن شداد، آل جزء هام من ملكية واحتها سنة 1906 إلى بعض الأفراد من الغالييف والمغارحة. إداريا كانت في القرن التاسع عشر تابعة لمشيخة قبلي إذ لا تبعد عنها إلا باثني عشر كيلومتر، ثم ألحقت في العهد الاستعماري بمشيخة المنصورة، وقد اكتسبت بعض الأهمية عندما هيئت بالقرب منها الطريق المؤدية إلى قلبس عوضا عن الطريق التي تمر جنوبى جبل طباقة. أما اقتصاديا فقد كانت من أصغر واحات وطن شداد، إذ لم يكن بها سنة 1852 إلا 412 نخلة فقط (أوست، 1681 ؛ ضيف الله 2000، بيشفال 1889، شهادة البشير القربي).

المدرسة الابتدائية بقبلي : هي أول مدرسة تأسس في نفزاوة في عهد الحماية، وقد بقيت حتى أواخر السبعينيات تسمى مدرسة البنات. كانت تعداد سنة 1900: 36 تلميذا، وتضاعف هذا العدد تقريبا في العشرينات والثلاثينات كما يبينه الجدول التالي:

السنة	العدد
1926	62
1927	73
1937	72
1938	89

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن المدرسة بقيت في حالة استقرار بين 1927 و1937. وقد كان التلاميذ المسلمين يشكلون بها أغلبية مطلقة، وفي حين ارتفع عددهم بين 1927 و1938 من 49 إلى 63، انخفض عدد التلاميذ اليهود من 22 إلى 20، وارتفع عدد التلاميذ الفرنسيين من اثنين إلى 6. أما بالنسبة لعدد الفتيات فقد ارتفع من 4 إلى 6 بين 1927 و1938، ولم تكن تدرس بها فتيات مسلمات سنة 1938 بعد أن كانت بها فتاة مسلمة واحدة سنة 1927. أما عن الإطار التربوي، فقد كان بها خلال هذه الفترة معلمان أحدهما لفرنسية وآخر للعربية. في سنة 1949 انتقد الأهالي نظام التعليم بالمدرسة حيث كان التلاميذ يدرسون حصة واحدة يوميا. وفي سنة 1955 طالبوا المنظمات القومية بالمنطقة بإيجاد قسم تكميلي بها (الزهرة، 11-12-1949؛ صوت العمل، 17-9-1955، ص4). (Statistique générale de la Tunisie, 1927 et 1938، ص4).

المرازيق : هي إحدى أهم قبائل نفزاوة، يمتد مجالها جنوب المنطقة ولها قاعدتان هما دوز والعوينة. يذكر الضابط الفرنسي بيشفال الذي خالطهم أن المرازيق قدموها من بلدة شكشووك بليبيا، وأن جدهم سيدي مرزوق بن عبد الله هو الذي جاء إلى المنطقة، وأنه خلف ولدين هما سيدي أحمد الغوث ومنه تحدّر عروش دوز وسيدي عمر المحجوب ومنه تحدّر عروش العوينة. وتمثل تلك العروش في أولاد منصور وأولاد يحيى والعبادلة والعمairyة بدوz الشرقي، والجلالية وأولاد عون والرواشدية وأولاد عبد النور والعيادات بدوz الغربي، وبالعوينة أولاد سلمي وأولاد عبد الله وأولاد عمر... أما عن أصولهم الإثنية فيذكر بيشفال أن المرازيق هم من العرب المستعجمة، ويرى بيبار مورو أنهم ينحدرون من البربر، إلا أن محمد علي المرزوقي يؤكّدان أنهم من عرب بني سليم. كانت قبيلة المرازيق معفاة من دفع المجبى على أساس أنها قبيلة زاوية، واستمر ذلك إلى سنة 1907. إلا أن المفارقة أنها كانت في نفس الوقت تتّبع إلى صف يوسف، وكان أبناءها يشاركون في الصراعات ضدّ صف شداد من ذلك أنهم شاركوا سنة 1857 في الهجوم على غومة محمودي عندما كان لا جنا بلدة الجرسين، وفي سنة 1869 ناصروا أولاد يعقوب ضدّ خليفة قبلي أحمد بن بلقاسم. وعند احتلال المنطقة سنة 1882 قدم أغلب أعيان المرازيق إلى الجنرال فيليار للتغيير له عن خصوصتهم، في حين أن عدداً من أبناء العوينة أعرّبوا عن رفضهم للاحتلال من خلال هجرتهم إلى ليبيا رفقة علي بوعلق، كما ساعد المرازيق الثوار التونسيين

القادمين من ليبيا للقيام ببعض العمليات ضد المصالح الفرنسية (1886). وفي سنة 1887 حوكم البعض منهم بالسجن والغرامة لرفضهم إعطاء معلومات طلبها منهم ضابط الاستعلامات الفرنسي. وشارك عدد وإن كان محدوداً من المرتزق في ثورة 1915 بالجنوب التونسي وقاموا سنتي 1943-1944 بانتفاضة كبيرة وواجهوا القوات الفرنسية في العديد من المعارك. أما اقتصادياً، فقد كانت واحدة دوز تعداد عام 1862: 4500 نخلة فقط، كما كان المرتزق يمتلكون بعض البساتين بواحات قبلي وتلمسان ونقة. وكانتوا خلال المواسم الممطرة يزرعون الحبوب في وادي المرقب وفي الأودية المجاورة بشرقى نفزاوة. إلا أن اقتصادهم كان يرتكز بالأساس على تربية الماشية وخاصة منها الضأن بنسبة 33% من قطيع نفزاوة سنة 1946 و31% من قطيع الماعز و22% من قطيع الإبل. إن أهم ما عرفته قبيلة المرتزق خلال الفترة المعاصرة هو اتجاهها التدريجي نحو الاستقرار، فبعد أن كانوا يقضون أغلب أشهر السنة في الترحال بأقصى الجنوب والعودة إلى دوز عند جني التمور، أصبحت فترات الترحال تتقلص حتى عُدوا في منتصف الأربعينيات من أنصاف الرجل (بيشفال 114-123، المرزوقي، مورو).

المرزوقي، محمد بن مصطفى بن علي: ولد بالعوينة-دوز في 22 سبتمبر 1916، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، والتحق بجامع الزيتونة سنة 1930 ليحرز سنة 1935 على دبلوم العلوم العملية من الخالدونية وعلى الشهادة الأهلية ثم على التحصيل سنة 1944. نشط منذ الثلاثينيات في عدة جمعيات من بينها جمعية الشباب النفزاوي التي تولى كتابتها العامة في جانفي 1937 وجمعية الرابطة الزيتונית ولوجنة الدفاع عن مصالح المدرسيين. كان ناشطاً في الحزب الحر الدستوري الجديد إذ حضر مؤتمر نهج التريبونال (1937)، وسجن غداة أحداث أفريل 1938 ثم أطلق سراحه في أواسط أوت من نفس السنة. اشتغل وهو لا يزال طالباً بالكتابة الصحفية ومن بين الصحف التي تعاون معها آنذاك العمل والهلال والنهضة فيما بين 1944 و1953. درس سنة 1956 بمعهد ابن شرف قبل أن يشتغل بالمعهد القومي للآثار بين 1957 و1961، ثم التحق بقسم الأدب الشعبي بوزارة الثقافة حتى وفاته في نوفمبر 1981. له ما يزيد عن الثلاثين كتاباً، أولها أبو العلاء المعربي، آراؤه وعقيدته وقد نشره وهو لا يزال طالباً (1935).

المرزوقي، نصر بن علي بالحاج علي: أصيل بلدة دوز ولد سنة 1915، درس بجامع الزيتونة وبرز في العمل الجمعياني الشبابي حيث نشط في كل من جمعية الشباب التفزاوي (جانفي 1937) وجمعية الرابطة الأدبية (ماي 1937)، والرابطة الأدبية. كان من الطلبة الذين رفتو من جامع الزيتونة سنة 1939 وقد أبعد إلى مسقط رأسه. ناضل في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد. وانتخب في مارس 1956 عضوا بالمجلس التأسيسي. عمل معلما ثم مدير مدرسة ابتدائية فرئيس قسم بوزارة التربية.

المزاتي، ميمون بن أحمد (القرن 6-12هـ) : هو أحد شيوخ الإباضية، ينحدر من قبيلة مزانة التي ساهمت بدور هام في قيام الدولة الرستمية (160-296هـ-777-909) حتى قال عبد الوهاب بن رستم : إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسه وأموال مزانة؛ وبنفزاوة كانت هذه القبيلة تستوطن فطناسة ودرجين. وقد انحدر منها ميمون بن أحمد المزاتي الذي كان في النصف الثاني من القرن 6-12هـ مختاراً بدرجين السفلى الجديدة فكان حكمه عدلاً وقوله فصلاً أي أنه كان يتولى الإفتاء وحل النزاعات، كما كان يقوم بالتدريس بمسجدها وكان سعيد والد أبي العباس السدرجي من تخرج عليه. وقد طال عمره حتى شهد تراجع المذهب فكان يتمنى أن يلقى من يسأله عن المسألة سؤال مستفيد أو يلقى عارفاً أو معترضاً (الشمامي، ج 2، ص 347؛ أبو زكريا، ص 150).

المساعيد : قرية صغيرة تقع جنوب نفزاوة، كانت إدارياً تابعة إلى صف يوسف، وكان سكانها يرحلون في الربيع مع المرازيق ويتجهون في المواسم الممطرة إلى السقي والشارب للحراثة وزراعة الحبوب. وكانت بواحتها سنة 1852: 2220 نخلة وتجاوز ذلك الثلاثة آلاف نخلة بعد عشرة سنوات، بما يجعلها من أكبر الواحات في جنوب نفزاوة (أو.ت، الشيباني، ص 240؛ بيشفال، ص 108).

المنشية : هي إحدى القرى الجبلية إذ كانت تحيط السفح الشمالي لجبل حلوص ويحيط بها سور ذو ثلاثة أبواب هي : باب الظواهرية وباب الشواشين وباب أولاد المري. وهي تفتح جميعها إلى الجنوب أي نحو الجبل حيث تتبع عين البلدة، كما أنها تتمكن من مراقبة الطريق التي تمر حذو السفح الآخر من الجبل وتربط بين نفزاوة والجريدة عبر الشط. أما من الناحية التاريخية فقد عثر قرب المنشية على أدوات ما قبل

تاريجية تعود إلى بداية العصر الحجري الحديث بما يدل على قدم الحياة البشرية بالمنطقة. وفي العهد الروماني كما في العهود الإسلامية لم ترد أي إشارة إليها بما في ذلك في المصادر الجغرافية العربية رغم وجود هذه البلدة على المسلك الرئيسي الذي مر به بعض الرحالة ومن بينهم التجاني، وذلك يدل على أنها لم تكن موجودة أصلاً أو أنها لم تكن ذات شأن يذكر. ورغم أن الرواية الشفوية قد توحى بأن هذه القرية قديمة النشأة حيث أن سكانها الأوائل يسمون الهدامية الذين قد يكونون من البربر، فإن اسمها العربي قد يوحي ما جاء في أسطورة تأسيسها الذي ينسب إلى المرابط حامد الصغير، وهو ينتمي إلى الجيل الرابع من الحوامد. وهؤلاء من العرب الذين قدموا إلى نفزاوة في بداية العصر الحديث، وقد حاولوا طيلة ثلاثة أجيال الاستقرار بعدة أماكن من نفزاوة من بينها قبلي والبرغوثية والقصر الأحمر، إلى أن نجح الجيل الرابع بقيادة حامد الصغير في اختيار هذا الموضع الجديد بعد أن عثر فيه على الماء، واستقر به وأنشأ زاويته ومن هنا جاء اسم المنشية، وكان ذلك في القرن السابع عشر، حيث أن حجة اقسام الورثة بين أبناءه الثلاثة تعود إلى سنة 1064هـ/1654م. وهذا في الماء هو أصل الاستقرار بالمنشية شأنها في ذلك شأن القرى الواحية الأخرى، وهي تمييز أيضاً بارتباطها بالزاوية والتصوف، وقد لعب هذان العاملان الدور الحاسم في تطورها بعد ذلك. أما إدارياً فقد كانت المنشية على الأقل في القرن التاسع عشر مقراً لمشيخة، وكانت تابعة إلى صف شداد الذي كانت تقوده قبلي، وهي من البلدات التي فكر فيها خليفة قبلي سنة 1857 لكي يلجاً إليها المرافقون للتأثير المطربسي غومسة محمودي. أما ديمغرافياً فقد كانت تحتل المرتبة الثانية بنفزاوة مباشرة بعد قبلي إذ يقدر عدد سكانها بما يفوق الثلاثمائة نسمة اعتباراً إلى أن داعي الضرائب بها كانوا في حدود 67 فرداً سنة 1861. وهو ما يناسب دورها الاقتصادي بين قرى نفزاوة إذ كانت المنشية طبقاً لما ورد في الدفتر الجلائي المؤرخ سنة 1862، تحتل المرتبة الثالثة من حيث عدد النخيل في وطن شداد، وتتصدر هذا الوطن من حيث عدد النخيل من صنف الفطيمي الجيد بأكثر من ألفي نخلة بل كانت بها آنذاك 14 نخلة من صنف الدقلة، وهو ما لفت انتباه الضباط الفرنسيين الذين كتبوا عن المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن المولى ومن بينهم بيشفال الذي وصفها بأنها قرية هامة ولها واحة كبيرة ومياه وأفرة وتمور جيدة. أما ديمبروجيو ونلنسي فقد اعتبروا أن تمورها

هي الأفضل بنفزاوة. وبالإضافة إلى النخيل كان بواحتها ما يزيد عن مائتي أصل زيتون (بشفال ص 106؛ بربان، ص 80، مورو، ص 91؛ ديمبروجيو 32 وما بعدها)

المنصورة : تقع هذه البلدة قرب عين الغريق، وвидوا أنها ظهرت في مطلع العهد الحديث حيث لم ينكرها التجاني الذي زار المنطقة في بداية القرن 14م، ففي حين تحدث بإطناب عن طرة وعن عينها. كانت المنصورة مستقرًا للحامية العثمانية وما قد يدل على ذلك اسمها حيث أن صفة "المنصورة" تتعت بها الجيوش العثمانية. أما عن الانتماء الصفي، فقد كانت بلدة المنصورة من صف شداد خلافاً لبلدة الجديدة المحاذية لها.

مهرجان الصحراء بدور : هو من أهم المهرجانات بالجنوب التونسي، انطلق سنة 1910 تحت عنوان "عيد الجمل" وكان خاصاً بسباق المهاري. ثم تحول عام 1967 ليصبح مهرجاناً دولياً للصحراء. وهو ينتمي في بداية فصل الشتاء من كل سنة ويختص بإحياء العادات والتقاليد الخاصة بالبادية من خلال العديد من اللوحات الفارة من بينها عراك الفحول والعرس التقليدي وسباق المهاري وصيد الأرانب بالسلوقي ولعبة المعقاف والألعاب الفروسية، إلى جانب عدد من الأنشطة الثقافية كالأمسيات الشعرية والندوات والحلقات الفنية والعروض المسرحية والسينمائية، ومشاركة فيه فرق للفنون الشعبية من تونس وبعض البلدان العربية وغيرها. ويستقطب هذا المهرجان الآلاف من السواح التونسيين والأجانب.

نقة : قرية تقع شمال نفزاوة يحيط بها شط الجريد من الشمال والغرب والجنوب بما يجعلها ذات موضع مشرف رغم أن ارتفاعها بالكاد يتجاوز العشرين متراً فوق سطح البحر. وتعزز موضعها الدفاعي بوجود ربوة الشوشة التابعة لها باتجاه الشرق والتي يقترب ارتفاعها من خمسين متراً. أما من حيث الموقع فهي لا تبعد أكثر من ستة كيلومترات عن الطريق الذي يشق نفزاوة باتجاه الجريد. ولعل من العوامل التي جعلتها تتخذ هذا الموقع إضافة إلى العامل الدفاعي توفر المياه إذ توجد بها عين طبيعية هامة. أما عن تاريخ هذه القرية، فيبدو أن الحياة البشرية قد وجدت بها منذ عهد سحيق، إذ وقع العثور بها على نقشة لوبية، كما توجد بها الكثير من الحجارة المنهشة التي تعود إلى العهد الروماني. أما في العهود الحديثة فقد استقطبت نقة عناصر بشرية قادمة من جنوب نفزاوة، وأساساً المرازيق والجمنلين، حيث اشتروا

بعض العقارات المحيطة بها، واتخذها أولاد يعقوب قاعدة لهم وامتلكوا واحتها حتى ارتبط اسمها بهم. كانت نقة تصنف ضمن صنف يوسف. دخلها الجيش الفرنسي يوم 3 أفريل 1882 وقام بتخريبها. (الخريطة التوبوغرافية، تروسي، ص 42؛ المرزوقي، الثورة، ص 20-21).

نويل : تقع هذه البلدة جنوب شط الجريد غير بعيد عن مدينة/قلعة درجس. وقد احتلت موقعاً مرتفعاً. وقد وجدت بعض الآثار الرومانية بها من أعمدة وحجارة مهندمة وخاصة معاصر زيتون بما يدل على نوعية الفلاحة آنذاك. ويبدو أن نوبل كانت من أوائل الأماكن التي أوى إليها بنو سليم، حيث أن دليهم بمخبير لم يمدح من قرى نفزاوة سواها. إذ قال : "من أول ما ناش بدني ترابها الشر في أولها والخير في أعقابها". كانت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تابعة إدارياً لوطن يوسف الذي يشرف عليه خليفة تلمن. وكان سكانها من أنصاف الرحل إذ كانوا يرتحلون في الربع وجزء من الصيف مع العذاري، ثم اتجهت حياتهم نحو تقليص فترة الترحال مما كانت عليه في أواخر القرن التاسع عشر. أما اقتصادياً فقد كانت تعداد سنة 1862 أقل من ثلاثة آلاف نسمة (بيشمال 109).

المهيسة : نوع من الرطب، من أوائل ما ينضح من التمر في نفزاوة، يتراوح لونه بين الخضراء والصفراء، ويتميز بنسبة عالية من السكريات، وهو طري، ولا يقع تخزينه، يوجد في أغلب البيوت دون أن يتعدى عدد النخيل منه الواحدة أو الاثنتين في كل بستان، وهو في العادة يقتصر على الاستهلاك العائلي.

يوسف : هو اسم أحد الصقرين المتنازعين في نفزاوة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد سمي باسم قائد قبيلة الهمامة التي آزرت حسين بن علي في صراعه ضد ابن أخيه علي باشا الذي سمي أنصاراه بشداد. وكانت بلدة تلمن عاصمة لصف يوسف وتتبعها يوسف إدارياً القرى التالية: الدبابشة وقطناسة وزاوية الحرش وأم الصمعة ونقة والجديدة والكمبي وقطعاية وبني احمد وبشلي وكلوامن والمساعيد وجمنة والقلعة ونوبل وجزء من زاوية العانس وتلثا بشرى، وأهم عروش المرازيق وأولاد يعقوب والعذاري والصلاعة.

تتميز نفراوة عن غيرها من مناطق الجنوب التونسي بموقعها المنزوي، وهو ما جعلها تشكل عالمًا بذاته، التقت فيه البداوة والاستقرار، وتجاورت فيه الواحة بمعاهدها ونخيلها مع الصحراء بكثبانها وحماداتها. وفي هذا التقاطع عاش البشر، وكتبوا التاريخ بأعمالهم أحياناً ودمائهم وأرواحهم أحياناً أخرى.

وبالفعل فقد كان لنفراوة طوال تاريخها إضافات متميزة في محيطها القريب والبعيد، ويكتفيها في هذا الإطار أنها أجبت فاتح الأندلس، ومالك الصغير، وأول قضاة الجماعة بقرطبة... ومن الطريف أن أبناءها هؤلاء وغيرهم بрезوا خارجها حتى أن نسبتهم إليها أصبحت لدى البعض موضع شك ونقاش. وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نعيد الأمور إلى نصابها، وأن ننجزه مباشرة إلى استقراء الأحداث جميعها، بكل ما يمكن من تجرد موضوعية. كما حاولنا أن نقوم بعملية ترميم لتاريخ المنطقة بعد أن قمنا بحفريات مرضية في عدة مصادر ومراجع لم تسعفنا في أحياناً كثيرة إلا ببعض الجمل الجافة أو الفقرات المتكتمة. ونعرف بأن ما وصلنا إليه لا يتجاوز أحياناً ما يصل إليه علماء الآثار عندما يزيرون الأثرية والروايب عن رسوم مدينة قديمة، ومن المؤسف حقاً أن الأمل في إعادة تلك المدينة إلى ما كانت عليه صعب التحقيق بالنسبة إلى العهود السابقة للتاريخ الحديث، وهو ممكן بالنسبة للقرون الأربعة الماضية ولكنه يتطلب مجهودات مركزية وأبحاثاً مكثفة بدور الأرشيف وخاصة منها الأرشيف الإداري للمنطقة ودفاتر العدول إضافة إلى الوثائق التي يمتلكها الخواص. وقد سعينا من جهةنا منذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى تعزيز البحث حول مواضيع تخص هذه الفترة المتأخرة وأمكن لنا أن ننتج عدة مقالات صدرت أربعة منها ضمن كتابنا المجتمعات المائية.

من جهة أخرى لم تكتشف بالمنطقة إلى حد الآن آثار هامة، إذ باستثناء بعض الواقع كقصر ترسين وقصر غيلان لم توجد غير بعض الحجارة المتفرقة هنا وهناك والتي اهتم بها الباحثون الأوروبيون باعتبارها قد تعود إلى العهد الروماني، ومع ذلك

تعتقد أن نفزاوة تحوي ثروة أثرية هامة ولكن تغطيها كثبان الرمال، ويكتفي أن نتظر إلى العشرات من جزر النخيل التي كان بعضها مسكوناً، إلا تحوي مرتفعاتها بعض الآثار؟ ثم أن البعض هنا وهناك يعثر من حين لآخر عن نقوش قديمة أو جرار وربما عن أدوات ما قبل تاريخية، ويتحدث البعض الآخر عن اتفاق بهذه القرية أو تلك، مما يستوجب قيام مؤسسة تتولى القيام بمسح أثري للمنطقة وصيانة الموقع الأثري وربما تأسيس متحف جهوي للغرض.

إن الحاجة إلى ذلك تتأكد في هذه المنطقة التي كشفت عن أقدم آثار تدل على وجود بشري بالبلاد التونسية، وقد وجدت تحديداً بموضع عين برمبة على بعد بضعة كيلومترات من مدينة قبلي الحالية. ثم أن آثاراً ما قبل تاريخية أخرى وجدت بأماكن متفرقة بالمنطقة. كما ترك الرومان آثاراً هامة بعدة مواقع حيث كانت المنطقة على التخوم الجنوبية لدولتهم، ثم أن الفترة العربية الإسلامية في حاجة إلى الكشف عمّا تركته من آثار قد تكون هامة خاصة حول أهم المدن التاريخية بالمنطقة مثل بشري وطرة ودرجين^(١).

إن الموقع المحمي والمنزوي لنفزاوة جعلها في عدة فترات من تاريخها على هامش النفوذ المركزي ويكتفي أن نذكر علاقة المد والجزر التي ربطتها بالقيروان، عاصمة إفريقية في القرون الإسلامية الأولى، فقد كانت المنطقة آنذاك همزة وصل بين تاهرت عاصمة الدولة الرستمية غرباً وجبل نفوسه بالبلاد الليبية. ولم تنس المنطقة هذا الماضي في فترات لاحقة، من ذلك أنها ارتبطت في بداية العهد العثماني بإيالة طرابلس قبل أن تتحول إلى إيالة تونس. ويبدو أن تعاطفها مع الطرابلسيين أثناء الاحتلال الإيطالي في بداية القرن العشرين لم يخرج عن هذا الإطار، في حين أن أحداث الجلاز والترامواي الواقعية بتونس العاصمة، لم تجد بها أي صدى. وربما يعود ذلك بالأساس إلى طموح أهلها الدائم للانتماء إلى إطار أوسع وحيثنيهم المتوازث إلى الشرق حيث قبائلهم الدائمة.

إضافة إلى ذلك، إن الحياة بنفزاوة قد انبعاثت حول المياه فنشأت حول كل عين واحدة، استقر حولها السكان وهكذا ظهرت عشرات القرى والمداشر طبقاً لعدد المنابع

(١) كشف تحرك الرمال بدرجين الخالي عن بعض تلك الآثار في أواخر القرن العشرين.

المائية. ولم تبرز بالمنطقة تاريخياً مدن هامة تضاهي ما ظهر مثلاً بمنطقة الجريدة التي تتشابه مع نفزاوة جغرافياً وطبيعاً واقتصادياً. وقد جعلت بعض تلك القرى من الواحة درعاً لها تقليها العواصف الرملية في الربع وريح الشهيلي صيفاً وبرد الشتاء القارس ومن بين تلك القرى قبلي والمنصورة وتلعين، بينما كانت مواضع بعض القرى الأخرى جبلية مما جعلها حصينة ومثال ذلك الفليعة وأم الصمعة وبوعبد الله، وفي فترة متأخرة نسبياً نشأت قرى أخرى بجنوب المنطقة هي عبارة عن مستقرات فصلية لبعض القبائل ومن بينها دوز والقوار والصلنم. غير أن كل هذه القرى تطورت في اتجاه واحد حتى تماثلت حالياً في حين اندثرت بعض القرى الأخرى ونزع سكانها نحو مواطن جديدة.

إن نفاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب بسرعة كبيرة، يدل على شغف أبناء المنطقة بتاريخها، وربما الأهم من ذلك أنه ساهم في لفت النظر إلى ضرورة الاهتمام بذلك التاريخ، وهذا ما لمسناه من خلال الرسائل الجامعية التي قدمت منذ طبع الكتاب عام 2000. كما لا يفوتنا أن نشير من جهة أخرى إلى أن هذا الكتاب هو ثمرة مجهد واجتهاد فرديين، ويجب التعامل معه على هذا الأساس، وليس باعتباره ملكاً مشاعاً. وإذا رأينا فيه الشروط العلمية المطلوبة، فذلك احتراماً منا للقارئ ولمهنة المؤرخ، والباحث حتى لو كان مبتدئاً عليه أن يلتزم بتلك الشروط، وفي غياب ذلك يفقد عمله الوزن والقيمة المطلوبين.

وبعد نعرف بأن هذا الكتاب فتح لنا أبواباً كانت موصدة، ومهّد لنا سبلًا لم تكن نافذة، وهو من هذه الزاوية قد حقق الغاية وأجزى. ولا غرو فقد كان -رغم الصرامة التي التزمناها لأنفسنا- رسالة عشق صادق إلى تلك الأرض الطيبة نفزاوة بكل ما فيها ومن فيها.



المصادر والمراجع

1- باللغة العربية :

أ- كتب ومخطوطات:

- ابن الأبار، إعتاب الكتاب، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي:
<http://www.alwaraq.com/>
- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم)، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967.
- ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس 1963، ج.4، 271 ص.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 1153، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي :
<http://www.alwaraq.com/>
- ابن حوقل (أبو القاسم)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1979، 432 ص.
- ابن خدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبدئ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت 1979، 7 مجلدات.
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم)، فتوح إفريقيا والأندلس، تقديم أليير قسانو Albert Gateau، الجزائر 1947.
- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس 1983، 4 أجزاء.
- ابن القنفذ (أبو العباس أحمد)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النمير وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، 356 ص.
- أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر)، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن ألوب، تونس 1985.

- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، معهد الدراسات الشرقية بنسابولي، روما، 1970، جزآن.
- باجية (صالح)، الإيماضية بالجريدة، دار بوسلامة، تونس 1976.
- البرادى (أبو القاسم بن إبراهيم)، كتاب الجوادر المتنقا في إنعام ما أخذ به كتاب الطبقات، طبعة حجرية، القاهرة 1302 هـ.
- البكري (أبو عبيد)، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له بالفرنسية دي سلان De Slane، الجزائر 1911.
- بلحولة (محمد علي)، قصبة قدما وحديثا، طبع دار الجويني، تونس 1990.
- بن حمادي، صالح، أساطير النشأة في الجنوب التونسي، تونس 2002.
- بن سوف (الهاشمي)، من ذكريات الشدائد، مخطوط، 65 ص.
- بن مراد، إبراهيم، الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999.
- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التجاني، تقديم ح.ح. عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس 1981، 502 ص/تونس 2005.
- الجربي (محمد لبوراس)، مؤسس الأحبة في أخبار جربة، حققه ومهد له وعلق عليه محمد المرزوقي، تونس 1960، 205 ص.
- الجعيري (فرحات)، نظام العزابة عند الإيماضية في جربة، تونس 1975.
- الجنحاني (الحبيب)، المغرب الإسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4-5-6)، تونس 1978، 285 ص.
- جوليان (شارل أندرى)، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعریب محمد مزالى والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1983، 415 ص.
- حسن (محمد)، المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1999، جزءان.
- حسين (محمد الخضر)، الدعوة إلى الإصلاح، جمع وتحقيق على التونسي، ط.2، المطبعة التعاونية، دمشق 1393-1973، 228 ص.

- الحميري (أبو عبد الله محمد)، الروض المعطار في خبر الأقطار، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : <http://www.alwaraq.com/>
- خوجة (حسين)، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتحات آل عثمان، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1975.
- الدرجني (أبو العباس أحمد)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، حققه إبراهيم طلاي وقدم له عبد الرحمن بلكي، الجزائر 1974، جزءان.
- الدرقاش (الهادي)، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القิرواني، حياته وأثاره، دار قتبة، بيروت-دمشق 1989، 528 ص.
- راضي (علي محمد)، الأندلس... والناصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967، 118 ص.
- الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم؟)، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، تونس 1968.
- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس 1966، 189 ص.
- السراج، الحط السندي في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970، ج.1.
- الشريف (محمد الهادي)، تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس 1980.
- الشماخي (أحمد بن سعيد)، كتاب السير، تحقيق ودراسة محمد حسن، شهادة التعمق في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1979، جزءان (مرفون)، وقد صدر تحت عنوان : كتاب السير، الجزء الخاص بترجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس عشر، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1995، 466 ص.
- الصافي، الوافي بالوفيات، ص 1153، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : <http://www.alwaraq.com/>
- ضيف الله (محمد)، المجتمعات المائية بتونس : قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر، المطبعة المغاربية للنشر، تونس 2005، 200 ص.

- الطوير (محمد محمد)، ثورة الشيخ غومة المحمودي على العثمانيين، ليبيا 1835-1858، منشورات دار الفرجاني، طرابلس، ط2، 1995، 688 ص.
- العياشي، أبو سالم، إتحاف الأخلاء بجازات المشايخ الأجلاء، تقديم وتحقيق محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- عيسى، نطفي، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ، دار سراس للنشر، تونس 1993.
- الغزّي (نجم الدين)، الكواكب السائرة بأعيان الملة العاشرة، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : <http://www.alwaraq.com/>
- القلقشدي (أبو العباس أحمد)، كتاب صبح الأعشى، القاهرة 1915، ج.5.
- لجنة البحوث التربوية بقلي، تاريخ نفراوة، مخطوط على ملك الشيخ الهاشمي بن سوف، جوان 1965، 37 ص.
- المالكي (أبو بكر عبد الله)، رياض النقوس، القاهرة 1951.
- المحجوبى (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سراس للنشر، تونس 1986، 175 ص.
- محفوظ (محمد)، تراث المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982، ج.1.
- المرزوقي (محمد)، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، 454 ص.
- المرزوقي (محمد)، دماء على الحدود، الدار العربية للكتاب، تونس 1975، 406 ص.
- المرزوقي (محمد)، قابس جنة الدنيا، القاهرة 1962.
- المرزوقي (محمد) والمرزوقي (علي)، ثورة المرازيق، دار بوسالمة، تونس 1979، 242 ص.
- المصراتي (علي مصطفى)، غومة فارس الصحراء، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب 1960، 285 ص.
- معمر (علي يحيى)، الإباضية في موكب التاريخ : الإباضية في تونس، بيروت 1966، 460 ص.

- مقديش (محمود)، *نرفة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار*، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، جزءان.
- مؤنس (حسين)، *شيوخ العصر في الأدلس*، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965، ص. 112.
- ميلود (محمد)، *إبل وعزائل وتعريف بالقبائل بمنطقة نفزاوة - ولاية قبلي*، الشركة العالمية للطباعة، سوسة 2005، 231 ص.
- نجاحي (محمد العزيز)، *مدينة دوز، نموذج التداخل بين اليدادة والحضارة في الجنوب التونسي*، دار سحر للنشر، تونس د. ت.
- التويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي :
<http://www.alwaraq.com/>
- الورثاني (الحسين بن محمد)، *نرفة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1974.
- ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ص 1736 ؛ نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي :
<http://www.alwaraq.com/>
- اليعقوبي (أحمد بن واضح)، *البلدان*، ط 3، النجف 1957.
- ب- مقالات ومحاضرات:**
- بن سالم (المهدي)، "الجوائب الخفية في شعر أحمد البرغوثي"، محاضرة مخطوطة في 30 ص قدمت في ملتقى أحمد البرغوثي للشعر الشعبي، قبلي 1988.
- بن سوف (الهاشمي)، "من أعلام المنطقة (الشاعر الشعبي أحمد البرغوثي)", في، *أوضاعاء*، (مجلة غير منتظمة الصدور كان يشرف عليها نادي الفكر بقلي) ع 2، 1975، ص 45-31.
- بن سوف (الهاشمي)، "من أعلام المنطقة (الشاعر الشعبي محمد الغراب)", في، *أوضاعاء*، ع 3، 1976، ص 45.
- بذلغيث (الهاشمي)، "كافح غومة بن خليفة المحمودي في جنوب تونس" في، *المجلة التاريخية المغاربية*، س 19، ع 67-68، أوت 1992، ص 289-312.

- بنبلغيث (الشيباني)، "النخيل في نفزاوة ودوره الاقتصادي والاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، في، *المجلة التاريخية المغاربية*، س 20، ع 71-72، ماي 1993، ص 565-580.
- بنبلغيث (الشيباني)، "أهمية الأوقاف العامة من النخيل في الحياة الدينية والاجتماعية بواحات نفزاوة خلال القرن التاسع عشر"، في، *المجلة التاريخية المغاربية*، س 21، ع 75-76، ماي 1994، ص 287-299.
- بوبيحي (سالم)، "النخيل العمالى والنشاط النقابي فى القطاع الفلاحي بواحات الجنوب الغربى (الجريدة ونفزاوة) 1947-1959"، في، *المجلة التاريخية المغاربية*، س 21، ع 75-76، ماي 1994، ص 247-285.
- حسن (عبد الحميد)، "ثورة المرازيق، 1943-1944"، في، *البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب 1945-1950*، أعمال الندوة الدولية الخامسة حول تاريخ الحركة الوطنية المنعقدة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس في ماي 1989، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1991، ص 310-335.
- ضيف الله (محمد)، "في مسألة العلاقة بين الأعيان والاستعمار في الجنوب : القايد سعيد بن نصر نموذجاً"، في الندوة الدولية الثانية عشرة حول : الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال، المنعقدة بتونس، 6-8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 2005، ص 419-448.
- ضيف الله (محمد)، "مخزنة الأعيان المحليين: قراءة في سيرة الكاهية أحمد بن بلقاسم"، روافد، ع 11، 2006، ص 115-131.
- العزابي (المنوبى)، "نبذة من تاريخ نفزاوة"، في، *أوضاع*، ع 4، 1977، ص 23-29.
- العزابي (المنوبى)، "الشيخ أبو إسحاق الجمني"، في، *أوضاع*، ع 6، نوفمبر 1988، ص 54-56.
- عليه الصغير (عميرة)، "ملامح من نفزاوة في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي من خلال نتوصيات الإستعلامات العسكرية"، في، أمل، س 4، ع 11/10، الدار البيضاء، 1997.
- عليه الصغير (عميرة)، "تفزاوة زمن الاستعمار وجدلية الخضوع والمقاومة 1881-1956"، في الندوة الدولية الثانية عشرة حول : الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال،

المنعقدة بتونس، 6-8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى للتاريخ الحركة الوطنية 2005، ص 197-227.

- علية الصغير (عميرة)، "نفزاوة والمقاومة المسلحة في الخمسينات"، ضمن كتابه : المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة المدن، الفلاقة، اليوسفية، مطبعة التسفير الفي صفاقس 2004، ص 137-147.

- قرافق (عبد الرزاق)، "البلاد التونسية في عصور ما قبل التاريخ"، في، كراسات التاريخ للسنة الأولى ثانوي (شريعة الإنسانية)، الكراس الأول، وزارة التربية، تونس 1989-1990.

- المرزوقي (محمد)، "على هامش السيرة الهلالية، أبو مخبير"، في، الحياة الثقافية، ع 17-16، تونس جويلية-أكتوبر 1981، ص 7-10.

ج- رسائل جامعية :

- بن طاهر (جمال)، الملكية بنفزاوة من خلال دفاتر القانون (1852-1862)، شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية تونس 1982.

- بن علي (حسن)، واحة قبلي وعلاقتها بالسلطة المركزية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2003-2004.

- بندخلال (بلقاسم)، بلاد نفزاوة في العصر الوسيط : دراسة تاريخية أثرية، ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2004-2005.

- حسن (بلقاسم)، الأوضاع العامة بنفزاوة في عهد محمد الصادق باي من 1859 إلى 1882، شهادة الكفاءة في البحث تحت إشراف الأستاذ علي المحجوبى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1992، 156 ص (مرقونة).

- رجب (صولة)، قبيلة نفزاوة ودورها في تاريخ المغرب الوسيط، من الفتح إلى القرن الخامس الهجري 7-11م، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2003-2004.

- الزاهد (إبراهيم)، العلاقات بين المجتمعات الواحدة بين الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري في القرن التاسع عشر، ماجستير 2006-2007.

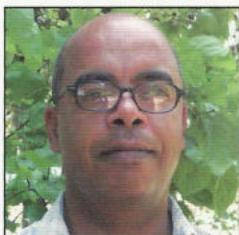
- الزيراوي (محمد)، نحو إنشاء متحف للتراث الشعبي بواحات نفزاوة، ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2004-2005.

2- بحث العربية :

- L'Africain (J. L.), **Description de l'Afrique**, traduit de l'italien par A. Epaulard, 2T, Paris 1956.
- Arambourg (C.) et Coque (R.), "Le gisement villafranchien de Aïn Brimba (Sud Tunisien) et sa faune", in, **Bulletin de la Société Géologique de France**, 6e série, 1958.
- Augias (L.), "Deux années au Nefzaoua", in, **Revue Tunisienne (R.T.)**, 18e année, N° 85, Jan. 1911, pp. 42-53.
- Bachrouch (Taoufik), **Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au 17e s.**, Pub. de l'Université de Tunis 1977.
- Baduel (Pierre-Robert), **Société et émigration temporaire au Nefzaoua (Sud Tunisien)**, Ed. CNRS, Paris 1980, 121 p.
- Baraban (Léopold), **A travers la Tunisie, études sur les oasis, les dunes, les forêts, la flore et la géologie**, Paris 1887.
- Bédoucha (Geneviève), **L'eau l'amie du puissant, une communauté oasisenne du Sud tunisien**, Editions des Archives contemporaines, Paris 1987.
- Bedoucha-Albergoni (Geneviève), "La mémoire et l'oubli, l'enjeu du nom dans une société oasisenne", in, **Annales Eco. Soc. Civilisations**, 35e année, N° 3-4, Mai-Août 1980, pp. 730-747.
- Bouady (C-N), et Mestiri (M.), **Gafsa, Djérid, Nefzaoua : étude d'aménagement touristique**, Tunis 1962.
- Carton (L.), "Nybgenii et Nefzaoua", in , **R.T.**, 1914 (pp. 207-216 et 354-368) et 1915 (pp. 35-47).
- Collectif, **Kébili dans son collier de palmes**, projet de reconstruction d'un village du Sahara tunisien, Instituto Tecnico Commerciale e per Geometri "Luigi Einaudi", Rome s. d., 112p.
- FOURNET (André), "Les gisements à faune villafranchienne de Tunisie", **Notes du Service Géologique de Tunisie**, 1971, pp. 53-69.
- Goldstein (Daniel), **Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire tunisienne 1914-1922**, M.T.E. Tunis 1978, 535 p.
- Gragueb (A.) et Mtinet (A.), **La préhistoire en Tunisie et au Maghreb**, Alif Ed. Tunis 1989, 102 p.

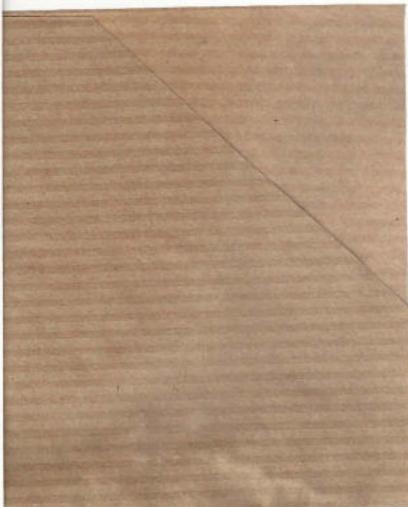
- Guérin (Victor), **Voyage archéologique dans la Régence de Tunis**, 2 T., Paris 1862.
- Idriss (H.R.), **La Berbérie orientale sous les Zirides**, 2 T., Alger 1962.
- Karoui (H.) et Mahjoubi (A.), **Quand le soleil s'est levé à l'ouest, Tunisie 1881, Impérialisme et résistance**, CERES Productions, Tunis 1983, 193 p.
- Lewicki (Tadeusz), "Al-Dardjini", in, **E.I.**, Leyden 1965, T.2, pp. 144-145.
- Lewicki (T.), "Notice sur la chronique Ibadite d'ad-Dargini", in, **Rocznik Orientalistyczny**, T.11, 1935, pp. 146-172.
- Lewicki (T.), "Sur le nom de Dieu chez les Berbères médiévaux", in, **Folio Orientale**, T.8, 1966-7.
- Lewicki (T.), "Survivances chez les Berbères médiévaux d'ère musulmane de cultes Anciens et de croyances païennes", in, **F.O.**, T.8, 1966-7, pp. 5-40.
- Louis (A.), **Aux Nefzaouas, Le palmier et les Hommes, du semi-nomadisme à la sédentarisation**, Extrait remanié de IBLA, 1968, 43 p.
- Louis (A.), **Villes et villages de Tunisie**, RTT, Programme de langue française, service international (1964-1970).
- De Marmol, **Description générale de l'Afrique**, Trad. de Nicolas Perrot Sieur d'Ablancourt, 3 vol., Paris 1667.
- Martel (André), **les confins saharo-tripolitains de la Tunisie (1881-1911)**, P.U.F., Paris 1965.
- Monchicourt (Ch.), **Relations inédites de Nyssen, Filippi et Calligaris (1788, 1829, 1834)**, Paris 1929.
- Moreau (Pierre), **Des lacs de sel aux chaos de sable, le pays des Nefzaouas**, IBLA, Tunis 1947, 206 p.
- Pignon (J.), **Un document inédit sur la Tunisie au XVII^e s..** Pub. de l'Université de Tunis 1963, 115 p.
- Philebert (Ch.), **La 6^e Brigade en Tunisie**, 2^e édition, Henri Charles-Lavauzelle, éditeur militaire, Paris-Limoges 1895, 232 p..
- Résidence générale de France à Tunis, **Historique du Bureau des Affaires Indigènes de Kébili**, Bourg 1931.
- Roudaire (E.), **La mer intérieure africaine et l'ancienne Baie de Triton**, Extrait de la **Nouvelle Revue**, 1er Mai 1884, Paris 1884
- Saint-Paul (G.), **Souvenirs de Tunisie et d'Algérie**, Tunis 1909.

- Sarel (J.), **Parcours Mérazig**, Tunis 1948, 207 p.
- Sternberg (Benno-Sarel), "Semi-nomades du Nefzaoua", in, **Recherches sur la zone aride, nomades et nomadisme au Sahara**, UNESCO , 1963, pp. 123-133.
- Stieglitz (Robert R.), "Neith, Athena and Tinnit : Cultural Diffusion and the Maghreb in Antiquity", in, **Les Cahiers de Tunisie**, T.39, N° 117-118, 3e et 4e trim. 1981, pp. 465-476.
- Talbi (Mohamed), "Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident Musulman (62-196/682-802), l'épopée d'al-Kahina", in, **Etudes d'histoire Ifriqiyyenne et de civilisation musulmane médiévale**, Pub. de l'Université de Tunis 1982, pp. 125-167.
- Troussel (Pol), **Recherches sur les limes tripolitanus : du Chott el-Djérid à la frontière tuniso-libyenne**, Paris 1974.
- Violard (Emile), **L'Extrême sud Tunisien**, Tunis 1905.



محمد ضيف الله

مولود في 21 أوت 1960 بالجرسون
قبلي، زاول تعليمه الابتدائية بالمدرسة
الابتدائية شارع الحبيب بورقيبة بقبلي،
والثانوي بمعهد قبلي ثم بقابس، والعلمي
 بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس
حيث أحرز على الأستاذية في التاريخ
(جوان 1985)، ثم شهادة الكفاءة في
البحث (أكتوبر 1988) فدكتوراه المرحلة
الثالثة (أפרيل 1994) حول موضوع :
الحركة الطالبية التونسية 1927-1939.
صدرت له أربعة كتب هي: الحركة
الطالبية التونسية 1927-1939
منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي
والمعلومات، زغوان 1999، 368 ص.
نواخذ على تاريخ نفزاوة، ط 1، مطبعة
بابيريس نابل 2000، 209 ص.
المدرج والكرسي : بحث حول الطلبة
التونسيين بين الخمسينات والسبعينات،
مكتبة علاء الدين صفاقس 2003-200 ص.
المجتمعات المائية بتونس : قبلي وزغوان
في القرن التاسع عشر، المغاربية للطباعة
والنشر تونس 2005، 200 ص.



الخبر عن نفزاوه وبطونهم ونثاريف أحوالهم

... وأما بقایا بُطون نفزاوة فلا يُعرف لهم لهذا العهد حيّ ولا موطن إلا القرى الظاهرة المقدّرة السير المنسوبة إليهم ببلاد قسطنطيلية، وبها معااهدون من الفرنجة أوطنوهم على الجزية واعتقاد الذمة عند عهد الفتح، وأعاقبهم لهذا العهد. وقد نزل معهم كثير منبني سليم من الشريد وزغبة وأوطنوا وتعلموا بها القفار والضياع. وكان أمر هذه القرى راجعا إلى عامل توزر أيام استبداد الخلافة، فلما تقلص ظلّ الدولة عنهم وحدثت العصبة في الأ蚊ار استبدت كلّ قرية بأمرها، وصار مقدّم توزر يحاول دخولهم في إیالته فمنهم من يعطيه ذلك، ومنهم من يأبه حتى أظلّتهم دولة مولانا السلطان أبي العباس وأدرجوا كلّهم في طاعته واندرجوا في حبله، والله ولی الأمور ولا ربّ غيره.

ابن خلدون، العين، ج 6، ص 116